الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي
جامعة لونيسي علي البليدة 2
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

الحوار الحجاجي في قصّة نوح (عليه السّلام)
-مقاربة تداولية-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي .

إعداد الطّالبة:
ولد العزّازي خيرة

إشراف الأستاذ الدكتور:
عبدلي محمد السّعيد

السّنة الجامعية: 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية
وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي
جامعة لونيسي علي البليدة 2
كليّة الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

الحوار الحجاجي في قصّة نوح (عليه السّلام) -مقاربة تداولية-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدّكتوراه علوم في اللّغة والأدب العربي
تخصّص: أدب عربي .

إعداد الطّالبة:
ولد العزّازي خيرة

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ. د. محمد السعيد عبدلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة البليدة 2	مشرفًا ومقررًا
د. سليمة مدلفاف	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 2	رئيسًا
د. عبد الحليم ريوقي	أستاذ محاضر أ	جامعة البليدة 2	عضوًا مناقشًا
د. سامية محصول	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة	عضوًا مناقشًا
د. بلخير دوالي	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	عضوًا مناقشًا
د. محمد سرير	أستاذ محاضر أ	جامعة المدية	عضوًا مناقشًا

السّنة الجامعية: 2022/2021


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

من لم يشكر النّاس لم يشكر الله....

و إيمانا مني بذلك أتقدّم بجزيل الشّكر إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبدلّي محمد السّعيد الذي تحمّل أعباء الإشراف على هذا البحث .

كما أشكر زوجي الدكتور محمد مكّي الذي تتبع خطوات هذا البحث وكان نعم العون والسّند...

و شكر موصول بالامتنان إلى الدّكتورة نعيمة زايدي على مؤازرتها لي في أحلك الظّروف...

و إلى الأستاذة الدّكتورة: رجاء مستور التي غمرتني بجميل عطائها و كانت حريصة على نجاحي طيلة مسيرتي الدّراسية.....

الإهداء

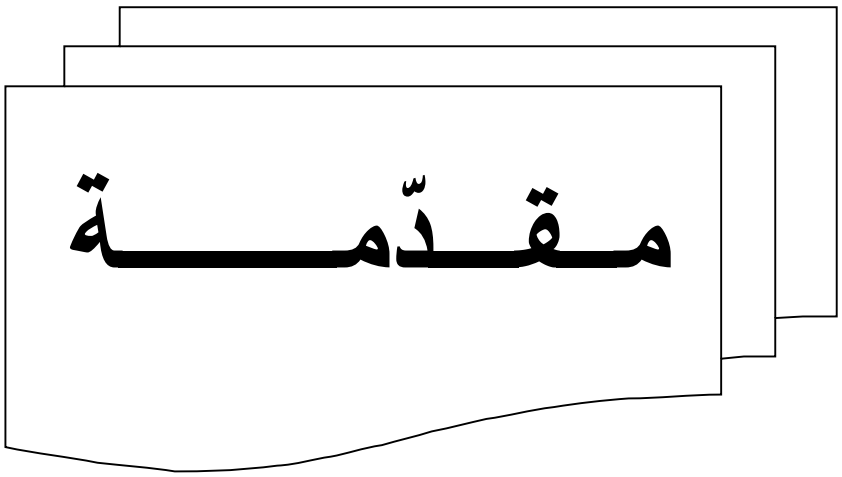
إلى من تمنيت وجودهما إلى جانبي ....

أّمي .....و ابني هيثم .....رحمهما الله

و إلى التي منحت لي من عمرها عمرا و أعطت لحياتي طعما و رائحة و كانت مساحة للبوح و الأمان : أختي كلتوم...

و إلى كلّ من هم هدايا المولى في عالمي الجميل .....

أهدي هذا العمل.


مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة:

القرآن الكريم كلام الله المنزّل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلّم ، في سياق لغوي متميّز...

و الخطاب القرآني خطاب له فرادته ؛ فهو خطاب حجاجي بامتياز كونه طرح عقيدة التّوحيد و عضدها بالحجج من أجل إثبات وحدانية الله تعالى ؛ كما أنّه جاء موجّها إلى كافّة النّاس على امتداد الزّمن فهو خطاب يؤسّس لمنهج حياة و عقيدة كونية و هو– تبعا لذلك– يختلف عن باقي الخطابات ؛ لذا فمن البديهي أن تختلف وسائله و أدواته التي تكفلُ له جبّ المعتقد القديم و جعل متلقيه يتفاعل بإيجابية مع ما يطرحه من أفكار.

و من القضايا التي احتواها الخطاب القرآني نجد القصص إذ تعدّدت أشكاله و مضامينه لوظيفته التأثيرية فهو أحد أساليب الدّعوة يقول تعالى﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ الأعراف 176؛ و من تلك القصص نجد قصص الأنبياء عليهم السّلام الذين أرسلهم الله تعالى حجّة على أقوامهم يدعونهم إلى عقيدة التّوحيد معتمدين في ذلك كلّ الوسائل الإقناعية.

و قد ارتكز القصص القرآني على الحوار الذي يُعدُّ ضرورة إنسانية ارتبط بظهور الإنسان لحاجته إلى التّواصل مع الآخر كما أنّ له أهميّة في عرض الأفكار و الدّفاع عنها و كذا الاعتراض عليها ؛ كما أنّ الاختلاف حتمية إنسانية ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨﴾ هود: 118؛ لذا فالحوار شكل طبيعي للكلام بواسطة

فعل فردي ؛ فالأوّل كلام منجز من طرف محاور و الثّاني ردّ فعل من طرف آخر متلقي و استعداد – هذا الأخير–لإنتاج نصّ مقابل النّصّ الأوّل ؛ لـذا يحوي الخطاب القرآني أشكالا متنوّعة للحوار تدور حول مضامين مختلفة و ضرب الله تعالى مثالا عن حواره مع الملائكة حين أراد أن يجعل خليفة في الأرض قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ البقرة: 30 –33 ؛ كما ضرب لنا مثالا عن حواره مع إبليس حين أمره بالسّجود لمن خلق من طين

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ ص: 75 – 88.

كما حفل الخطاب القرآني بحوار الرّسل –عليهم السّلام– مع أقوامهم و من هؤلاء الرّسل نوح –عليه السّلام –الذي مكث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاما يدعوهـــم إلى

عقيدة التّوحيد معتمدا الحجّة مراعيا وقت استجابتهم لدعوته مُرغِّبا إياهم في المنافع الدّنيوية و الأخروية مُنبِّها للآيات الكونية التي تحُيط بهم لتؤكّد انسجام هذا الكون الذي يؤُكِّدُ أنّ خالقه واحد و هو الأحقّ بالتّوحيد و العبادة.

لقد تعدّدت أطراف الحوار في قصّة نوح – عليه السّلام –؛حيث نجد حوار الله تعالى مع نوح حين كلّفه بإنذار قومه و كذا تسليته له لعدم إيمان قومه بدعوته و تكليفه بصناعة الفلك و أثناء مساءلة نوح ربّه في أمر ابنه ؛ كما نجد حواره مع قومه حيث اعتمد كلّ السّبل المؤدية لإقناعهم بعقيدة التّوحيد حيث اعتمد الحجج التي تنطلق من الواقع ؛كما عرض لنا القرآن الكريم اعتراض الملأ الذين كفروا من قومه على الدّعوى و كذا حوارهم مع المؤمنين بدعوته حيث اعتمدوا الحجاج المغالط لإيقاف مدّ الدّعوة وصدّ المؤمنين عن دعوته .

إضافة إلى ذلك نجد حوار نوح مع ابنه الذي دعاه إلى الركّوب معه في الفلك غير أنّه أبى فكان من المغرقين.

لقد كان مشروعنا في البداية استقراء الحوار بكلّ أشكاله في الخطاب القرآني من خلال مقاربته مقاربة بنوية غير أنّه مع مرور الوقت بدا لنا المشروع مستحيلا كون القرآن الكريم يحوي أشكالا حوارية كثيرة يصعب الإحاطة بها ودراستها وتحليل جزئياتها ؛ إضافة إلى التّطور الذي عرفه الدّرس اللّساني في النّصف الثّاني من القرن الماضي من خلال تجاوزه للنّظرة البنوية للّغة إلى اهتمامه ببعدها التّواصلي و هذا ما يمثِّلُهُ الاتجاه التّداولي الذي اخترناه منهجا لهذه الدّراسة خاصّة فيما يتعلّق بأفعال الكلام و متضمّنات القول والاستلزام الحواري و قوانين الخطاب والحجاج ؛ لنقتصر فيما بعد على الحوار الحجاجي

في قصّة نوح– عليه السّلام– ليكون عنوان البحث :**الحوار الحجاجي في قصة نوح – عليه السّلام– مقاربة تداولية.**

نلاحظ ابتداء ارتباط الحوار بالحجاج لأنّ الحوار هو أخصب الحقول لممارسة الحجاج لارتباطه بالإقناع لذا تأتي "حجاجي" نعتا للحوار فهو ملحق به و وصف له و بالتّالي فالحوار الحجاجي خطاب ينبني على تواصل طرفين يعتمد الأوّل على إقامة الدّعوى باعتماد الحجج فيما يعترض الثّاني بإبطال الدّعوى و إقامة الحجّة أيضا فهو– الخطاب القرآني – نصٌّ حجاجي بامتياز لأنّه يطرح عقيدة التّوحيد و يسعى إلى إقناع المتلقي بوسائل تكفُلُ له التّأثير في هذا الأخير و لا يكون ذلك إلاّ بالحجّة ؛ لذا يطمح البحث إلى الاستفادة من البعدين اللّساني و التّداولي إذ اقتصرنا على بعض إجراءات التّداولية التي تسمح لنا بمقاربة الحوار الحجاجي في قصة نوح– عليه السّلام– من خلال الكشف عن مقام الحوار الذي يساعد في الكشف عن المصرّح و المضمر أي مقاصد المتكلِّم ؛ إضافة إلى الحجاج الذي يُعدُّ الحوار حقلا خصبا لممارسته و ذلك باستقراء البنية الاستدلالية للحجج ؛ إضافة إلى المقاربة اللّسانية لبنية اللّغة للكشف عن بنية الأقوال و بالتّالي بنية الحوار؛ أي الكشف عن الآليات اللّغوية الحجاجية التي يتأسّسُ عليها الحوار في قصّة نوح – عليه السّلام – الذي يُعدُّ حلقة ضمن سلسلة دعوة الرّسل أقوامهم .

تتلخّص إشكالية البحث – بناء على ما سبق– في الإجابة عن الأسئلة التّالية:

- ما هي الوسائل اللّغوية المعتمدة في الإقناع من الأطراف المتحاورة ؟.

- ما دور المقام في تحديد طبيعة الحوار؟ .

- كيف بنى المتحاورون الحجج ؟ و هل لهذا البناء الاستدلالي دور في التّأثير في المتلقي؟.

باختصار ما هي الاستراتيجية المعتمدة من الأطراف المتحاورة للإقناع؟.

وللإجابة عن هذه التّساؤلات قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة حوت الخطوط العريضة للبحث و ثلاثة فصول و خاتمة حوت النّتائج المتوصل إليها؛ إضافة إلى قائمة المصطلحات التي احتواها البحث.

خصّصنا الفصل الأوّل للمقاربة النّظرية ؛ تطرقنا إلى التّداولية و إجراءاتِها من خلال الإشارة إلى الدّلالة اللّغوية و الاصطلاحية للتّداولية مع التّأكيد على اعتماد مصطلح "تداولية" في النّقد العربي المعاصر لشموليته؛ ثم تطرّقنا إلى إجراءات التّداولية بدءًا بأفعال الكلام و تصنيفاتها مع " أوستين "و " سيرل" كما عرضنا مفهومي الغرض و القوّة الإنجازية .

كما احتوى الفصل متضمّنات القول ؛ إضافة إلى الاستلزام الحواري مع " غرايس" الذي وجّه اهتمامه إلى وضع قواعد تضمن نجاح العملية التّواصلية؛ إذ تتمثّل إسهاماته في مبدأ "التّعاون" الذي يتأسّس على أربعة مبادئ (مبدأ الكم ،الكيف، العلاقة، الجهة) وخرق قاعدة من هذه القواعد هو الذي يحيلنا إلى المعنى الضّمني الذي يحكمه السّياق.

كما تطرقنا إلى الحوار؛ إذ حدّدنا دلالته اللّغوية و كذا الاصطلاحية ثم الحوار كمكوّن سردي والحوار من منظور تداولي و حاولنا ربطه بمجموعة من المصطلحات التي تتقاطع أو تتّفق معه .

ثمّ تناولنا الحجاج؛ حدّدنا دلالته اللّغوية و الاصطلاحية كما ركّزنا على الدّراسات التي تناولته فهو آلية لمناقشة الأفكار قصد التّأثير و هو ليس ظاهرة فكرية حديثة بل تمتدُّ جذورُه إلى الفكر اليوناني بدءًا من السّفسطائيين مرورا بأفلاطون و أرسطو كما تناولنا الحجاج الخطابي أو ما يطلق عليه "البلاغة الجديدة " من خلال ما جاء به "بيرلمان" و"تيتكاه" اللّذان إذ توصلا إلى أنّ الحجاج يقوم على طريقتين حجاجيتين : الفصل والوصل.

بعدها تطرقنا إلى نظرية الحجاج في اللّغة مع "ديكرو" و الذي اعتبر الحجاج ظاهرة لسانية إذ عرضنا جملة من المفاهيم منها السّلم الحجاجي والرّوابط الحجاجية والعوامل الحجاجية؛ كما تطرقنا إلى التّحليل التّداولي للمحادثة حسب مدرسة "جنيف" لنصل في ختام الفصل إلى عرض أهمّ خصائص الخطاب الحجاجي.

إنّ أهميّة الفصل الأوّل تكمن في أنّه يمثّل أرضية نظرية لما سنتناوله تطبيقيا في الفصلين الآخرين.

أمّا الفصل الثّاني عنوناه : أفعال الكلام و متضمّنات القول في الحوار الحجاجي في قصّة نوح – عليه السّلام– ؛ حيث حدّدنا في البداية مواضع الحوار الحجـــاجي فـــي

قصّة نوح أي تقديم المقاطع الحوارية محل الدّراسة إذ وجدناها تتوزّع على سبع سور قرآنية مكيّة ؛ ثم تطرقنا لدراسة العلاقات التّخاطبية بين الأطراف المتحاورة، من خـــلال مستوييها الأفقي و العمودي مع ما لهذه العلاقات من دور في تحديد لغة الحوار و كذا بنيته ؛ ثم تناولنا الأفعال الكلامية و متضمّنات القول حسب مراحل دعوة نوح – عليه السّلام– بدءا بالتّكليف و انتهاءً بإغراق الذّين ظلموا و التّمكين لنوح و من آمن بدعوته.

أمّا الفصل الثّالث فقد خصّصناه للبنية الاستدلالية للحوار الحجاجي في قصّة نوح – عليه السّلام–حيث حدّدنا طبيعة الحجج و كذا كيفية بنائها وفق سلّم حجاجي حيث يلعب هذا البناء دورا مهمّا في عملية الإقناع.

ثم عرضنا خاتمة البحث التي احتوت أهمّ النتّائج المتوصل إليها من خلال ما عرضناه في فصول البحث.

لقد دفعتني أسباب عدّة للقيام بهذه الدّراسة أهمّها : التّطور الذي عرفه الدّرس اللّساني في النّصف الثّاني من القرن الماضي من خلال تجاوزه للنّظرة البنوية للّغة إلى اهتمامه ببعدها التّواصلي وهذا ما يمثِّلُهُ الاتجاه التّداولي الذي تتنزّلُ فيه هذه الدّراسة خاصّة في جانبه الحجاجي من خلال نموذج أحد الرّسل – نوح– و محاولة الكشف عن الآليات اللّغوية و غير اللّغوية التي استثمرها المتحاورون في قصّة نوح –عليه السّلام – ؛ إضافة إلى محاولة التّعرف على أهمّ النّظريات الحجاجية الحديثة التي تقصّت الحجاج تنظيرا و تطبيقا ؛ لذلك تتبّعنا منهجية البحث العلمي حيث حاولنا جمع المادة العلمية المتعلّقة بالحوار و كذا الحجاج و كذا تتبع المفاهيم النّظرية التي رأينا ضرورة استثمارها في البحث.

لقد حاولنا أن تكون هذه الدّراسة حلقة ضمن سلسلة البحوث التي تناولت الحجاج بصفة عامّة و الحجاج في الخطاب القرآني بشكل خاصّ مع تأكيدنا على ما استفدنا منه من الدّراسات السّابقة أهمّها : "أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم "؛ و كذا مؤلّفات "طه عبد الرحمن " خاصّة :" اللّسان و الميزان أو التّكوثر العقلي" و مؤلفه في" أصول الحوار و تجديد علم الكلام".

ولأنّ المدونة قرآنية فقد اعتمدنا على بعض التّفاسير منها : "التّحرير و التّنوير" لـ "محمد الطّاهر بن عاشور"؛ و " تفسير الفخر الرّازي" التّفسير الكبير أو مفاتيح الغيب لـ "فخر الدّين الرّازي "و "نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور" "للبقاعي".

إضافة إلى المراجع الأجنبية أهمّها:

- LE Dire et Le Dit : O. Ducrot
- L’ implicite : Catherine Kerbrat Orecchioni
- Traité de Largumentation : Chaim Perelman et Lucie Olbrechts

كما استفدنا من بعض الأطروحات التي تناولت القصص القرآني بالدراسة والتحليل منها: "دراسة تداولية سيميائية لتصريف قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم" لـ "سليمة مدلفاف" والتي ساعدتني في تقسيم المدونة وكذلك "البعد التّداولي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل " لـ "قدور عمران ".

وقد واجهت دراستنا بعض الصّعوبات منها الحذر الذي انتابنا طيلة تعاملنا مع خطاب قرآني له قداسته مما جعلنا نتهيّب الخوض فيه و إعادة البحث و التّحليل والقراءة مرّات و مرّات مخافة الزلّل خاصّة و أنّنا حاولنا مقاربته من منظـــــور حداثـــي؛

إضافة إلى كثرة المراجع التي تناولت الحجاج مع اختلاف الطّرح وتعدّده وصعوبة الإمساك بها و إخضاعها للانتقاء.

في الأخير أتقدّم بجزيل الشّكر إلى أستاذي المشرف الدّكتور " محمد السّعيد عبدلي " الذي أشرف على هذا البحث و لم يبخل بتوجيهاته و نصائحه ؛ و كان حريصا على تتبع جزئياته و تقويمه ؛ كما أتقدّم بجزيل الشّكر إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين صبروا على قراءة هذا البحث .

و الله أسأل التوفيق.



الجهاز المفاهيمي للتّداولية

تجاوزت التّداولية الدّراسات اللّسانية التي عزلت اللّغة عمّا يحيط بها من ظروف إنتاج الكلام لتركّز على علاقة المتكلّم بالمخاطب من خلال فهم هذا الأخير لقصد المتكلّم و مدى تأثير ذلك في المتلقي و بالتّالي ركّزت التّداولية على العملية التّواصلية بما فيها الحجاج الذي يعتبر عاملا أساسيا في العملية التّواصلية.

I. التّداولية:

I.1. تحديدها:

I.1.1. التّداولية لغة:

يرجع الأصل العربي لمصطلح التّداولية إلى الجذر (د.و.ل) جاء في "لسان العرب"« تداولنا الأمر: أخذناه بالدّول و قالوا : دواليك :أي مداولة على الأمر و دالت الأيام أي دارت و الله يداولها بين النّاس و تداوَلَته الأيدي: أخذته هذه مرّة و هذه مرّة » [1] فالمعنى بهذا لا يخرج عن الانتقال و الدّوران و التّبدل.

و جاء في "أساس البلاغة": « دالت له الدّولة و دالت الأيام بكذا و أدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرَّة لهم عليه و أُديلَ المؤمنون على المشركين يوم بدر و أُديل المشركون على المسلمين يوم أحد، و الله يداول الأيّام بين النّاس مرّة لهم و مرّة عليهم و تداولوا الشّيء بينهم الماشي يداول بين قدميه: يراوح بينها و يقول: دواليك أي دالت لك الدّولة كرَّة بعد كَرَّة »[2] و هي بهذا تعني التّنقل و الدّوران و الانتقال.

و يشير "طه عبد الرحمن" إلى أنَّ التّنقل و الدّوران يدلاّن في استخدامهما اللّغوي على « النّاطقين أو قل معنى التّواصل، و يدلاّن في استخدامهما التّجريبي على معنى

[1] أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي: لسان العرب، مج 2، دار المعارف، القاهرة ، ص 1456 .

[2] محمود بن عمر الزّمخشري جار الله أبو القاسم: أساس البلاغة، ج1، تحق: محمد باسل عيون السّود، منشورات محمد علي، دار الكتاب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص303 .

الحركة بين الفاعلين أو قلْ معنى التّفاعل فيكون التّداول جامعا بين جانبين اثنين هما التّواصل و التّفاعل»[1].

I.2.1. التّداولية اصطلاحا:

يرجع أوّل استعمال لمصطلح "تداولية" للفيلسوف الأمريكي "ويليام شارل موريس"Wiliam Charles Mouris سنة 1938 عندما كتب مقالا في موسوعة علمية، حيث ذكر الاختصاصات التي تعالج اللّغة و منها التّداولية التي تُعنى « بالعلاقات بين العلامات و مستخدميها »[2] و اقتصر في دراستة على « ضمائر المتكلّم و الخطاب و ظرفي المكان و الزّمان "الآن– هنا" و التّعابير التي تستقصي دلالتها من مقتضيات تكون جزئيا خارج اللّغة نفسها أي في المقام الذي يجري فيه التّواصل»[3].

و يرى " دومينيك مانغونو" "D. Maingueneau" أنَّ « حصر مفهوم التّداولية أمر صعب جدا نتيجة تشعُّب مصادرها ؛ إضافة إلى أنَّها لم تظهر في العلوم الإنسانية إلاّ في وقت قريب جدا و في الوقت نفسه تعتمد مفاهيم لغوية جدُّ قديمة إذ لوحظ في التّفكير اللّغوي اليوناني الاهتمام الكبير بنجاعة الخطاب في المقام ؛ إضافة إلى أنَّ الاهتمام بالبلاغة و القوّة الإقناعية في الخطاب من اهتمامات التّداولية »[4] لذا يعالَج المُكَوِّن التّداولي –حسب "مانغونو"– « وصف معنى الملفوظات في سياقاتها »[5].

---

[1] طه عبد الرّحمن: تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثّقافي العربي، ط2 ،الدّار البيضاء، المغرب، ص، 244.

[2] آن روبول، جاك موشلر: التّداولية اليوم، علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين دغموس ومحمد شيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطّليعة للطّباعة و النّشر، ط1 ، بيروت، لبنان ، 2003، ص29 .

[3] المرجع نفسه، ص 29.

[4] Dominique Maingueneau: Pragmatique pour le discours litteraire, paris, 1997, p.p 1-3.

[5] دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 الجزائر، 2008، ص101.

و هي أيضا كما يُعرِّفها "فرنسيس جاك" "F.jacques" « تتطرّق إلى اللّغة كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا »[1] فهي لا تخرج عن كونها « نسق معرفي استدلالي يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التّلفظيّة و الخطابات ضمن أحوالها التّخاطبية »[2].

أمّا "سيفز" L.sfez فيرى أنّها « الدّراسة أو التّخصّص الذي يندرج ضمن اللّسانيات و يهتم أكثر باستعمال اللّغة في التّواصل»[3].

و هي « دراسة اللّغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النّحوية؛ هي دراسة الكلمات و العبارات و الجمل كما نستعملها و نفهمها و نقصدها في ظروف و مواقف معيّنة لا كما نجدها في القواميس و المعاجم، و لا كما تقترح كتب النّحو التّقليدية »[4].

إنَّ هذه التّعريفات – على كثرتها – تؤكّد صعوبة إعطاء مفهوم موحَّد للتّداولية نتيجة علاقاتها بحقول معرفية متعدّدة فهي تشترك مع علم الاجتماع؛ حيث ترصد العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين، و كذا مراتبهم الاجتماعية لِما لها من دور في تحديد طبيعة الحوار و كذا سياقاته؛ كما لها علاقة بعلم الدّلالة من خلال دراستها للمعنى، و علم النّفس من خلال رصد الكفاءة التّواصلية للمتكلّمين، إضافة إلى علاقتها بتحليل الخطاب من خلال توزُّع الحوار بين الأطراف المتحاورة.

تمتزج العلوم السّابقة الذّكر مع التّداولية ليأخذ كلٌّ منها بطرف تؤسّس به منظومتها النّظرية لتصل في الأخير إلى مفهوم شامل لها؛ فهي ليست علما تقلـــيديا يتوقّـف عـند

---

[1] فرانسواز أرمينكو: المقاربة التّداولية. تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، الرّباط، 1986 ، ص8.

[2] مسعود صحراوي: التّداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة للطّباعة و النّشر، ط1، بيروت، لبنان ، 2005، ص25.

[3] فيليب بلانشيه: التّداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، ط1، اللاّذقية، سوريا، 2007 ، ص،ص18،19.

[4] بهاء الدّين محمد مريد: من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السّياسي. تبسيط التّداولية، شمس للنّشر و التّوزيع، ط1، القاهرة، 2010، ص 18.

حدود تفسير الظّاهرة اللّغوية بل هي « علم جديد للتّواصل يدرس الظّواهر اللّغوية في مجال الاستعمال »[1]و هي بهذا تشمل البنية اللّغوية و السّياق بكلّ مكوناته (المتكلّم، المخاطب، سياق التّخاطب) أي دراسة اللّغة في« الطّبقات المقامية المختلفة باعتبارها كلاما صادرا من متكلّم محدّد و موجَّها إلى مخاطب محدَّد في مقام تواصلي محدَّد لتحقيق غرض تواصلي محدَّد»[2].

I.3.1. التّداولية في النّقد العربي المعاصر:

إنَّ من أهمَّ ما صادف التّداولية في النّقد العربي المعاصر إشكالية المصطلح حيث تعدّدت التّسميات المقابلة للمصطلح الأجنبي pragmatique منها: البراغماتية، البراغماتيك، البراجماتية، البراجماتيك و ليس بين هذه المصطلحات فرق كبير كونها نقلا حرفيا للمصطلح الأجنبي ؛ و قيل التّداولية، المقامية، السّياقية، الذّرائعية، النّفعية، و بين هذه المصطلحات فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة لتكون مقابلا للمصطلح الأجنبي pragmatique و رغم هذا التّعدد المصطلحي إلاّ أنَّ النّقد اللّساني العربي المعاصر قد اعتمد مصطلح التّداولية، و يعود الفضل في ذلك إلى الباحث المغربي "طه عبد الرحمن" الذي أكّد أسباب اختيار هذا المصطلح دون غيره؛ « وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التّداوليات مقابلا للمصطلح الغربي "براغماتيغا" لأنّه يوفي المطلوب حقَّه باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال و التّفاعل »[3] ليصبح مصطلح "التّداولية" المصطلح المتداول في النّقد اللّساني العربي المعاصر.

---

[1] مسعود صحرواي: التّداولية عند العرب، ص 16 .

[2] المرجع نفسه، ص26 .

[3] يُنظر: طه عبد الرّحمن: في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي، ط2، الدّار البيضاء، المغرب ،2000، ص28.

لقد أخذت التّداولية مكانتها ضمن المناهج النّقدية نتيجة مقاربتها للّغة من زاوية مخالفة بدءا من " فردينان دوسوسير" f.Desaussure و ما شهدته الدّراسات اللّغوية على يده من تطوّر؛ لذا جاءت التّداولية لتنبِّه إلى ضرورة النّظر إلى اللّغة من خلال الاستعمال.

كما أخذت التّداولية مكانتها نتيجة الأفق المسدود الذي وصلت إليه التوليدية؛ لأنَّ « الملكة التي يحتاجها متكلّم اللّغة ليست تركيبية نحوية فقط، بل إنّها ملكة موسوعية مركَّبة تتشكّل من مختلف المعارف اللّغوية و الثّقافية »[1].

إنَّ أهمية المنهج التّداولي تكمن في قدرته على حلِّ بعض المشكلات التي أفرزها التّحليل اللّغوي الشّكلي من وجهة نظر المتكلّم و المخاطب معا « فمن وجهة نظر المتكلّم المشكلة هي مشكلة تخطيط لأننّا مع ما يؤثِّر في المخاطب من خطاب وفقا لمستوى توقّعاته، و من وجهة نظر المخاطب المشكلة هي مشكلة تأويل الملفوظ للوصول إلى المعنى الذي يريده»[2].

2.I. إجراءات التّداولية:

تتأسّس التّداولية على مجموعة من الإجراءات منها : أفعال الكلام و الاستلزام الحواري و متضمّنات القول و التي سنعتمدها في بحثنا تنظيرا و تطبيقا .

1.2.I. أفعال الكلام :Les actes de parole :

تعدّ نظرية أفعال الكلام أحد أهمّ اللّبنات التي تأسّست عليها اللّسانيات التّداولية، بل إنّها تشكِّل منعرجا حاسما في البحث اللّغوي المعاصر ومنطلقا تأسيسيا للكثير من النّظريات فيما بعد؛ خاصّة أنّها ترتبط بوظيفة اللّغة في عملية التّواصل حيث غيَّرت هذه

[1] جواد ختام: التّداولية أصولها و اتجاهاتها، كنوز المعرفة، ط1، عمان، 2016، ص 23 .

[2] آمال يوسف المغامسي: الحجاج في الحديث النّبوي. دراسة تداولية، الدّار المتوسطية للنّشر، ط1، الجمهورية التّونسية، 2016، ص119.

النّظرية النّظرة التّقليدية للّغة التي كانت محصورة في الوصف و الإخبار إلى كونها فعلا مجسّدا في الواقع.

I.1.1.2. "أوستين" و نظرية أفعال الكلام:

يعود الفضل في إرساء دعائم هذه النّظرية لـ "جون لونغاشو أوستين" John langshaw Austin" على الرّغم من أنّه لم يؤلف كتابا بل نشر فقط بعض المقالات و قام بترجمة أسس الأرمنتيكا لـ (فريخه) .

بعد وفاته سنة 1960 – حيث لم يبلغ الثّامنة والأربعين من عمره – قام طلبته بجمع محاضراته و صدر له كتاب في ثلاثة أجزاء: الجزء الأوّل: أوراق فلسفية ؛ الجزء الثّاني 1962: المعنى و الإحساس، الجزء الثّالث: كيف نصنع الأشياء بالكلمات How to do thing with words و الذي ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان :Quand dire c'est faire [1] حيث انطلق من مساءلته لوظيفة اللّغة و رأى أنّ وظيفتها تتجاوز الإخبار إلى « وظيفة التّأثير الاجتماعي في الآخرين عبر ما يعُرف بصيغ العقود أو الصّيغ الإنشائية »[2] فالملفوظ يتجاوز كونه ملفوظا لغويا إلى "فعل" على مستوى الواقع فهو إذا أداة لتغيير العالم إنّه « بمثابة عمل حقيقي يضاهي الحدث المادي المنجَز بواسطة اليدّ على سبيل المثال »[3]؛إذ يخضع الفعل لقصد المتكلّم حيث يكون هذا القصد الفيصل في تحديد غرض الفعل.

---

[1] سنعتمد الطّبعة التّالية :

J.L.Austin :Quand dire c'est faire.introduction, traduction et commentaire par Giles lane, Editon du seuil, Paris ، 1970.

[2] محمود يونس: مقدمة في علمي الدّلالة و التّخاطب، دار الكتاب الحديثة المتّحدة ، ط1، 2004 ،ص 35.

[3] فيليب بلانشية: التّداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة ، ص 55.

لقد انطلق " أوستن " من خلفية معرفية من خلال تأثره بالفيلسوف الألماني"غوتلوب فريجه g. frege و الفيلسوف النّمساوي " لودفيغ فيتجشتاين" l. wittgenstin"خاصّة فلسفته التّحليلية ؛كما أعطى أهمية كبرى لمقصدية المتكلّم.

I.2.1.1.1. الفعل الإنجازي و الفعل اللّغوي :

للأفعال التي ينتجها المتكلّم جانبان : جانب إنجازي و آخر لغوي :

أ . الفعل الإنجازي: l' acte performative : في محاضرته الأولى قسّم "أوستين" الملفوظات إلى ملفوظات خبرية énonces constatifs و ملفوظات إنجازية énonces performatifes فالملفوظات الخبرية « هي أخبار تتمثّل مهمّتها في وصف الظّواهر و المسارات أو حالة الأشياء في الكون »[1] أي وصف أحداث العالم الخارجي إذ يمكن الحكم عليها بالصّدق أو الكذب من خلال مطابقتها أو عدم مطابقتها للواقع، فإذا قلت: الجو بارد ؛ فهي جملة تخبرنا عن حال الجو و يمكن الحكم عليها بالصّدق إن كان الجو في الواقع باردا و بالكذب إن لم يكن في الواقع كذلك ؛أمّا الأفعال الإنجازية « هي أقوال لإنجاز ضرب مخصوص من العمل لا يمكن أن ينجز بشكل آخر....» [2] أي أنّنا ننجز فعلا حين التّلفظ و لا يمكن الحكم عليها الصّدق أو الكذب ؛ فإذا قال الرّجل لزوجته : أنت طالق فإنّه ينجز فعلا إذ تصبح الزّوجة طالقا حين التّلفظ أي أنّ قول شيء يعني إنجازه ؛ و يمكن الحكم على هذه الأفعال بالنّجاح أو الفشل و ليس بالصّدق أو الكذب .

[1] صابر الحباشة : لسانيات الخطاب الأسلوبية و التّلفظ و التّداولية، دار الحوار، ط1 ، سوريا ، 2010 ، ص 199.
[2] المرجع نفسه ، ص 200.

ب. الفعل اللّغوي و خصائصه:

للأقوال التي ينتجها المتكلّم جانبان : جانب لغوي و جانب إنجازي أي فعلي فما الفعل اللّغوي و ما خصائصه .

عرّف "ديكرو" الفعل اللّغوي بقوله :«كلّ نشاط يقوم به شخص معيّن و يمكن أن نحدّده انطلاقا من التّغيرات المتعلِّقة بالوضع الفيزيائي أو الاجتماعي للمتكلّم »[1] و يتميّز الفعل اللّغوي بأنّه ينجز فعلا أي يغيّر واقعا كما أنّه لا يخضع لمقياسَي الصّدق أو الكذب إنّما لمعيارَي النّجاح أو الفشل اللّذان يخضعان بدورهما لشرط المواضعة (convention) فإذا قال شخص ما : الجلسة مفتوحة و لم يكن هذا الشّخص رئيسا للجلسة فإنّ قوله يعتبر فاشلا إذ لا يترتّب عنه إنجاز أي فعل لأنّه لا يملك سلطة افتتاح الجلسة[2]؛ و قد قيّد " أوستن" الملفوظات الإنجازية بمجموعة من الشّروط ، إذ يؤدّي الالتزام بها إلى نجاح الفعل بينما يؤدي خرقها إلى الإخفاق[3]

1: أ: لا بد من توفّر إجراء عرفي مقبول يقتضي ألفاظا محدّدة يتلفظ بها أشخاص محدّدون في ظروف محدّدة ؛ فإذا كان الشّخص فاقدا الأهلية للقيام بالفعل و إذا كانت الملفوظات غير صحيحة و الظّروف غير ملائمة أدّى ذلك إلى الإخفاق.

ب: أن يكون الأشخاص مناسبين لهذا الإجراء و أن تكون الظّروف مناسبة ، فالطّلاق له إجراءاته العرفية المخصوصة مثل صيغة الطّلاق و كذا الشّخص المؤهّل(المناسب) لفعل الطّلاق (الزّوج).

[1] Oswald. Ducrot: dire et ne pas dire, collection Savoir Hermann , Paris , 1972 , P 77.
[2] Ibid ، P 77.
[3] J.L. Austin: Quand dire c'est faire, P 49.

2: أ: على جميع المشاركين تنفيذ الإجراء بطريقة صحيحة و كذا الابتعاد عن استعمال الملفوظات الغامضة كأن يقول أحدهم : سأهديك أحد كتبي و هو قد ألّف كتبا كثيرة.

ب: أن يكون الإجراء كاملا بين المشاركين فلا يمكن أن يتمّ الزّواج مثلا إلاّ بالطّلب و القبول و إلاّ اعتبر الفعل ناقصا.

3: أ: على المشاركين في الإجراء إلزام « أنفسهم واقعيا بما ينتج عنه السّلوك من عواقب و نتائج »[1] أي ما يترتّب و ما يتبع ذلك السّلوك ؛ فإذا قلت لولدك : سآخذك في رحلة نهاية الأسبوع و تراجعت عن وعدك له فقد أسأت الفعل .

إنّ هذه الشّروط كفيلة – إن توفّرت– أن تُؤكّد نجاح الفعل فإن خالفت الشّروط الأولى :(1(أ، ب) 2 (أ ،ب)) كان الإخفاق Misfires و إن خالفت (3 (أ، ب)) وقعت الإساءة Abuse.

غير أنّ " أوستين "– و رغم جهوده المضنية في التّمييز بين الملفوظات الإخبارية و الإنجازية –؛ توصّل إلى استحالة الفصل بينهما وفق الشّروط السّابقة ذلك أنّ بعض الملفوظات الخبرية التي تخضع للصّدق أو الكذب تحكمها شروط أخرى الأمر الذي جعله يدخل الأفعال الضّمنية مقابل الأفعال الإنجازية الصّريحة و للتّمييز بينهما نورد المثال التّالي الذي أورده صاحب كتاب "الملفوظية "[2] ففي الملفوظين "اذهب" و "آمرك أن تذهب" نلاحظ أنّ من يتجه إليه أيٌّ من هذين الملفوظين يكون قادرا على وصفهما سواء تعلّق الأمر بهذا أو ذاك ؛ فحينما أقول "إنّي آمرك بالذّهاب" فهو ملفوظ يتضمّن إشارة محدّدة حول الفعل الذي تنجزه ملفوظيته؛ إنّه أمر و لا شيء غير ذلك ؛ أمّا "اذهب" فهو ملفوظ

[1] أوستين:نظرية أفعال الكلام العامّة، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر:عبد القادر قينيني، إفريقيا الشّرق، المغرب 1991، ص 28.

[2] يُنظر: جان سيرفوني: الملفوظية . دراسة ، تر: قام المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص98.

غامض أو فيه لبس ؛ فقد يكون أمرا أو نصيحة أو رجاء ؛ فيكون " آمرك بالذّهاب" من الأفعال الإنجازية الصّريحة و يكون "اذهب" من الأفعال الإنجازية الضّمنية؛ إنّ هذه الازدواجية في التّأويل يساعدنا السّياق في تحديدها تحديدا صحيحا.

I.2.1.1.2. التّقسيم الثّلاثي لأفعال الكلام عند " أوستن" :

بدأت مرحلة النّضج لنظرية أفعال الكلام عند " أوستن" عندما وضع تقسيمه الثّلاثي فالمتكلّم عندما يتلفظ بقول ما فإنّه ينجز أفعالا كلامية ثلاثة أي « الطّرق العديدة التي يكون فيها قول شيء ما هو فعل شيء ما أو في قول شيء ما نؤدي شيئا ما أو عن طريق قول شيء ما نؤدّي شيئا ما »[1] أي ما الذي نقوله و ما الذي نقصده من فعل القول و ما الذي يمكن أن يحدثه فعل القول في المتلقي ؛ أي ما الذي نقوله و ماالذي نقصده و ما الذي يمكن أن يحدثه المتكلّم في المستمع من خلال فعل القول ؛ و هي التي تمثّل أقسام الفعل الكلامي عند "أوستين".

أولاً: فعل الكلام التّلفظي: **acte locutoire**:

و هو فعل القول أي (ما الذي نقوله) [2] أي تلك الأصوات التي يصدرها المتكلّم و التي ينتج عنها معنى و دلالة و ينقسم إلى ثلاثة عناصر يستدعي كلّ واحد منها الآخر بشكل تراتبي [3]:

أ: الفعل الصّوتي acte phonétique: و هو النّطق بأصوات تنتمي إلى لغة ما.

---

[1] صلاح إسماعيل عبد الحقّ: التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد ،دار التّنوير للطّباعة و النّشر، ط 1، بيروت ، لبنان ، 1993، ص183.

[2] المرجع نفسه : ص 194.

[3] ينظر: نصيرة الغماري : نظرية أفعال الكلام عند أوستين .مجلة اللّغة و الآداب ع 17 ، 2006، قسم اللّغة العربية و آدابها ، كلية الآداب و اللّغات ،جامعة الجزائر ، ص 82.

ب: الفعل التّعبيري acte phatique: أي إنتاج رصيد من الكلمات تكون خاضعة لقواعد نحوية وصرفية صحيحة.

ج: الفعل الإحالي acte rhétorique : أي دلالة تلك الكلمات بأدائها للمعنى.

ثانيًا: فعل الكلام الغرضي acte illocutoire: أي أنّ المتكلّم حين يتلفظ فهو ينجز معنى قصديا أي تأثيرا مقصودا و عليه فإنّ عملية إنجاز الفعل و تحقّقه متعلقة بقصد المتكلّم و فهم السّامع لهذا القصد إذ أنّ « القيمة الغرضية الماثلة في فعل القول التّلفظي تخضع للمقام الذي تنجز فيه العملية التّواصلية و المواضعة اللّسانية الاجتماعية و أخيرا لعلاقات المتخاطبين»[1] ؛و قد وضع " أوستين" ثلاثة معايير يمكن من خلالها تحديد الفعل اللّغوي [2]:

- أنّه منجز في القول نفسه و ليس بفعل ناتج عن القول.
- أنّه قابل للتّأويل أي حسب السّياق نتيجة خاصّيته اللّسانية الاجتماعية.
- يمكن تحديده بواسطة صيغة ما.

ثالثًا: فعل الكلام التّأثيري acte perlocutoire:

أي ما يحدثه المتكلّم من تأثير على مشاعر و أفكار و سلوكيات المستمع أي «يفعل المرء شيئا ما عن طريق القول»[3]؛ غير أنّ تحقيق التّأثير ليس شرطا لنجاح الفعل التّأثيري فهذه « التّأثيرات ليست نتيجة ضرورية و لازمة في كلّ أفعال الكلام فهناك أفعال

[1] المرجع نفسه: ص86 .

[2] J.L.Austin :Quand dire c’est faire, p 113.

[3] صلاح إسماعيل عبد الحقّ : التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 203.

كلام لا تتبعها تأثيرات كلامية سوى إدراك المخاطب لقصد المتكلّم »[1] و لشرح هذه الأفعال الثّلاثة نورد المثال التّالي:

فإذا قلت: لا تكتب بالقلم على الطّاولة ؛ تتضمّن الجملة فعلا قوليا (فعل الكلام التّلفظي) أي مجموعة من الأصوات المكونة للجملة أي الكلمات التي تخضع لقواعد اللّغة العربية و تراكيبها ؛أمّا (فعل الكلام الغرضي) فهو معنى الجملة و هو نهي التّلميذ عن الكتابة على الطّاولة بالقلم ؛ أمّا (فعل الكلام التّأثيري) أي فعل التّأثير فيتمثّل في مدى ما يحدثه النّهي من تأثير على التّلميذ.

I.2.1.1.3. أقسام الأفعال الكلام عند "أوستين":

قسّم " أوستين" الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام هي[2]:

- **الحكميات Les verdictifs** و هي كلّ فعل يدلُّ على إصدار حكم.
- **القرارات Les éscercitifs** و هي كلّ فعل يدلُّ على اتخاذ قرار أو ممارسة في صالح شخص أو ضده مثل الأوامر و النّصائح.
- **الوعديات promissif** كلّ فعل يعبّر به المتكلّم عن تعهّد بفعل مثل التزم، إعطاء ضمانات.
- **السّلوكيات comportatifs** كلّ فعل يعبِّر عن سلوك المتكلّمين مثل شكر، اعتذر، استحسن.
- **العرضية éscpositifs** كلّ فعل يدلّ على الإيضاح أي توضيح وجهة النّظر مثل اعتراف استفهام.

[1] هشام عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللّغة الحديث و المباحث اللّغوية في التّراث العربي و الإسلامي ، مكتبة لبنان ، ناشرون الشّركة المصرية العالمية للنّشر ، لونجمان ، ط 1 ، 2007 ، ص 91.

[2] J.l. Austin : Quand dire c’est faire, p – p 153-163.

I.2.1.2. "جون سيرل" و نظرية أفعال الكلام:

يعدّ ما قام به " أوستين " نواة نظرية أفعال الكلام، بل لا يمكن الحديث عن الدّرس اللّغوي المعاصر و عن أفعال الكلام دون التّطرق إلى ما جاء به " أوستين " ؛ غير أنّ نظريته لم تتبلور و لم تكتمل إلى أن جاء تلميذه "جون سيرل" john searle" فيما بعد ليتناول آراء أستاذه بالتّعديل و التّقويم و الإضافة إذ حاول وضع نظرية أكثر دقّة و يمكن إجمال ما جاء به "سيرل" فيما يلي:

- وضع تقسيما رباعيا للأفعال الكلامية بدل ثلاثة حيث أبقى على الفعلين (الإنجازي و التّأثيري) اللّذين أقرّهما أستاذه " أوستين" فنحن حين ننطق بجملة نقوم بأربعة أفعال:

أولاً: فعل القول acte dénonciation : أي التّلفظ بألفاظ طبقا للقواعد النّحوية و الصّرفية و التّركيبية لتلك اللّغة.

ثانيًا: الفعل القضوي acte propositionnel: يقابل الفعل الدّلالي عند " أوستين" و قد قسّمه "سيرل" إلى قسمين: الفعل الإحالي acte de réference و الفعل الحملي acte de prédication أي الإسنادي، أي أن تسند نسبة المحمول إلى الموضوع المحال عليه:

- فلو قلنا: أحمد يجتهد في دراسته.
- لو يجتهد أحمد في دراسته.
- هل يجتهد أحمد في دراسته.

فإنّ المحتوى القضوي للجمل الثّلاث (اجتهاد أحمد) أمّا المرجع فهو (أحمد).

ثالثًا: الفعل الإنجازي :**acte illocutionnaire**: أي مقصد المتكلّم من التّلفظ، فهو في الجمل الثّلاث الماضية يختلف ففي الأولى الإخبار و في الثّانية التّمنى و في الثّالثة الاستفهام.

رابعًا: الفعل التّأثيري :acte perlocutionnaire: أي تأثير فعل القول على المستمع غير أنّ "سيرل" لم يعطه أهمية كبيرة لأنّه حسب رأيه « ليس من الضّروري عنده أن يكون لكلّ فعل تأثير في السّامع يدفعه إلى إنجاز فعل ما ».[1]

- جعل "سيرل" شروطا أربعة للفعل الكلامي إذا تحقّقت يتحقّق الفعل و هي شروط الملاءمة:[2]

أ. شرط المحتوى القضوي règle du contence propositionnel: أي أن يكون للكلام معنى قضوى و هو المعنى الأصلي للقضية.

ب. الشّرط التّمهيدي règle d'introduction: و يرتبط بثقة المتكلّم من قدرات المستمع على إنجاز ذلك الفعل.

ج. شرط الإخلاص règle de s'incérité: و يرتبط بصدق المتكلِّم و إخلاصه في أداء الفعل.

د. الشّرط الجوهري (الأساسي) règle éssentielle: يتحقّق حين يؤثر المتكلّم في السّامع لانجاز الفعل.

[1] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 2002،ص 73.

[2] Voire J.R .Searle: Les actes de langage, Essai de Philosophie du Langage, Herman, Paris, 1972, p 111.

- ربط "سيرل" بين الفعل الكلامي و العرف اللّغوي الاجتماعي أي عدم اقتصاره على مقصدية المتكلّم.
- ميّز "سيرل" بين الأفعال اللّغوية المباشرة و الأفعال اللّغوية غير المباشرة حيث تُطابق في الأولى قوتها الإنجازية؛ أي قصد المتكلّم فيكون قصده مطابقا مطابقة حرفية لما قال؛ أمّا الأفعال اللّغوية غير المباشرة فهي « التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلّم فالفعل الإنجازي يؤدّي على نحو غير مباشر من خلال فعل انجازي آخر»[1] فلو قلت: هل تناولني الملح ؟؟ فإنّ معناه الحرفي هو الاستفهام بدليل أداة الاستفهام (هل) و في الحقيقة السّائل لا ينتظر جوابا؛ بل المراد هو أنّه يطلب الملح بطريقة مهذّبة؛ لذا فإنّ القوّة الإنجازية لهذا القول تخالف قوّته الحرفية.

لقد وضع "سيرل" ثلاثة فروق يمكن من خلالها التّمييز بين الأفعال اللّغوية المباشرة و الأفعال اللّغوية غير المباشرة :[2]

- أنّ القوّة الإنجازية للأفعال المباشرة تظلُّ ملازمة لها في مختلف المقامات أمّا غير المباشرة فهي موكلة إلى المقام الذي يحدّد قوّتها الإنجازية.
- يمكن إلغاء القوّة الإنجازية للأفعال غير المباشرة.
- القوّة الإنجازية غير المباشرة يمكن التّوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية قد تكون بسيطة أو معقدة؛ أمّا القوّة الإنجازية للأفعال المباشرة فتُؤخذ من تركيب العبارة مباشرة.

[1] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص 81.

[2] يُنظر: المرجع نفسه ، ص 83.

عندما نتكلّم عن القوّة الإنجازية فهي عند" أوستن" « ما ينبغي أن يعنيه مصطلح "الغرض" أو الغاية من الفعل الكلامي »[1] غير أنّ " سيرل " ميّز بيــن القوّة و الغـــرض فالغرض الإنجازي للالتماس هو ذاته الغرض الإنجازي لأنواع الطّلب .. لأنّ كلّ منها محاولة لجعل المستمعين يفعلون أشياء محدّدة و لكن القــوى الإنجازيــة بينها تختلف اختلافا بيّنا «فالقوّة و الغرض عنصران مكمّلان للمعنى ، القوّة درجة و الغرض وظيفة»؛[2] لذا يمكن تعديل القوّة الإنجازية للمنطوق حسب رغبة المتكلّم و ذلك باعتماد إستراتيجية معيّنة كتلطيف المنطوق أو استخدام عناصر معجمية معينة و إشارات صريحة و يلجأ المتكلّم إلى ذلك من أجل نقل المعنى المرتبط بسلوك المتكلّم وتصرّفاته اتجاه القضية التي يُعبّر عنها ؛ أو من أجل التّعبير عن معنى تأثيري أو عن سلوك المتكلّم إزاء المخاطب في سياق المنطوق [3].

I.1.2.1.2. أقسام أفعال الكلام عند "سيرل":

قسّم "سيرل" أفعال الكلام إلى خمسة:[4]

- **الإخباريات assertives**: غرضها بيان اعتقاد المتكلّم بخبر ما أو قضيّة ما ، في مثل هذا النّوع من المقولات يجعل كلماته مناسبة أو مطابقة للعالم الخارجي و هو من خلال المقولة يبين اعتقاده بقضية ما غير أنّ درجة الاعتقاد تختلف.

[1] محمد العبد: تعديل القوّة الإنجازية دراسة في التّحليل التّداولي للخطاب ، مجلة فصول ،ع 65 ،2005، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ، ص 140.

[2] المرجع نفسه ، ص 141.

[3] يُنظر : المرجع نفسه ، ص145.

[4] يُنظر : هشام عبد الله الخليفة : نظرية الفعل الكلامي ، ص 125 و ما بعدها.

- **التّوجيهات Directives**: و غرضها جعل المخاطب يقوم بعمل ما و المتكلّم في هذه الحالة يريد أو يرغب في تحقيق وضع في المستقبل يكون فيه العالم الخارجي مطابقا لكلماته.
- **الإلزاميات commissives**: تشترك مع الأفعال التّوجيهية في كونها محاولة لتغيير العالم الخارجي حتّى يُطابق الكلمات ؛ لكن في الأفعال الإلزامية المتكلّم هو نفسه الذي يتعهّد بالقيام بالفعل.
- **التّعبيريات éscpréssifs**: المغزى من هذه المقولات التّعبير عن حالة نفسية يحدّدها شرط صدق النيّة.
- **الإعلانيات:déclaratifs** : و هي التي يتغيّر العالم بعد النّطق بها و تتجلى أهميتها كونها منطلق اكتشاف " أوستين" لنظرية أفعال الكلام إضافة إلى كونها تؤثّر على المستوى الشّخصي و كذا على المستوى الجماعي.

I.2.2. الاستلزام الحواري: L'implication conversationnelle :

I.2.2.1."غرايس" و الاستلزام الحواري :

يُعدُّ الاستلزام الحواري من أهمّ الإجراءات التي تقوم عليها التّداولية ،و يعود البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس" في جامعة "هارفرد" سنة 1967 "منطق المحادثة" و أخرى سنة 1971 "الافتراض المسبق و الاقتضاء التّخاطبي".حيث حاول وضع أسس للعملية التّخاطبية إذ لاحظ تعذّر الوصول إلى معاني الكلام إذا اقتصر المتكلّم و المستمع على ظاهر الكلام فهناك « نوع من التواصل "غير

المعلن " (الضّمني) بحجّة أنّ المتكلّم يقول كلاما و يقصد غيره كما أنّ المستمع يسمع كلاما و يفهم غير ما يسمع » [1] .

لقد انطلق "غرايس" من فكرة: أنّ اللّغة يمكن أن تؤدّي معان صريحة و أخرى ضمنية أي حول ما يقوله المرسل و ما يقصده؛ فقد يقصد النّاس ما يقولون و قد يقصدون عكس ما يقولون و قد يقصدون غير ما يقولون لذا سعى "غرايس" إلى البحث عن الآليات التي بها نفرّق بين ما تعنيه الألفاظ أي المعنى الحرفي للألفاظ و بين ما يقصده المرسل أو ما يريد إيصاله إلى المرسل إليه بطريقة غير مباشرة و هنا تتحدّد قدرة المرسل إليه على التّأويل الذي يعتمد أيضا على معطيات مقامية هي التي توجِّه قصد المرسل و تضمن السّير الحسن للعملية التّواصلية ؛ لذا يتجاوز الخطاب كونه بنية لغوية لها معنى حرفيا إلى معاني ضمنية فالمتكلّم عندما يتكلّم ينجز فعلين لغويين : فعلا لغويا مباشرا و فعلا لغويا غير مباشر وبالتّـالي يصـبح للقول قوّتان:« قوّة إنجازية حرفية وهي القوّة الإنجازية المدلول عليها بصيغة الجملة (استفهام ، أمر ، خبر...) »[2] أمّا القوّة الإنجازية المستلزمة فهي « غير المطابقة للنّمط الجملي و النّاتجة عن نوعين مختلفين من الاستلزام :

استلزام مقالي و استلزام مقامي »[3] فالقوّة الإنجازية المستلزمة مقاليا هي التي تنعكس في بنية الجملة أمّا القوّة الإنجازية المستلزمة مقاميا فهي المتولّدة عن المقام[4] .

---

[1] االعياشي أدراوي : الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني ، من الوعي بالخصوصيات النّوعية للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها ، منشورات الاختلاف ، ط 1 ، الجزائر ، ص7.

[2] أحمد المتوكّل :دراسات في نحو اللّغة الوظيفي،مطبعة النّجاح الجديدة ،الدّار البيضاء، المغرب، 1986، ص 161.

[3] أحمد المتوكل :الخطاب و خصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة و البنية و النّمط ؛ الدّار العربية للعلوم ، ناشرون ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، ط1 ،الرّباط ، المغرب ،2010، ص، ص 50 ،51.

[4] المرجع نفسه ،ص، ص 50،51.

لقد وضع "غرايس" مجموعة من القواعد تنطوي تحت "مبدأ التّعاون" و هو مبدأ عام يحكم المحادثة حيث يسعى الطّرفان إلى التّعاون لإنجاح العملية التّواصلية لذا « فإنّ التّفاعلات الحوارية تبلغ مقاصدها بمقتضى التّعاون القائم بين أطراف الحوار و هو ما يتطلّب أن يكشف المتحاورون عن مقاصدهم أو على الأقل التّوجه العام لهذه المقاصد»[1]؛ يشمل هذا المبدأ أربعة مبادئ: (الكمّ، الكيف، المناسبة و الجهة) و انتهاك هذه المبادئ أو الخروج عن إحداها يؤدّي إلى اختلال العملية التّواصلية فينتقل الكلام من معناه الظّاهر إلى معناه الخفي، أي من الصّريح إلى الضّمني ؛ لذا فإنّ العملية التّواصلية لا تنطلق من فراغ إنّما تراعي مجموعة من المرجعيات اللّسانية و غير اللّسانية.

I.2.2.2.قواعد مبدأ التّعاون:[2] يحدّدها "غرايس " في أربع قواعد:

I.1.2.2.2.الكمّ quantité: أي نقول ما هو ضروري و لا نزيد أكثر من الضّروري و لا ننقص:

- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تتعدّى القدر المطلوب.

I.2.2.2.2. الكيف qualité: نقول ما ينبغي قوله على أحسن وجه متوخيا النّزاهة على أساس المعلومة الكافية:

- لا تقل ما تعلم كذبه.
- لا تقل ما ليس لك عليه بيّنة.

[1] العياشي أدراوي : الاستلزام الحواري في التداول اللّساني ، ص98.

[2] ينظر: فيليب بلانشيه: التّداولية من أوستن إلى غوفمان: تر: صابر الحباشه، ص،ص 84،85.

I.3.2.2.2.العلاقة: أو الإفادة ؛أي نقول أشياء مفيدة لها علاقة بالمحادثة:

- ليناسب مقالك مقامك.

I.4.2.2.2. الجهة Modalité: أي التكلّم بوضوح: أي تجنب الغموض:

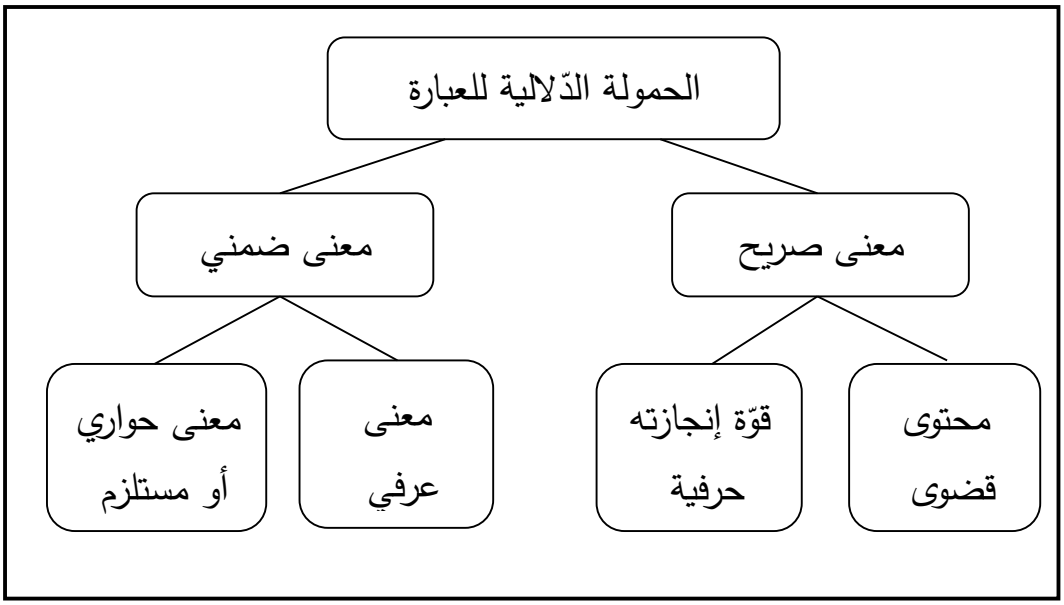
- لتحترز من الالتباس.
- لتحترز من الإجمال.
- لترتّب أفكارك.
- لتتكلّم بإيجاز.[1]

I.3.2.2.الحمولة الدّلالية للعبارة :

إنّ هذه القواعد « ترسم للمشاركين في الحوار ما يجب عليهم أن يقوموا به لكي تتمّ عملية التّحاور بالطّريقة المثلى القائمة على التّعاون و العقلانية و الفعالية »[2] ؛ غير أنّ خرق هذه القواعد أو خرق إحداها يؤدّي إلى الانتقال إلى معاني ضمنية لذا تحمل كلّ عبارة لغويّة حمولة دلالية على أساسها يكون لدينا معاني صريحة و أخرى ضمنية يجملها (المتوكّل) في الشّكل التالّي:

[1] طه عبد الرحمن:اللّسان و الميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص 238.

[2] العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري ، ص111.



I.1.3.2.2. المعاني الصّريحة: و هي التي تدلُّ عليها صيغة الكلمة اللّغوية الحرفية و تشمل:

أ. المحتوى القضوي: أي مجموع معاني مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب. القوّة الإنجازية الحرفية: و هي القوّة الدّلالية المؤشر لها بأدوات تصيغ الجملة بصيغة أسلوبية كالاستفهام و النّفي و النّهي...

I.2.3.2.2.المعاني الضّمنية: و هي المعاني التي لا تدلّ عليها صيغة الجملة بالضّرورة لذا تدخل عناصر السّياق لتحديد دلالتها و هي تشمل:

أ. المعاني العرفية: و هي الدّلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطا أصيلا و تلازم الجملة ملازمة في مقام معين.

ب.المعاني الحوارية: و هي التي تتولّد طبقا للمقامات التي تنجز فيها الجملة.[1]

إنّ خرق قواعد التّخاطب هي التي يتولد عنها معنى ضمنيا أي ما يسمّى بالاستلزام الحواري الذي يعني«عمل المعنى أو لزوم الشّيء عن طريق قول شيء آخر أو قل إنّه شيء يعنيه المتكلّم و يوحى به و يقترحه و لا يكون جزءا مما تعنيه الكلمة بصورة حرفية».[2]

I.4.2.2.خصائص الاستلزام الحواري: يتميّز الاستلزام الحواري بالخصائص التّالية:[3]

✓ يمكن إلغاؤه: و يكون بإضافة قول يسدّ الطّريق أمام الاستلزام أو يحول دونه.

✓ لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدّلالي فلا ينقطع الاستلزام الحواري مع استبدال المفردات و العبارات.

✓ متغيّر: إذ أنّ التّعبير الواحد يمكن أن يُؤدّي إلى استلزامات مختلفة حسب سياقات مختلفة.

I.3.2.متضمّنات القول:Implicites:

إجراء تداولي مهمّ نظرا لوظيفته الأساسية في العملية التّواصلية؛ إذ كثيرا ما نقصد أكثر مما نقول يقول " فان دايك" :« لقد لاحظنا مرّات عديدة أنّ لغة التّخاطب الطّبيعي ليست صريحة ذلك أنّه توجد قضايا لا يقع التّعبير عنها تعبـيرا مباشـــرا و لـكن يمـكن

[1] ينُظر: أحمد المتوكّل : اللّسانيات الوظيفية : مدخل نظري ، منشورات عكاظ ،ص، ص 25 ،26.

[2] صلاح إسماعيل عبد الحق: نظرية المعنى في فلسفة بول غرابس، الدّار المصرية السّعودية، ط1 ،القاهرة ، 2005، ص 78.

[3] ينُظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، ص، ص 38،39.

استنتاجها من قضايا أخرى قد عبر عنها تعبيرا سليما »[1] فالأمر إذا يتعلّق برصد جملة من الظّواهر المتعلّقة « بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامّة كسياق الحال و غيره »؛[2] لقد رفض " ديكرو "حصر وظيفة اللّغة في الإخبار لأنّ التّسليم بذلك يعني أنّ كلّ الأقوال صريحة ؛ذلك أنّ الواقع يؤكّد أنّنا في أحيان كثيرة نقول أكثر ممّا نتكلّم أي أنّنا نُضمّن أقوالنا أكثر من معناها الحرفي و من هنا تتجلى أهمية "الضّمني" الذي يلجأ إليه المتكلّم لأسباب يحصرها " ديكرو" في ما يلي:[3]

- وجود محظورات لسانية؛ أي ألفاظ محظورة و كذا مواضيع محظورة محاطة بنوع من الصّمت؛ فبعض الأحداث و المشاعر التي لا يمكن الحديث عنها: لذلك نلجأ إلى الضّمني الذي يمنحها فرصة القول مع إمكانية الاحتماء وراء المعنى الحرفي للقول أي دون إرغامنا على تحمّل مسؤولية أقوالنا.
- هناك بعض الاتجاهات و التيّارات الفكرية التي تلجأ إلى الضّمني لنشر أفكارها خوفا من المعارضة.

I.1.3.2. أقسام متضمّنات القول: تحوي متضمّنات القول؛ المقتضى و القول المضمر.

[1] فان دايك: النّص والسّياق ،استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي التّداولي، تر: عبد القادر قنيني ،إفريقيا الشّرق، المغرب،2000 ، ص 156.

[2] محمود عكاشة: النّظرية البراجماتية اللّسانية (التّداولية)، دراسة المفاهيم و النّشأة و المبادئ، مكتبة الأدب، القاهرة 2013، ص 83.

[3] Ducrot : dire et ne pas dire ,collection Savoir , Hermann ,Paris , p-p 5-6

I.2.3.2.1.1.المقتضي: présuposition :

يُطلق عليه البعض مصطلح "الافتراض المسبق"[1] و هو صنف من المضمرات في بنية اللّغة ؛ أي أنّه يحدّد على أساس معطيات لغوية فهو موجود في اللّغة إذ يوجه المتكلّم خطابه إلى المتلقي على اعتبار ما يفترض أنّه معلوم لديه مسبقا؛ فالمتخاطبون ينطلقون من معطيات مسبقة تحدِّدها المعرفة المشتركة بينهما أي « الخلفية التّواصلية الضّرورية لتحقيق النّجاح في عملية التّواصل و هي محتواة ضمن السّياقات و البنى التّركيبية العامّة » [2]؛ فإذا قلنا: مازال جاك يدخّن نستنتج أنّ جاك كان يدخّن فيما سبق[3] فهو إذا « ذو طبيعة لسانية بمعنى أنّه يتمّ إدراكه عن طريق العلامات اللغوية التي يتضمّنها القول» [4] و من خصائصه أنّنا إذا أدخلنا الاستفهام أو النّفي على الجملة المثبتة لم يتغيّر مقتضى الجملة فإذا قلنا:

مازال جاك يدخّن يقتضي أنّ جاك كان يدخّن فيما سبق فإذا أدخلنا الاستفهام والنّفي:

هل مازال جاك يدخّن .

لم يعد جاك يدخّن.

فإنّ المقتضى في الجملتين هو نفس مقتض الجملة المثبتة؛كان جاك يدخّن فيما سبق:

---

[1] مصطلح أطلقه الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريخه) و يطلق عليه طه عبد الرّحمن (الإضمارات التّداولية) ينظر : طه عبد الرّحمن: اللّسان و الميزان: ص 113.

[2] مسعود صحراوي : التّداولية عند العرب ، ص،ص 30، 31.

[3] O. Ducrot : le dire et le dit, les éditions de minuit , Paris , 1984 , p 18.

[4] عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النّظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ،الجزائر،2008 ،ص113.

و يرى "ديكرو" أنّ للاّقتضاء وظيفة تتمثّل في الشّرط الأساسي للتّماسك العضوي للخطاب و أنّها تضمن بأنّ الأقوال تنتمي إلى الحوار و أنّها تمثّل نصّا واحدا و ليس مجموعة من الأحاديث المستقلة و حتّى و إن اعتبرناها حشوا فإنّ دورها لا يُستهان به في إنجاح العملية التّواصلية و في حفاظ الخطاب على تماسكه.

I.2.2.3.1.القول المضمر Les sous-entendus :

يُطلِق عليه البعض مصطلح" المفهوم" و هو « جملة من المعلومات التي يحتويها الخطاب و لكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث »[1] فهو من المضمر الذي يرتبط بوضعية الخطاب و مقامه عكس المقتضي الذي يتحدّد على أساس معطيات لغوية فهو مسجّل في اللغة [2]؛ إذ للقول حمولة دلالية يكشف عنها سياق القول فإذا قلنا: جاك لا يكره التّبغ فإنّ المتكلّم يتفادى التّصريح بحب جاك للتّدخين ليتهرّب من مسؤوليته أمام المستمع[3] لذا فالقول المضمر يتميّز بعدم استقراره إذ يمكن للمتكلّم الاحتماء وراء المعنى الحرفي لكلامه و يترك مسؤولية تأويل الملفوظ للمخاطب[4] إضافة إلى أنّ قائمة التّأويلات تبقى مفتوحة يحدّدها السّياق؛ كما أنّ القول المضمر لا يخضع للنّفي و الاستفهام لأنّ المعنى الحقيقي للقول سيختفي بإدخالها على الكلمة المثبتة.

[1] Catherine Kerbrat-Orecchioni : L'implicite, Armand Colin, Paris, p39
[2] Alain Boissinot : Les textes argumentatifs, collection Didactiques , Bertrand - Lacoste 1992 p p 20-21.
[3] O. Ducrot : le dire et le dit, p-p 15-16
4 Ibid :p19.

II. الحوار : الآليات و الإجراءات:

II .1. الحوار: لغة :

جاء في" لسان العرب" : «الحور : الرّجوع عن الشّيء و إلى الشّيء، حار إلى الشّيء و عنه حورا و محارا و محارة و حوورا ؛ رجع عنه و إليه .

و كلّمته فما رجع إلي حَوارا و حِوارا و مُحاورة و حويرا و محورة بضمّ الحاء بوزن مشورة أي جوابا »[1].

و جاء في "المقاييس" « الحاء و الواو و الرّاء ثلاثة أصول، أحدها لون و الآخر الرّجوع و الثّالث أن يدور الشّيء دورانا »[2].

إنّ ما يمكن استنتاجه من الدّلالة اللّغوية للحوار أنّه تبادل قولي بين طرفين تقتضي مبادرة الأوّل بالكلام ردّ الثّاني.

II.2. الحوار اصطلاحا :

تختلف الدّلالة الاصطلاحية للحوار حسب الحقول المعرفية التي تتناوله و يرى "طه عبد الرحمن" « أنّ الأصل في الكلام هو الحوار... و الأصل في الحوار هو الاختلاف»[3] ؛ لذا فهو يرتبط بالفطرة الإنسانية.

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، مج2 ، ص 1043.

[2] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللّغة : تحق : عبد السّلام محمد بن هارون ، ج2 ، دار صادر للطّباعة و النّشر و التوّزيع ،1989 ، ص 115.

[3] طه عبد الرحمن: الحقّ العربي في الاختلاف الفلسفي ،المركز الثقافي العربي، ط2، الدّار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص 27.

II .3. الحوار مكوّن سردي :

الحوار أحد الأدوات السّردية – إضافة إلى السّرد و الوصف – و يكون « دائما صادرا عن الذّات و معبّرا عن باطنها و هو صائر إليها و موجّه في الحقيقة نحوها »[1] إذ تتحرّر فيه الشّخصية من سلطة الرّاوي حيث تتولّى بنفسها مهمّة القصّ، الأمر الذي يؤدّي إلى تعدّد الأصوات و تغيّر مستوى اللّغة و تعدّده ممّا يؤدّي إلى تعدّد الرّؤى ؛ و من خصائص هذه الأداة تساوي زمني الحكاية و القصّة أي « اللّحظة التي يتطابق فيها زمن السّرد بزمن القصّة من حيث مدّة الاستغراق »[2].

II .4. الحوار من منظور تداولي :

الحوار ضرورة إنسانية تضمن للإنسان محافظته على نوعه و بالتّالي بقاءه و هو بهذا « فعل تواصلي بين المتكلّم و المتلقي و يتحقّق في موقف سياقي و فضاء ثقافي و اجتماعي»[3] يتأسّس هذا الفعل التّواصلي على تبادل طرفي الحوار ضمن سياق معيّن قصد التّأثير و التّأثر .

و إذا كان الأصل في الكلام هو الحوار –كما قال "طه عبد الرحمن "– و أنّ الأصل في الحوار الاختلاف ؛فإنّ الحوار بكلّ دلالاته لا يخرج عن كونه « متوالية من الرّسائل أو الأفعـــال الكلاميـــة يتداولهـــا واحد أو أكثر من المشاركين أو قل إنّه فعالية

[1] صادق قسومة : طرائق تحليل القصّة ، دار الجنوب للنّشر ، تونس ، ص 255.

[2] حميد لحميداني : بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي ،المركز الثّقافي العربي للنّشر و التّوزيع ، الدّار البيضاء ، المغرب ،2000 ، ص 78.

[3] عبد الرّحمن بودرع: منهج السّياق في فهم النّص، كتاب الأمة ع 111 وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، قطر، 2006 ، ص51.

لغوية اجتماعية و عقلانية غايتها إقناع المعترض العاقل بمقبولية رأي من الآراء و ذلك عبر تقديم جملة من القضايا المثبتة أو النّافية لما ورد في هذا الرّأي من قضايا » [1].

II.5. أطوار الحوار:

يمرّ الحوار بأربعة أطوار[2]:

- **الطّور التّنازعي:** حيث يتمّ بسط الخلاف أي تعيين المسألة التي يدور حولها الحوار.
- **الطّور الانفتاحي** :حيث يتحدّد دور المدّعي العارض للدّعوى و كذا دور المعترض الذي يكون مستعدّا للاعتراض على دعوى المدّعي ، مع الاتفاق على وضع آليات تنظّم سير الحوار .
- **الطّور الحجاجي** : حيث يعتمد كلّ من المدّعي و المعترض على الحجج لإثبات الدّعوى أو نقضها.
- **الطّور الختامي** : حيث يتمّ حلّ الخلاف إمّا بالإعراض عن الرّأي المعروض فيكون النّجاح للمعترض و في هذه الحال على المدّعي تعديل رأيه أو تقليد رأي مخالف لرأيه السّابق ؛ و إن كانت النّهاية الاعتراض عن الاعتراضات الموجّهة للرّأي المعروض كان النّجاح للمدّعي و في هذه الحال على المعترض القبول بدعوى المدّعي.

II .6. أهميّة الحوار :

يرى "طه عبد الرّحمن " أنّ للحوار أهميّة آلية و أهميّة داخلية و أهميّة خارجية .[3]

---

[1] رشيد الرّاضي : الحجاج و المغالطة . من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2010 ، ص 111.

[2] يُنظر: المرجع نفسه ، ص،ص 111،112.

[3] يُنظر : طه عبد الرحمن : الحوار أفقا للفكر شّبكة العربية للأبحاث و النّشر ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2013 ،ص 28 و ما بعدها.

- **الأهمية الآلية** : يعطيك الحوار حقوقا ؛ حقّ الاعتقاد و حقّ القول و حقّ الانتقاد؛كما يُوجِب عليك واجبات ؛فمن اعتقد شيئا أو ادّعى دعوى لابدّ من أن يستدلّ عليها كما لابدّ للمنتقد الذي يطالب بالأدلّة أن يستمع أوّلا إلى أدلّة المدّعي قبل الدّخول في الاعتراض عن دعواه و عليه فإنّ الحوار هو المجال الذي يُمارس فيه الإنسان قوّته الاستدلالية و بقدر امتلاكك قوّة الاستدلال فإنّك تمتلك سير الحوار.
- **الأهميّة الدّاخلية** :يعود الحوار بالإنسان إلى الحقيقة الأصلية و هي أنّ الإنسان (جمع) و ليس (فرد) و بالتّالي فمتى ما دخل الإنسان في حوار مع الآخرين نمّى قدرته الاستدلالية و أدّى ذلك إلى معرفة الذّات نفسها .
- **الأهمية الخارجية**: تقوم على ضرورة الحوار مع الآخر كيفما كانت آراؤه و معتقداته؛ لأنّ في ذلك معرفة للذّات و معرفة للآخر و زيادة في تنمية القوّة الاستدلالية و تحقيق إنسانية الإنسان.

II .7. بين الحوار و المحاورة و الجدل :

II .1.7. بين الحوار والمحاورة :

جاء في" لسان العرب "« و المحاورة : المجاوبة ، و التّحاور التّجاوب »[1]و هي شكل من أشكال « التّفاعلات الشّفهية التي تمتدّ عبر مستويات الحياة الإنسانية المختلفة إذ تعتمدها في الأحاديث اليومية العادية كما تعتمدها في العلاقات العملية وغيرها من التّفاعلات المؤسساتية»[2] أي أنّها تندرج ضمن التّفاعل اللّفظي مع ما لهذا التّفاعل من دور في إحداث التّأثير بين الأطراف المتبادلة فيما بينها باللّغة و هي بهذا تقوم على تعدّد

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج 2 ، ص 1043 .

[2] حسن بدوح : المحاورة :مقاربة تداولية ،عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ص 81.

المشاركين و تشمل كلّ مستويات المجتمع و طبقاته إذ يتمّ تبادل الكلام وفق نظام التّناوب ممّا يؤدي إلى المحافظة على صيرورتها و إن أُخترق هذا النّظام أدّى إلى الفوضى.

تتميّز المحاورة عن أشكال التّفاعل الأخرى بما يلي : [1]

- أنهّا وحدة لسانية .
- هي علاقة تفاعلية سواء أكانت لفظية خالصة أو لفظية حركية .
- هي علاقة تفاعلية تبادلية تتكوّن وحدتها الدّنيا من زوج من الأجوبة التي تكون في الواقع مُنتجَة من قبل متحاورين مختلفين .
- تستدعي مشاركَين على الأقل يتمتّعان بنفس الحقوق في دورة الكلام .
- هي نشاط يتميّز بالعفوية و المجانية حيث لا يتعلّق المشاركون عن أية أهداف سوى المحاورة نفسها.
- أّنها وحدة محدّدة في الزّمان و المكان.

من هنا يمكن أن تتميّز المحاورة عن الحوار بما يلي:

من النّاحية اللّغوية كلاهما تحاور بين طرفين ، و إذا كان الحوار يهدف إلى الإقناع فإنّ المحاورة لا تهدف إلى ذلك بالضّرورة لأنّها يمكن أن تتبني على الاختلاف بينما الحوار ممارسة تهدف إلى رفع الخلاف بين المتحاورين لتقريب وجهات النّظر. [2]

II .2.7. بين الحوار و الجدل:

جاء في" لسان العرب" « الجدْلُ : شدّة الفتل : و جدلتُ الحبل أجْدِلُهُ جدْلا إذا شددت فتْله و فتلته فتلا محكما و منه قيل لزمام النّاقة الفتيل .

[1] المرجع نفسه ، ص 84.

[2] ينُظر : المرجع نفسه ، ص ،ص 86، 87.

و الجَدَلُ : اللّدد في الخصومة والقدرة عليها .... و قد جادله مجادلة و جدلا... ورجل جدل و مجدل و مجدال: شديد الجدل ... و يقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته... و رجل جدِل إذا كان أقوى في الخصام، و جادله أي خاصمه مجادلة و جدالا... و الاسم الجدل و هو شدّة الخصومة »[1]

و جاء في " المقاييس" « جدل : الجيم و الدّال و اللاّم أصل واحد و هو من باب استحكام الشّيء في استرسال و يكون فيه امتداد الخصومة و مراجعة الكلام »[2] ؛ فالأصل في الجدال –إذن– « الصّراع و إسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة و هي الأرض الصّلبة »[3].

و يعرّفه "الطّوفي " بقوله: « ردّ الخصم عن رأيه إلى غيره بالحجّة أو يقال علم أو آلة يتوصّل بها إلى فتل الخصم عن رأيه إلى غيره بالدّليل»[4] فالجدل من خلال هذه التّعريفات لا يخرج عن معنى الخصومة، غير أنّ منه المحمود (المجادلة بالتّي هي أحسن) من أجل إظهار الحقّ أمّا إذا كان يعتمد الغشّ و المغالطة فهو مذموم.

أمّا إذا رجعنا إلى أصل كلمة جدل عند الإغريق فهي مشتقة من الإغريقية Dialegeim المتكوّنة من legeim أي الكلام و من السّابقة Dia التي تعني وجود طرفين تنشأ بينهما علاقة كلامية فتمنحها معنى التّبادل و الحوار غير أنّ هذه العلاقة الكلامية المتبادلة لا تنبني على الإفادة و التّعليم و التّأثير و التّسليـــم بـل على

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، مج 1 ،ص 569 و ما بعدها.

[2] ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ج1 ، ص 433.

[3] الرّاغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ،تحق: محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة للطّباعة و النّشر و التّوزيع ،بيروت، لبنان ص90.

[4] نجم الدّين الطّوفي الحنبلي: علم الجذل في علم الجدل، تحق: قولفهارت هاينرشيس دار فرانز شتاينر بقيسبادن، 1987 ، ص7.

وجه الخصومة و الدّحض و الاعتراض[1] فالجدلي عند "أرسطو" هو « القادر على الكلام في الشّيء و ضدّه وصوغ القضية و نقيضها إثباتا و نفيا و دعما و دحضا »[2] أي أنّ الجدل كما يصوّره اليونان هو فنّ الخصومة الكلامية؛ و يُطلق على « المشادّة الكلامية التي تهدف إلى تحقيق الغلبة لما اعتنق من مذهب و لما اتخذ من رأي و إلحاق الهزيمة بالمخالف و من هنا قالوا الجدل و الجدال هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة»[3].

فالجدل « مضنّة التّعصب و الإصرار على نُصرة الرأي بالحقّ و بالباطل و التّعسف في إيراد الشّبه و الظّنون حول الحقّ إذا برز من الاتجاه الآخر»[4] إذن مراجعة الكلام شأنه في ذلك شأن الحوار غير أنّه يتأسّس على إلزام الأطراف بعضها البعض فكلاهما مراجعة الكلام غير أنّهما يختلفان في الآلية و الأهداف.

III. الحجاج الآليات و الإجراءات :

III .1. الحجاج لغة:

جاء في " لسان العرب" « يقال حاججته أحاجُّه حجاجا و محاجّة حتّى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... و الحجّة: البرهان و قيل: الحجّة ما دوفع به الخصم، و قال الأزهري: الحجّة: الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة و رجل محجاج أي جدِل.

---

[1] يُنظر : عبد الله البهلول : الحجاج الجدلي خصائصه الفنية و تشكلاته الأجناسية في نماذج من التّراث اليوناني والعربي ، ط1، 2013 ، ص15.

[2] المرجع نفسه ، ص16.

[3] محمد التّومي: الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ، شركة الشّهاب للنّشر و التّوزيع ،باب الواد ، الجزائر،ص 8.

[4] سعد عبد الله عاشور : ضوابط الحوار مع الآخر ، مجلة الجامعة الإسلامية ،سلسلة الدراسات الإسلامية نمج 16 ،ع الأوّل 2008 ،ص 84.

و التّحاج: التّخاصم، و جمع الحجّة: حجج و حجاج، و حاجّه محاجة و حجاجا: نازعه الحجّة...و حجّه يحجه حجا: غلبه على حجّته »[1] فالحجاج عند "ابن منظور" هو الخصومة و الغلبة بواسطة الحجج؛ و الحجّة هي الدّليل الذي يعتمده المحتج لغلبة خصمه.

و يعرفه صاحب "أساس البلاغة" بقوله :« احتج على خصمه بحجّة شهباء و بحجج شهب و حاجّ خصمه فحجّه؛ و فلان خصمه محجوج، و كانت بينهما محاجّة و ملاجّة »[2]؛ إذ لا يخرج حدُّ الحجاج عن كونه خصومة بين طرفين إذ يسعى كلّ طرف إلى الدّفاع عن رأيه متوسِّلا الحجج؛ بل يتجاوز إلى حدّ إفحام المتلقي و محاولة إرغامه على التّسلم بما يريده المتكلِّم.

III .2. الحجاج اصطلاحا:*

يصعب حصر مفهوم واحد للحجاج نتيجة تعدّد الحقول المعرفية التي تناولته من بلاغة قديمة و فلسفة و دراسات قانونية و لسانيات و كذا الدّراسات الأدبية و النّقدية الحديثة و المعاصرة.

يُعرفه "طه عبد الرحمن" بقوله :« كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها »[3] و هو خطاب يروم قصودا أربعة « قصد التّوجه إلى الآخر و قصد إفهامه مرادا

مخصوصا... إضافة إلى قصدين معرفيين قصد الإدّعاء و قصد الاعتراض»[4]؛ يختصّ الإدّعاء بالمتكلّم صاحب الدّعوى الذي يلتزم بإقامة الحجّة على دعواه كما يحقّ

---

[1] ابن منظور: لسان العرب ، مج2 ، ص 779.

[2] الزّمخشري: أساس البلاغة، ج1، ص 169.

* سنكتفي بتحديد طه عبد الرحمن للحجاج لأننا سنتناوله بالدّراسة فيما يلي من الدّراسة (الحجاج الخطابي واللّساني).

[3] طه عبد الرحّمن: اللّسان و الميزان، ص 226.

[4] المرجع نفسه، ص 225.

للمعترض – و هو المخاطب – الاعتراض على دعوى المدّعى و له هو الآخر الحقّ في الإدلاء بحجج الاعتراض لذا يمكن للمدّعي و المعترض تبادل دوري الادعاء و الاعتراض؛ إذ يسعى كلّ طرف إلى « تغيير نظام المعتقدات و التّصورات و السّلوكيات لدى المتلقي بواسطة الوسائل اللّغوية و المنطقية »[1] قصد التّأثير في المتلقي و إقناعه بآرائه.

III.3. التّداولية و الحجاج:

لقد حاولت التّداولية معالجة الحجاج كفعل تداولي من خلال إبراز أهمية السّياق وكذا العلاقات التّخاطبية التي تحدّدها مراتب المتكلّمين و التي تتحكّم في اختيار أفعال الكلام كما وقفت على أهميّة بنية القول من خلال الرّوابط الحجاجية و كذا ترتيب الحجج و علاقاتها فيما بينها أو ما يطلق عليه السّلالم الحجاجية التي تسهم في التّأثير في المتلقي.

III .4. بين الحجاج و الجدل و البرهان و الاستدلال و الحوار:

III .1.4. الحجاج و الجدل:

سبقت الإشارة إلى أنّ الجدل يرتبط بالغلبة و هو بهذا لا يخرج عن كونه تفاعل قولي و إن كان كلّ طرف يسعى إلى غلبة الآخر و إذا تتبعنا علاقة هذا المصطلح بالحجاج نجد أنّ "ابن منظور" يجعله مرادفـا لـه يقول : « و هو رجل محجاج أي جدل»[2]؛ كما جعل بلاغيونا القدماء الجدل مرادفا للحجاج إذ نجد " الزّركشي" في "البرهان

[1] آمال المغامسي: الحجاج في الحديث النّبوي الشّريف ، ص 19.

[2] ابن منظور: لسان العرب ، مج2 ، ص 779.

في علوم القرآن" في الفصل المعنون "في معرفة جدله"[1] لم يورد لفظ الجدل بل نجد تواتر لفظ المحاجّة (2مرّة) و (الاحتجاج) (1مرّة) ممّا يعني ترادفهما عنده.

و في "الإتقان في علوم القرآن" "للسيوطي" و في جزئه المعنون "في جدل القرآن" نجد له مرادفا آخر و هو "المذهب الكلامي" الذي يورده "ابن أبي الأصبع" مرادفا للحجاج-إنّه- أي الحجاج – الذي هو مرادف للمذهب الكلامي- « إنّه احتجاج المتكلّم على ما يريد إثباته بحجّة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرب الكلام »[2] و بالتّالي يكون الحجاج مرادفا للجدل إذا كان المذهب الكلامي مرادفا للحجاج و

يقسِّم "السّيوطي" المذهب الكلامي أي علم الجدل إلى السّبر و التّقسيم و التّسليم و الإسجال و الانتقال و المناقصة و مجاراة الخصم ليعثر.[3]

غير أنّ "الطّاهر بن عاشور" يذهب مذهبا مخالفا إذ جعل الجدل أعمّ من الحجاج و وضع فرقا جوهريا بينهما يقول :« حاجّ: خاصم و هو فعل جاء على زنه المفاعلة و لا يعرف في الاستعمال فعل مجرّد دال على وقوع الخصام و لا تعرف المادة التي أشتق منها و من العجيب أنّ الحجّة في كلام العرب: البرهان والمصدّق للدّعوى مع أنّ حاج لا تُستعمل غالبا إلاّ بمعنى المخاصمة...و أنّ الأغلب أنّه يفيد الخصام بباطل »[4] أمّا الجدال « و المجادلة: مفاعلة من الجدل و هو القدرة على الخصام و الحجّة فيه و هو منازعة بالقــول لإقـــناع الغير برأيك و منه يسمّى علم قواعد المناظرة و الاحتجاج في

---

[1] أبو عبد الله بدر الدّين محمد بن عبد الله بن بهادر لزّركشي : البرهان في علوم القرآن ،مج 2، تحق:محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي ، دار المعرفة ، ط1 ، بيروت ، لبنان ،1957 ، ص 24 و ما بعدها.

[2] الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن السّيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2 دار بن كثير للطّباعة و النّشر و التوّزيع ط5، دمشق، بيروت، ص 1054.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 1057 و ما بعدها.

[4] محمد الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير ،ج 3 ، الدّار التّونسية للنّشر ، تونس ، 1984 ،ص، ص 31،32.

الفقه علم الجدل»[1] إنّ الذي يجمع بين الحجاج و الجدل- حسب "بن عاشور"- هو المخاصمة؛ غير أنّ الحجاج يقوم على الباطل بينما يقوم الجدال على الحقّ و الباطل؛ كما أنّ الجدال أعمّ من الحجاج.

أمّا "طه عبد الرحمن" فيرى أنّ الحجاج « فعالية تداولية جدلية... و هو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع و أغنى من البنيات البرهانية الضيّقة »[2].

إنّ الذي يمكن استنتاجه من هذه التّحديدات- للحجاج و الجدل- أنّهما يقومان على الخصومة؛ غير أنّ الحجاج يقوم على الحجج و بالتّالي هدفه الإقناع بينما هدف الجدل الغلبة.

III .2.4. بين الحجاج و البرهان:

البرهان « يقين يفيد علم الشّيء على ما هو عليه في الوجود بالعلّة التي هو بها موجود؛ مقدّماته صادقة و أولية و لا تحتاج إلى أن نبرهن عليها و علمه بديهي و ضروري و كلّي »[3] فهو إذا استدلال يتميّز باليقين و القطعية؛ كما يمكن أن يكون صحيحا أو خاطئا و لا توجد حالة ثالثة بينهما فقضاياه مُلزِمة؛ كما يمكن الاقتصار في البرهان على دليل واحد و لا يشترط تعدّد الأدلة للتّسليم بنتائجه ؛ في المقابل فإنّ الحجاج لا يعني البرهنة على صدق القضية و إثباتها؛ كما أنّ مجاله هو الخطاب الذي لا يقوم على الاستنتاج المنطقي إذ لا تؤدّي المقدّمات إلى نتائج حتمية لأنّ « الأصل في الحجاج أنّه نشاط عقلي قائمعلى حسن اختيار الحجج و صوغها و تنظيمها و إلقائــها أو

[1] المرجع نفسه : ج5، ، 194 .

[2] طه عبد الرّحمن: في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، ص 65.

[3] عبد الله البهلول: الحجاج الجدلي خصائصه الفنية و تشكُّلاته الأجناسية في نماذج من التّراث اليوناني و العربي، ص 63.

إخراجها... أو لهيئة المحاج و ملابسه و كذا عواطف السّامعين و أهواءهم»[1] و كلّها تلعب دورا مهمّا في توجيه الخطاب قصد الإقناع؛ الذي لا يكون حتميا إذ يمكن نقض النّتائج؛ كما أنّ الحجاج لا يقاس بمقياس الصّدق و الكذب إنّما بمقياس القوّة و الضّعف و الفشل و النّجاح لأنّ غايته التّأثير في المتلقي.

III .3.4. بين الحجاج و الاستدلال:

يعرف "أرسطو" الاستدلال بقوله :« قول إذا وضعت فيه أشياء لزم عنها شيء آخر بالضّرورة لمجرد وضع الأشياء الأولى»[2] أي أنّه عملية عقلية تؤدّي إلى نتيجة لازمة من مقدِّمات و قد ميّز "ديكرو" بين الاستدلال و الحجاج مقرا انتمائهما إلى حقلين مختلفين « فالأوّل يتّصل بالمنطق حيث يكون ترابط الألفاظ مؤسّسا لا على الملفوظات نفسها و إنّما على محتواها القضوى أي ما تُصرِّح به أو يُفترض أن تُصرِّح به حــول العالم لذلك يجوز أن تنطبق عليها شروط الصّدق و الكذب »[3]؛ أمّا الحجاج فيرتبط بحقل الخطاب؛ حيث يكون « اتساق الملفوظات داخليا مبنيا على الملفوظات نفسها أي حول المعنى و ليس حول ما تحيل إليه في العالم الخارجي».[4]

III 4.4. بين الحجاج و الحوار :

إذا كان الحوار – كما سبق الإشارة إليه – « فعل تواصلي بين المتكلّم و المتلقي و يتحقّق في موقف سياقي و فضاء ثقافي و اجتماعي »[5] فإنّنا سنتناول موضوع الحوار الحجاجي من خلال دراسة العلاقة الموجودة بين الحوار و الحجـــاج مــن خـــلال مـا

[1] زاهر عواض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، مكتبة نور ، ط 3 ،1404هـ، ص 70.

[2] روبير بلانشي: الاستدلال، تر: محمود اليعقوبي، دار الكتاب الحديث، 2003، القاهرة، الكويت،الجزائر، ص ،09.

[3] جواد ختام: التّداولية أصولها و اتجاهاتها، ص145.

[4] O. Ducrot : Les échelles argumentatives, les éditions de minuit, Paris, 1980, p10.

[5] عبد الرحمن بودرع: منهج السّياق في فهم النّص، كتاب الأمّة ع 111، ص51.

عرضناه من مفهوميهما لذا فإنّ مفهوم الحوار الحجاجي يتكوّن من ملفوظين ؛ الحوار الذي هو تواصل و تفاعل بين طرفين و حجاجي الذي هو نعت للحوار يعتمد الحجّة فهو وصف للحوار خاصّة و أنّ الحوار هو مجال الحجاج الخصب أي « مجال القوّة الاستدلالية للإنسان فعن طريقه تستطيع أن تُظهِر قوّتَك العقلية و قدرتك الاستدلالية وبقدر ما تملك من آليات الاستدلال فإنّك تمتلك سير الحوار و هكذا فإنّ الحوار هبة إلهية للإنسان تمُكّنُه من تطوير أساليب استدلالية على الأشياء»[1]إذ فيه تُعرض الحجج والحجج المضادّة و بذلك فإنّ« موضوع دراسة الحجاج هو المقام التّحاوري و التّداول والتّحادث »[2].

III .5. أهمّ الدّراسات المتعلّقة بالحجاج :

III .1.5. الحجاج في الفكر اليوناني:

لا شكّ أنّ محاولة فهم ما توصّلت إليه الدّراسات الحديثة حول الحجاج لا تكتمل دون الرّجوع إلى الإرث اليوناني في ميدان البلاغة حيث أولى أهمية بالغة لفن الكلام المرتكِز أساسا على الإقناع الذي له تأثيره في الوالقد ركّز فلاسفة اليونان على فني الخطابة و الجدل لما لهما من دور في الإقناع مع ما شهده هذا التّركيز من تفاوت ويمكن لنا أن نُعرِّج على فكر هؤلاء حتّى يتسنّى لنا معرفة ما قدّموه حتّى وصلت نظرية الحجاج إلى ما هي عليه الآن.

[1] طه عبد الرّحمن : الحوار أفقا للفكر، ص ، ص 28،29 .

[2] كريستيان بلانتان:الحجاج ، تر:عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، ص 34.

III .2.5. الحجاج عند السّفسطائين:

السفسطائية تيار فكري ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد و « الصّفة سوفيستاس Sophistes كانت في الأصل لقب تقدير تعني في معناها الاشتقاقي الحكيم و الرّجل ذا الكفاءة المتميّزة في كلّ شيء »[1]إذ أفتتن السّفسطائيون بفن القول و ردّوا كلّ علم و كلّ قوّة اقتصادية لسلطة القول و قد مارسوا تعليم أبناء الأعيان هذه السّلطة لتهيئتهم للأخذ بزمام السّلطة.

لقد تأسّست ممارسة السّفسطائيين للحجاج من النّفعية المتعلّقة باللّذة لا النّفعية المتعلّقة بالخير « لذّة الاستهواء بالنّسبة إلى المقول إليه و لذة النّفع بالنّسبة إلى القائل »[2] و أكّدوا من خلال ذلك على ما للقول من سلطة « للاحتيال على الحقيقة »[3] و قد استخدمت السّفسطائـــية في الخطابـات السّياسية أسلوب الجدل التّضليلي الذي يراد به التّضليل و التّدليس و الخداع و التّمويه و سائر ضروب الغشّ ؛« جدال يتلبّس أشكال المنطق ،ليست الجدلية السّفسطائية بعلم إنمّا مهارة و حرفة و براعة تهدف إلى التّجادل والتّنافس و التّبارزو التّبرير من أجل التّغلّب على الخصم و مضايقته أو الاستهزاء به » [4] لذا لاقى السّفسطائيون معارضة شديدة أوقعتهم في صراع خاصّة مع "أفلاطون".

---

[1] هشام الرّيفي: الحجاج عند أرسطو، صمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية، منشورات كليّة الآداب ، جامعة منوبة ، تونس ، ص ،54.

[2] المرجع نفسه، ص ،60.

[3] الطّلبة محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النّقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، لبنان 2008، ص، 27.

[4] كلود يونان : التّضليل الكلامي و آليات السّيطرة على الرّأي .الحركة السّفسطائية نموذجا . بحث في فلسفة التّضليل الكلامي الدّعائي الإعلامي السّياسي ، دار النّهضة العربية ، منتدى سور الأزبكية ، ص 27.

III .3.5. الحجاج عند أفلاطون:

تصدى "أفلاطون" للسّفسطائيين معتمدا إستراتيجية (الكشف) كما يسميها "هشام الرّيفي"[1] أي كشف القناع عن مغالطات السّفسطائيين و مزاعمهم و ألاعيبهم من خلال التّركيز على نصوصهم خاصّة و أنّ حجاجهم « يزيّف استعمال القول لأنّه يقوم على التّملق Flattrie و التّملق تسلط بالقول ماكر مقنع »[2] لذا حاول "أفلاطون" إقامة مشروع بديل يجعل الخطابة جدلية من خلال المقابلة بين العلم و الظّن حيث يتولّد عنهما : إقناع يعتمد العلم و هو مفيد لأنّه يكسب الإنسان معرفة و إقناعا آخر يعتمد الظّن و هو موضوع الخطابة السّفسطائية يقوم على الممكن و المحتمل و هو غير مفيد، لذا فالخطابة عند "أفلاطون" تقوم على الظّن و هي بهذا تحقّق اللّذة لكنّها لا تحقّق الفضيلة من هنا يأتي مشروع "أفلاطون" الذي يعتمد «معياري العلم و الخير أساسا لكلّ حجاج أو بلاغة مجُدِيَين ينفعان الفرد و المجتمع و هو معيار يمكن التّعبير عنـــه بأنّــه قيمي »[3]؛ و هو مشروع يسعى إلى محاربة الظّن و الخداع و في المقابل يتأسّس على أركان ثلاثة: «اعتماد المنهج الجدلي ،معرفة أنواع النّفوس و ما يناسبها من أقاويل و معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب».[4]

[1] هشام الرّيفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب ، أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية ، ص 62.

[2] المرجع نفسه، ص 81.

[3] الطّلبة محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النّقد المعاصر، ص 28.

[4] هشام الرّيفي: الحجاج عند أرسطو ، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص ،ص 80، 81..

III .4.5. الحجاج عند أرسطو:

ينطلق المشروع الأرسطي من تحديد العلاقة بين الخطابة و الجدل إذ « يعتمدان على المحتـــمل أي مـــا يسلّم به النّاس »[1] فالجدل خطاب تُراعى فيه « اعتقادات واقتناعات المخاطب لأجل تثبيتها أو تعديلها و إلى خطاب يتوسّل به الفلاسفة لإبلاغ أفكارهم الفلسفية إلى عامّة النّاس أي ضرب من الخطاب التّعليمي لمواد فلسفية »[2]؛ أمّا الخطابة فهي ترتبط « بمقامات مخاطبة الجموع مخاطبة شفوية لغاية الإقناع و تحفيز الفعل»[6]؛ لذا فإنّ جوهر الخطابة مخاطبة العوام من خلال أجناس الخطابة الثّلاثة التي أقرها "أرسطو"؛ في المحاكم حيث تُلقى الخطب القضائية و في الجمعيات الشّعبية حيث تُلقى الخطب الاستشارية و في الألمبياد حيث تُلقى الخطب الاحتفالية أي أنّ "أرسطو" اعتنى بالخطابة « باعتبارها خطاب الحشود و في المحافل السّياسية و القضائية والاحتفالية القومية »[3] ؛ إنّ هذه العلاقة التي أكّدها "أرسطو" بين الخطابة و الجدل تجعل الحجاج قاسما مشتركا بينهما؛ إذ اعتبر الحجاج عملية فكرية تنطلق من مقدّمات لتصل إلى النّتائج الأمر الذي جعل "أرسطو" يميّز بين نوعين من الحجاج: حجاج جدلي و آخر خطابي إذ أنّ « الحجاج الجدلي ذو مجال فكري خالص فهو عادة ما يكون بين شخصين يحاول كلّ منهما إقناع صاحبه بوجهة نظر معيَّنة و أمّا الحجاج الخطابي فمجاله توجيه الفعل و تثبيت الاعتقاد أو صنع الاعتقاد فهو موجّه كما قلنا للجماهير »[4] لذا يرتبط الحجاج الخطابي بالمغالطات و الخداع و الإيهام بالحقيقة نتيجة تزييفه للواقع .

---

[1] محمد الولي: مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو و شايم برلمان، عالم الفكر، مج 40 أكتوبر، ديسمبر ،2011 المجلس الوطني للثّقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 25 .

[3] محمد الولي: حول الاستعارة عند أرسطو ، ص 36.

[4] سامية الدّريدي:الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه،عالم الكتب الحديث، أربد، ط2،الأردن، 2011، ص 18.

إنّ التّأثير الذي أقرّه "أرسطو" يتأسّس بواسطة ثلاثة وسائل؛ « فمنها ما يكون بكيفية المتكلّم و سَمْتِه و منها ما يكون بتهيئة السّامع و استدراجه نحو الأمر و منها ما يكون بالكلام نفسه قبل التّثبيت »[1] و هي الوسائل الثّلاث التي أطلق عليها (الإيتوس، الباتوس، اللّوغوس) أي الباث و ما يتمتّع به من قبول لدى المتلقي و هو الطّرف المهمّ في العملية الإقناعية لأنّ التّأثير يقوم عليه: لذا على الباث معرفة الوسائل التي يتوسّل بها لإقناع المتلقي؛ أمّا (اللّوغوس) فيشمل الحجج التي يتوسّمها الباث للإقناع أي أنّ الدّور الإقناعي للباث و المتلقي لا يتمّ « إلاّ بالاستناد على الخطاب نفسه أي إنّ المظهر الذّاتي الذي أكسب بـــه ثقــة المستمـــع و الحالات النّفسية التي أذكيها أو أخمدها في المتلقي يتحقّقان بالمهارة الخطابية لحظة إلقاء الخطبة »[2] أمّا (الباتوس) فترتبط بالمستمع.

III.5.5. الحجاج بعد أرسطو و انحسار دور الخطابة:

انحسر دور الخطابة بعد "أرسطو"خاصّة و أنهّا ارتبطت بالمغالطات أي تزييف الواقع و تعتبر مؤلّفات "ديكارت" "Descartes" أهمّ عامل ساهم في انحسار دور الخطابة من خلال رفضه للجدل معتمدا على العقل للوصول إلى حقيقة واحدة.

و قد أوردت "سامية الدّريدي" جملة من الأسباب أدّت إلى انحسار دور الخطابة نجملها فيما يلي:[3]

* ظهور بعض الفلاسفة التّجريبيين خاصّة الانجليز الذين اعتمدوا التّجربة وسيلة للوصول إلى الحقيقية في حين تعتمد الخطابة على الأسلوب لذا فهي تبتعد عن التّجريب؛ أي عن الحقيقة.

---

[1] أرسطو طاليس:الخطابة: تر:عبد الرحمان بدوي:التّرجمة العربية القديمة وكالة المطبوعات،الكويت، دار القلم بيروت، 1979، ص 10.

[2] محمد الولي: حول الاستعارة عند أرسطو، ص 36.

[3] ينظر: سامية الدّريدي: الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه ، ص 19 و ما بعدها.

* ظهور التّيار الوصفي Le positivisme الذي رفض الخطابة باسم الحقيقية العلمية حيث استبدلت البلاغة بفقه اللّغة و بتاريخ الآداب.

* ظهور التيّار الرّومنطيقي خاصّة في فرنسا حيث اختفت الخطابة من المدارس الفرنسية و استبدلت بتاريخ الآداب اليونانية و اللاّتينية و الفرنسية.

III.6.5. الحجاج الخطابي :

تأسست الخطابة الجديدة على يد رجل القانون"شايم برلمان" "Chaim Perelman" و اللّسانية البلجيكية "لوسي ألبريخت تيتكاه""Lucie Olbrechts-Tyteca" حين أصدرا كتابا "Traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique"

يتألّف الكتاب من ثلاثة أقسام[1]:

- **القسم الأوّل:** أُطُر الحجاج: les cadres de l'argumentation.
- **القسم الثّاني:** منطلقات الحجاج: les points de départs de l'argumentation.
- **القسم الثّالث:** التّقنيات الحجاجية les téchniques argumentatives.

يحيلُ العنوان – و كذا محتوياته– إلى بعث البلاغة اليونانية وفق رؤية جديدة تهدف إلى تخليص الحجاج – الذي ارتبط بالبلاغة– من المغالطات و من صرامة الاستدلال الذي يجعل المتلقي يُذعن و يسلِّم لما يُقال نتيجة اعتماده المنطق البرهاني الذي يُلزم المتلقي التّسليم بالنّتائج.

[1] سنعتمد:

Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca: Traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique, Edition de l'université de Bruxelles, 6ème édition, 2008.

و كذلك: عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج. الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتكاه. ضمن كتاب: أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية. إشراف: حمادي صمود. منشورات جامعة منوبة. تونس.

III .1.6.5. تعريف الحجاج:

هو « درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤّدي بالأذهان إلى التّسليم بما يُعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد من درجة ذلك التّسليم »[1] فالغرض من الحجاج إذًا التّأثير في المتلقي لإذعانه نتيجة ما يقال له أو زيادة درجة الإذعان أو على الأقل: «جعل السّامعين مهيئين لذلك العمل في اللّحظة المناسبة»[2].

III .2.6.5. بنية الخطاب الحجاجي:

III .1.2.6.5. منطلقات الحجاج: les prémises de l'argumentation:

III.1.1.2.6.5المقدمات الحجاجية: les prémises de l'argumentation:

وهي منطلقات الحجاج و أساسه؛ بل إنَّ حسن اختيارها و طريقة صياغتها وعرضها و ترتيبها يُعدُّ تقنية حجاجية في حدِّ ذاته[3] لِما لها من دور في شدِّ انتباه المتلقي و دفعه إلى التّفاعل مع ما يقال، إذ لا يكون ذلك إلاّ بالانطلاق ممَّا هو مشترك بينهما لأنَّ الانطلاق من الاختلاف يؤدّي إلى الاعتراض و بالتّالي إلى المواجهة.

أولاً: أنواع المقدمات الحجاجية:

حصر الباحثان المقدِّمات الحجاجية في ستّة أنواع :

- **الوقائع: les faits** [4]: و هي نقطة انطلاق جيدة للحجاج كونها تنطلق ممَّا هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع النّاس، و هي معرَّضـــة للشّك أو الدّحـض.

---

[1] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation, P5.

[2] عبد الله صولة: الحجاج أُطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 299.

[3] ينظر: المرجع، نفسه، ص308 .

[4] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation , P 89 .

.

- **الحقائق: les vérités** [1]: تقوم على مفاهيم فلسفية أو دينية أو على نظريات علمية متفق عليها.
- **الافتراضات**[2]: الافتراضات شأنها شأن الوقائع و الحقائق؛ فهي من المتفق عليه من عامّة النّاس غير أنَّ الإذعان و التّسليم بالافتراضات تزداد قوّته بوجود عناصر أخرى تزيد من قوّة ذلك الإذعان و التّسليم؛ مثل طبيعة المتكلّم و المستمع و كذا الوسط الذي قيلت فيه.
- **القيم: les valeures**[3]: و هي التي ينبني عليها الحجاج بكلّ ضروبه و هي التي تجعل المتلقي يذعن لما يعرض عليه من أفكار و آراء و هي نوعان: قيم مجرّدة مثل: الحقّ و العدل و قيم محسوسة مثل :الوطن.
- **الهرميات les hiérarchies** : تخضع القيم المحسوسة و المجرّدة التي ينبني عليها الحجاج للتدرُّج وفق سُلَّم معيَّن[4]؛ فالإنسان مثلا أعلى درجة من الحيوان؛ فهذا التّدرج الهرمي يبرّر انطلاقا من القيم التي تحملها.

إنَّ التّسليم بالقيم وفق هرمية معيّنة هو الأهمّ من القيم نفسها لأنّ تسليم الجمهور يكون متفاوتا، الأمر الذي يعني أنَّ القيم درجات؛ لذا فما يميِّز متلقٍ عن آخر ليس القيم إنَّما ترتيبه لتلك القيم وفق هرمية معينة[5].

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته،من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتكاه ، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص 309.

[2] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation , P 93

[3] عبد الله صولة : الحجاج : أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج .الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاه ضمن كتاب : أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص 310.

[4]. Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation , P 107.

[5] Ibid **:** P 109

ثانيًا: المواضع: les lieux :الموضع « فكرة مشتركة مقبولة لدى جمهور واسع و عليها يرتكز الاستدلال في اللّغة»[1]و هو أحد المبادئ الحجاجية التي يلجأ إليها المتخاطبون لحملهم على قبول النّتيجة ؛ و المواضع عدّة أنواع:

- **مواضع الكمّ lieux de quantité**: فشيءٌ ما أفضل من شيء آخر لأسباب كميّة كأفضلية الفضل الكثير عن الفضل القليل[2].
- **مواضع الكيف lieux de qualité** : و هي المواضع التي تثبت أنَّ قيمة الشّيء مستمدّة من وحدانيته مثل الحقّ الذي لا يُعلى عليه مهما كثُر خصومه[3].
- **مواضع التّرتيب lieux de l'ordre**: كأفضلية السّابق على اللاّحق[4].
- **مواضع الموجود lieux de l'existance** : كأفضلية الموجود على المحتمل والممكن[5].

إنَّ هذه المقدّمات تبقى غير فاعلة ما لم يحسِن المُحاجِج اختيارها مع ما يتوافق وطبيعة المتلقي، و هو ما أطلق عليه "برلمان" "الحضور" "la présence" أي «استحضار العنصر المنتقى للمحاجَّة و جعله ماثلا بين أعين المخاطبين و في أذهانهم»[6] قصد التّأثير فيهم؛ و يمكن أن يتأتّى للمحاجج ذلك باختيار الصّفات التي يكون اختيارها كاشفا لموقف المحاجج، إضافة إلى إخضاع تلك الحجج لطريقة عرض ناجعة، إذ تعدُّ طريقة العرض شرطا ضروريا لنجاعة أي محاجَّة هدفُها التّأثيــر، كمــا لا

---

[1] شكري المبخوت: الحجاج في اللّغة ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،ص 380 .

[2] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation **,** P 115**.**

[3] ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 312.

[4] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation **,** P 126

[5] Ibid , P 126.

[6] عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 314.

يجب الفصل بين الشّكل والمضمون في عرض الحجج؛ إذ « لا يمكن دراسة البُنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية، فمتى ما ينشأ في الخطاب من تناغم وإيقاع وغير ذلك من الظّواهر الشّكلية المحضة يمكن أن يكون له تأثير حجاجي من خلال ما يتولَّد عنه من إعجاب و مرح و انبساط و حماس لدى جمهور السّامعين»[1].

و من طرائق العرض أيضا عدم تشتيت انتباه المستمعين و الحرص على إعطاء كلّ قسم من الكلام حقَّه؛ كما يجب على المحاجج عدم العجلة في عرض حججه و كذا التّكرار لإبراز حضور الفكرة المكرّرة في أذهان السّامعين، و التّشديد على بعض مقاطع الخطاب من خلال الصّوت أو الصّمت الذي يسبق التّلفظ إضافة إلى إيراد الحكاية المماثلة أو المعارضة للموضوع محلِّ الحوار لشدِّ الانتباه لأهميتها مع التركّيز على « الدّقائق و الرّقائق المتعلِّقة بذلك الموضوع تكثيفا لحالة الحضور التي نريد أن يتّسم بها موضوعنا في ذهن السّامعين و لإحداث الانفعال أيضا؛ فبقدر ما يكون الموضوع مخصوصا يكون أبعث على الانفعال »[2] يُضاف إلى ذلك كلِّه حسن اختيار الألفاظ حسب ما يقتضيه السّياق.

III .2.1.2.6.5. التّقنيات الحجاجية les techniques argumentatives:

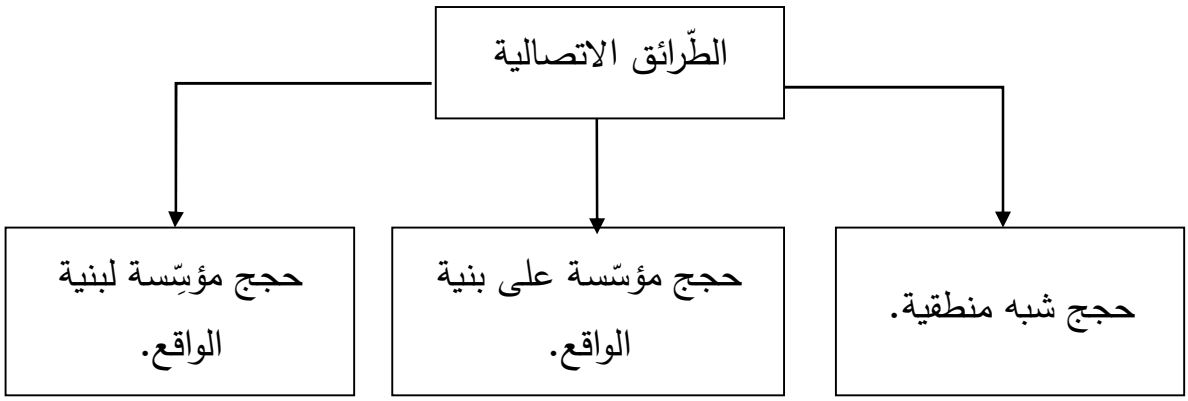
وهي الآليات الحجاجية التي يمكن أن يعتمدها المحاجج و قد ميّز "برلمان" و"تيتكاه" بين نوعين من التّقنيات أو الطّرائق: الطّرائق الاتصالية و الطّرائق الانفصالية.

[1] المرجع نفسه، ص 317.

[2] المرجع نفسه، ص 318.

III .1.2.1.2.6.5. الطّرائق الاتصالية procédés de liaisons :

« هي التي تُقرِّب بين العناصر المتباينة و تسمح بإقامة نوع من التّضامن بينها لغاية هيكلتها، أو لغاية تقويم أحد العناصر بواسطة الآخر تقويما إيجابيا أو سلبيا »[1]، و قد قسّمها الباحثان إلى ثلاثة أقسام:



أولاً: الحجج شبه المنطقية les arguments qu'asilogiques :

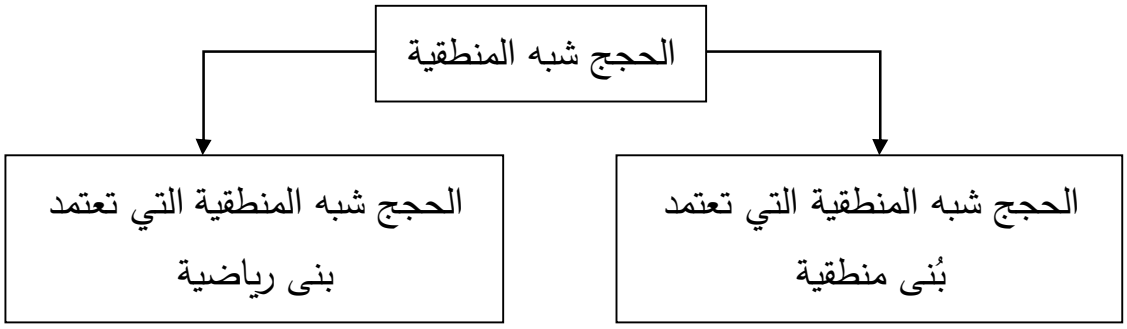
« تستمد الحجج شبه منطقية قوتها الإقناعية من مشابهتها للطّرائق الصّورية raisonnements formels المنطقية و الرّياضية »[2] إذ تستمدُّ صحتها و مشروعيتها من « بعدها العقلاني نتيجة علاقاتها ببعض الصّيغ المنطقية و الرياضية »[3] و هي بهذا تستند إلى المنطق؛ لكن يمكن أن تُردّ فهي « تتّخذ قالبا منطقيا شكليا فيه تُحشر المعطيات و تّكيّف فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم »[4] .و يقسّم الباحثان الحجج شبه المنطقية إلى قسمين:

[1] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation , p225.

[2] Ibid : p 259.

[3] Ibid: p 351.

[4] سامية الدّريدي : الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه ، ص 191.



- **الحجج شبه المنطقية التي تعتمد بُنى منطقية:**

أ. التّناقض وعدم الإتفاق: التّناقض contradiction : « نقول عن قضيتين متناقضتين إذا كانت إحداهما نفيٌ للأخرى »[1] أمَّا **التّعارض incompatibilité** فيتمثّل في « وضع الملفوظين على مِحكّ الواقع و الظّروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين و إقصاء الأخرى لأنهّا خاطئة »[2].

ب. التّماثل (الحدّ أو التّعريف) identité et définition: أي أن يعتمد المحتجّ لفكرة ما على مبدأ التّماثل غير أنّ « هذه التّعريفات لا تنتمي إلى نظام شكلي بل تدّعي قيامها بدور الضّبط»[3].

ج. حجّة العدل règle de justice يقتضي تطبيق قاعدة العدل « تماثل كائنات أو وضعيات داخل مقولة واحدة »[4] أي تطبيق هذه القاعدة يعني معالجة قضيتين متقابلتين معالجة واحدة، الأمر الذي يعني أنّهما متماثلتان بشكل ما.

---

[1] المرجع نفسه ، ص 191.

[2] ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 325.

[3] سامية الدّريدي : الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه ،ص200 .

[4] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation **,** p 294**.**

- **الحجج شبه المنطقية التي تعتمد بنى رياضية[1]:**

تشكّل القواعد الرّياضية مرجعية هذا النّوع من الحجج و منها تستمدّ طاقتها الإقناعية و هي تشمل مجموعة من الحجج نجملها في ما يلي :

أ. حجّة التّعدية argument de transitivité : التّعدية خاصّية شكلية تتّسم بها مجموعة من العلاقات التي تسمح بإثبات المرور من العلاقة بين (أ) و (ب) و بين (ب) و (ج) لإثبات العلاقة بين (أ) و (ج).[2]

ب. إدماج الجزء في الكلّ[3]: l'inclusion de la partie dans le tout : أو ما يسمى حجّة الاشتمال أي ما ينطبق على الكلّ ينطبق على الجزء.

ج. تقسيم الكلّ إلى أجزائه المكوّنة له : Argumentation de division أي ما ينطبق على الجزء ينطبق على الكلّ و تسمّى حجة التّقسيم أو التّوزيع Partition.

د. حجّة الاحتمال :Largumentation par le propable : تتأسّس هذه الحجّة على « حظوظ المرء في تحقيق أمر ما أو إنجاز حدث معيّن أو اتخاذ موقف محدّد وخلفيته واضحة ،إنّها الإيمان بأنّ المطلق نادر و أنّ الأمر لا يعدو أن يكون في أغلب الحالات محتملا »[4] إنّها حجّة تربط الواقع بالمحتمل.

---

[1] ينظر : سامية الدّريدي: الحجاج ف الشّعر العربي بنيته و أساليبه ،ص،203.

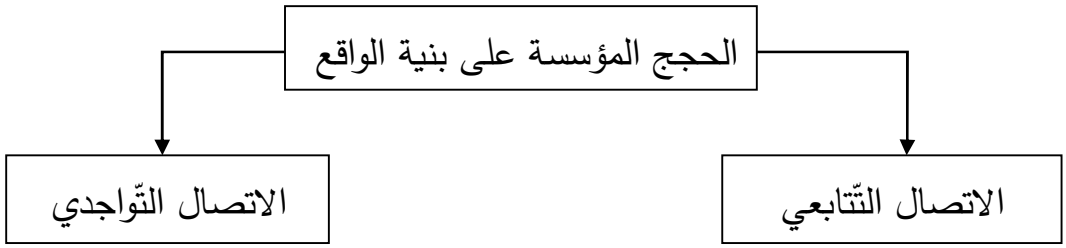
[2] عبد الله صولة :في نظرية الحجاج ، دراسات و تطبيقات ، مسكيلياني للنّشر و التّوزيع ، تونس، ط1 ، 2011 ، ص، 46.

[3] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation, p311.

[4] سامية الدريدي : الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه ، ص 213.

ثانيًا: الحجج المؤسسة على بنية الواقع: les arguments Bases sur structue du réel

تعتمد الحجج المؤسّسة على بنية الواقع على الرّبط بين أحكام مسلَّم بها في الواقع و أخرى يسعى المتكلّم إلى تأسيسها و تبنيها، فتصير تلك الأحكام المسلَّم بها و تلك التي يسعى إلى التّسليم بها تنتهي إلى
مجموعة واحدة؛ يقتضي التّسليمُ بواحدة التّسليمَ بالأخرى[1] و قد قسّم الباحثان هذا النّوع من الحجج إلى قسمين:



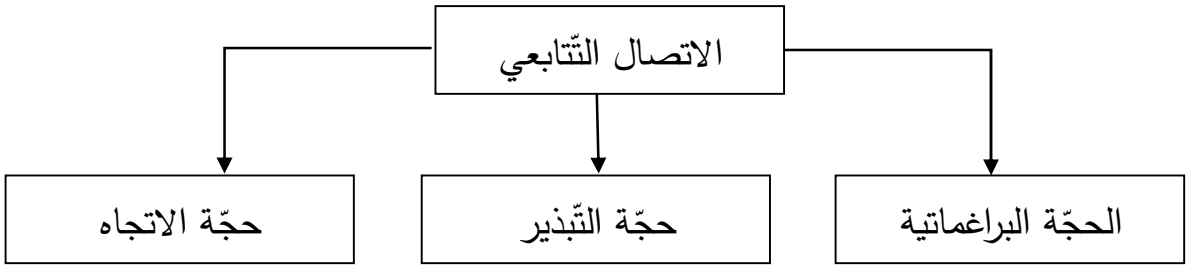
- **الاتصال التّتابعي liaison de succéssion**: و يكون بين الظّاهرة و مسبباتها أو نتائجها؛أي« الرّبط بين بعض الأحداث المتتابعة بواسطة علاقات سببية أو استخلاص نتيجة ما بسبب حصول حدثٍ أدَّى إليها أو التّكهُّن بما سيقع لو أنَّ الحدث المسبِّب قد حصل»[2]. ويقسِّم الباحثان هذا النوّع من الحجاج إلى ثلاثة أنواع[3]:
  - الرّبط بين حدثين متتابعين بواسطة ربط سببي.
  - استخلاص السّبب الذي أدَّى إلى هذه النّتيجة.
  - التّكهُّن بالنتّيجة بسبب توفّر السّبب.

[1] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation , p 351.

[2] الطّلبة محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص130.

[3] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation **,** P 354**.**

يمكن أن نجد أنواع الحجج التّالية :



أ. الحجّة البراغماتية l'argument pragmatique: و هي الحجّة التي « يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما باعتبار نتائجه الإيجابية أو السّلبية »[1]، لذا يلعب هذا النّوع من الحجج دورا مهمّا في توجيه السّلوك.

ب. حجّة التّبذير l'argument de gaspillage : و لأننّا شرعنا في إنجاز عمل ما وضحينا في سبيله، فعلينا أن نواصل إنجازه لأنَّ إعراضنا عن إتمامه سيكون مضيعة للوقت؛ فالمتكلِّم سيعتمد سياسة الأمر الواقع لإقناع المتلقي بما يُطرح عليه من قضايا[2].

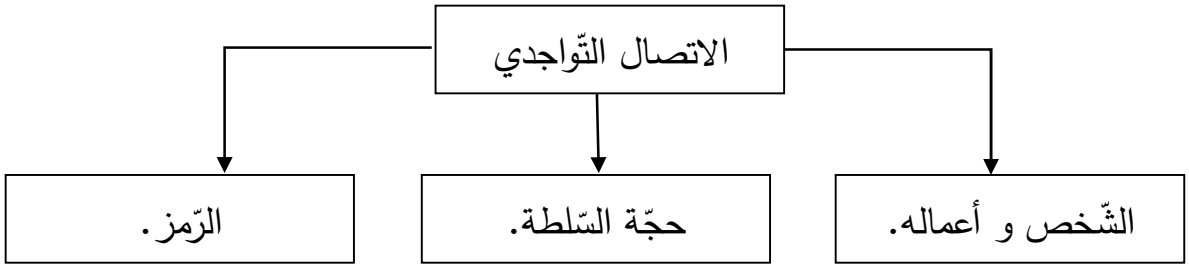
ج. حجّة الاتجاه [3] l'argument de la direction : تقوم على التّحذير من مغبَّة اتباع سياسة التّنازل التّدريجي.

- **الاتصال التّواجدي Liaison de Coexistence**: الذي يكون بين الشّخص و أعماله ينقسم إلى:

[1] عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 333.

[2] Perelman **et** Tyteca**:** Traité de l'argumentation , p 375.

[3] Ibid: p 379**.**



أ. الشّخص و أعماله[1]: la personne et ses actes: تنبني هذه الحجّة على علاقة الشّخص بسلوكياته؛ فأعمال الشّخص تجلّيات لجوهره.

ب. حجّة السّلطة[2] argument d'autorité: و هي الحجّة التي تستمدُّ قوّتها من هيبة المتكلِّم نتيجة سلطته و نفوذه و مكانته عند المتلقي؛ قد تكون هذه السّلطة غير شخصية مثل الرّأي العام، الدّين و يمكن صياغتها كما يلي:

(س) خبير في (ق).

(س) يدافع عن الفكرة (و) بخصوص الموضوع (ن).

إذن : الفكرة (و) صادقة.

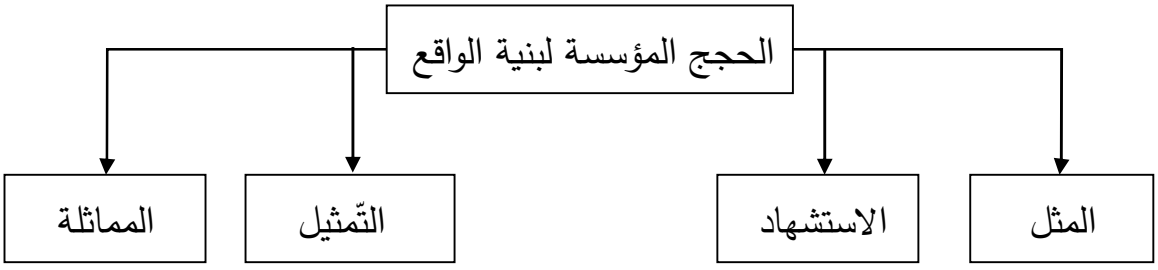
ج. حجّة الرّمز argument du symbol : يلعب الرّمز دورا مهمّا في التّأثير في المتلقي و يتغيّر الرّمز بتغير الأوساط الاجتماعية و البيئات الثّقافية؛ لذا يلعب إدراك المتلقي لتلك الرّموز (لب الفكرة الخارجية) لِما لها من خصائص حضارية و ثقافية و اجتماعية[3].

[1] Ibid: p 378.

[2] عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 335.

[3] ينظر: الطلبة محمد سالم محمد الأمين: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 130.

ثالثًا: الحجج المؤسسة لبنية الواقع: Les arguments qui fondent la structure du réèl.: و هي الحجج التي تعيد بناء الواقع على أنقاض الواقع القائم الذي يؤسّس له باعتماد :



- **المثل l'exemple**: « إنَّ المحاجَّة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاّصة التي جيء بالمثل لدعمها و تكريسها »[1]؛ إنَّ الغاية من المثل تأسيس قاعدة جديدة و واقع جديد.
- **الاستشهاد l'illustration**: يقوّي الاستشهاد درجة التّصديق بقاعدة ما، و ذلك بتقديم حالات خاصّة توضح القول و الطّابع العام و تقوي حضور هذا القول في الذّهن[2].
- **التّمثيل (النّموذج) le modèle**: النّموذج « مثال نقترحه لأنفسنا أو نقترح إتباعه ... و غالبا ما يكون النّموذج متعاليا في كلِّ شيء أو على الأقل في بعض سلوكياته الحقيقية أو المفترضة »[3].

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص 337.

[2] المرجع نفسه، ص 337.

[3] فيليب بروتون، جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي، ط1، 2001، ص 54.

- **المماثلة l'analogie**: « هي تأسيس علاقة بين ما يراد الدّفاع عنه (ما نسميه بالموضوع le thème) و بين عنصر يجري البحث عنه في موقع آخر من الواقع هو التّمثيل le phore الذي يكون مقبولا سلفا لدى المتلقي »[1] في المماثلة يجب أن ينتمي الموضوع و التّمثيل إلى مجالين مختلفين، كما أنَّ الأمر يتعلّق بمشابهة في العلاقة أكبر من علاقة تشابه، بمعنى أنَّ المماثلة تقيم علاقة داخل الموضوع و علاقة داخل المثيل[2].

III .2.2.1.2.6.5. الطّرائق الانفصالية la dissociation des notions:

يعود الانفصال إلى ثنائية الظّاهر و الباطن، فالانفصال بين العناصر في الحجاج يقتضي وجود وحدة بينهما و مفهوم واحد لها، و قد وقع الفصل بينهما لأسباب دعا إليها الحجاج ضمن ما يسمى بالظّاهر و الواقع، فكلّ الأشياء أو الأشخاص أو المعطيات «يمكن أن يكون لها حدَّان: ظاهر زائف و واقع حقيقي»[3].

إنّ ما يمكن استخلاصه – من خلال ما تقدّم ذكره حول الحجاج الخطابي– هو تركيز الباحثين على السبل التي يسلكها المحاجج لإقناع المتلقي انطلاقا من العناصر المشكِّلة للواقع و التي تحكمها علاقات بالإضافة إلى سياق التّواصل بين المتخاطبين مع الإشارة إلى عدم تركيزهما على الحجاج في بنية اللّغة و الذي سيكون مدار بحثنا فيما بعد و هو ما يطلق عليه الحجاج اللّساني مع " ديكرو" و " انسكومبر" .

إنَّ أبرز إنجاز قدّمته البلاغة الجديدة –كما يرى "صلاح فضل"– هو ردُّ الاعتبار للبلاغة، و ذلك بالعودة إلى « إثارة قضاياها الجوهرية من منظور أفـــاد فـــي تـــطوّرات

[1] المرجع نفسه، ص 55.

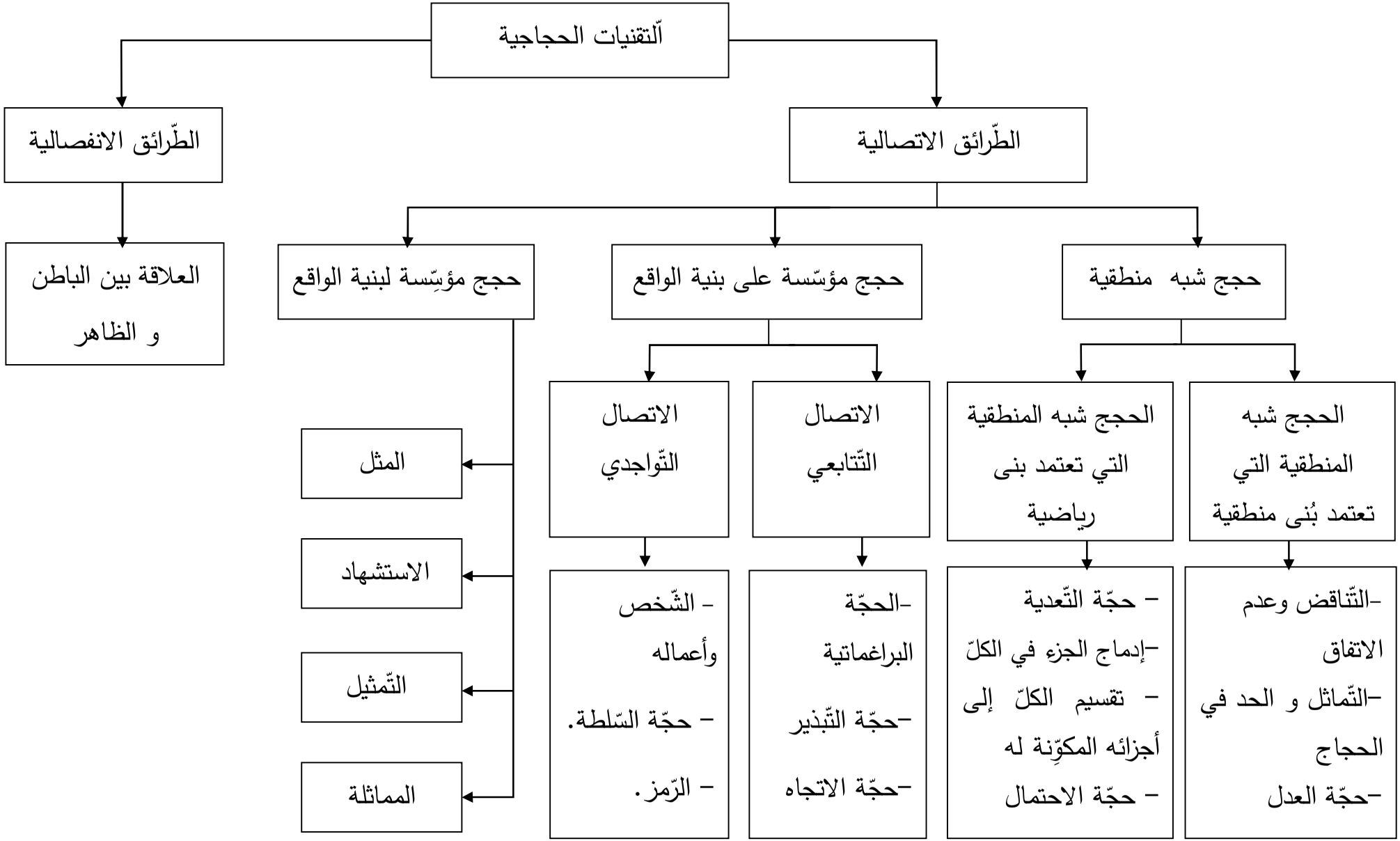
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص 55.

[3] عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته، ص، ص 343،344.

معطيات المنطق الحديث و شارَفَ أفق علوم الاتصال الجديدة »[1] كما أنهّا خلَّصت الحجاج – من خلال رؤيتها الجديدة– من صرامة الاستدلال الذي يجعل المتلقي يُذعِن لِما يقال نتيجة اعتماده المنطق البرهاني الذي يُلزم المتلقي بالنّتائج، و كذا تخليصه من المغالطات التي شابته.

يمكن في الأخير أن نخلص إلى المخطط التّالي الذي يلخص التقنيات الحجاجية حسب تصور (برلمان و تيتكاه)

[1] صلاح فضل: بلاغة الخطاب و علم النّص، عالم المعرفة، الكويت، 1190، ص 64.


آلتقنيات الحجاجية
الطّرائق الانفصالية
الطّرائق الاتصالية
العلاقة بين الباطن و الظاهر
حجج مؤسِّسة لبنية الواقع
حجج مؤسّسة على بنية الواقع
حجج شبه منطقية
المثل
الاستشهاد
التّمثيل
المماثلة
الاتصال التّواجدي
الاتصال التّتابعي
الحجج شبه المنطقية التي تعتمد بنى رياضية
الحجج شبه المنطقية التي تعتمد بُنى منطقية
- الشّخص وأعماله
- حجّة السّلطة.
- الرّمز.
-الحجّة البراغماتية
-حجّة التّبذير
-حجّة الاتجاه
- حجّة التّعدية
-إدماج الجزء في الكلّ
- تقسيم الكلّ إلى أجزائه المكوِّنة له
- حجّة الاحتمال
-التّناقض وعدم الاتفاق
-التّماثل و الحد في الحجاج
-حجّة العدل

III.7.5. الحجاج اللّساني:

III.7.5.1. "ديكرو" و التّداولية المدمجة:

يحيلنا الحديث عن التّداولية المدمجة إلى الرّبط بين التّداولية و الدّلالة من خلال جهود "أوزوالد ديكرو" "Oswald Ducrot" و" جون كلود انسكومبر" " Jean claud Andscomber" انطلاقا من فكرة أنّه لا وجود لتعارض بين علم الدّلالة و التّداولية ردّا على ما جاء به "شارل موريس" الذي ميّز بين علم الدّلالة "العلامات" و علم التّركيب و التّداولية؛ فالتّداولية المدمجة من هذا المنطلق هي تقصّي السّمات التّداولية في بنية القول أي ما لظروف إنتاج القول من دور في تحديد معناه.

لقد دافعت التّداولية المدمجة – حسب "موشلر" – عن أطروحتين:[1]

- الأطروحة الأولى : الدّفاع عن تصوّر لا وصفي للّغة مفاده أنّ الأحوال لا تبلّغ حالات أشياء في الكون بل تبلّغ أعمالا لغوية من قبيل (الأمر و الوعد و التّمني و الأخبار و الحجاج).
- أمّا الأطروحة الثّانية :فهي أطروحة الإحالة الانعكاسية (أو الإحالة الذّاتية) فمعنى القول هو صورة من عملية إلقائه أي أن نفهم قولا ما هو أن نفهم دواعي إلقائه.

III.7.5.2. الحجاج اللّساني:

يعدّ التّوجه اللّساني في الدّرس الحجاجي – و الذي جاء نتيجة ما شهده علم اللّسانيات– من أهمّ التّوجهات الحجاجية؛ حيث ظهر في النّصف الثّاني من القرن العشرين مرتكزا على ما جاء به "ديكرو" و "اسكومبر".

[1] ينظر: جاك موشلر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص 35.

و إذا كان الحجاج الخطابي كامنا فيما ينطوي عليه الخطاب من حجج –على تنوعها الذي رأينا – فإنّ الحجاج اللّساني كامن في اللّغة أي من خلال ما تتيحه البنية التركيبية للغة من تأويلات تنطلق في الأساس من هذه البنية أي « أنّ فهم المقاصد بتأويل الأقوال ؛ قاعدته تحديد دلالة الجملة انطلاقا من نحوِها و معجمِها و هذا الوصف الدّلالي شرط ضروري لفهم ما قيل »[1]

تنطلق اللّسانيات الحجاجية من مقولة (إنّنا نتكلّم بقصد التّأثير) من خلال اللّغة التي تحمل في « طياتها بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية تتجلّى في بنية الأقوال ذاتها صوتيا و صرفيا و تركيبيا و دلاليا »[2] أي القواعد الدّاخلية للخطاب من خلال استقراء القرائن اللّغوية و رصد مدى تأثيرها في المتلقي: فاللّغة بهذا حسب "ديكرو"– ليست «مجرد توصيل للمعلومات بل إنّها تقوم على علاقات إنسانية تفرض على مستعمليها أشكالا محدّدة من التّواصل ».[3]

يتأسّس مشروع "ديكرو" و "انسكومبر" على دمج المكوّن اللّساني و المكوّن الخطابي حيث يضطلع هذا الأخير « بوظيفة البحث في السّياق الكلامي عن العناصر الضّرورية لملء الطّبقات الفارغة من دلالة الجملة »[4] أي القدرة على استخلاص معنى الجملة انطلاقا من البنية الدّاخلية للملفوظات مع مراعاة سياق الكلام أي البحث عن العناصر الضّرورية التي تمكِّن من تحديد المعنى المقصود من بين الاحتمالات الواردة باعتماد البنية الدّاخلية للملفوظ بدمجه مع سياق التّلفظ لذا اقتراح الباحثان الخطاطة التّالية (y).

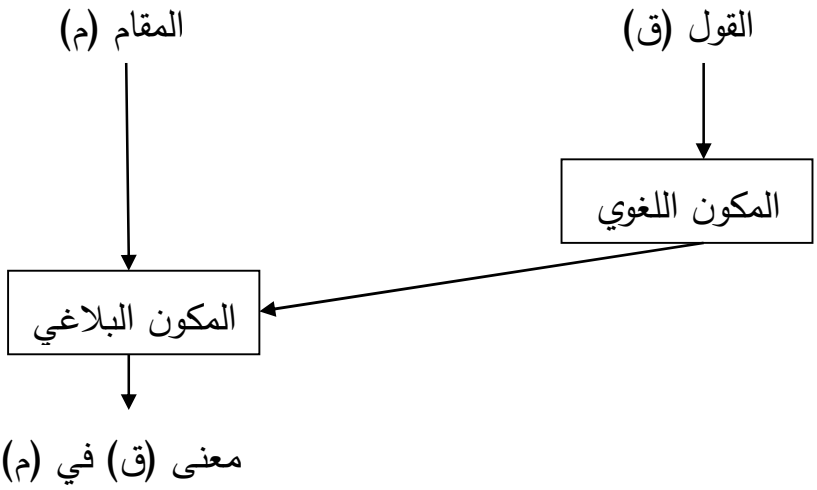
---

[1] أوزوالد ديكرو : قوانين الخطاب ، تر: محمد الشّيباني و سيف الدّين دغفوس ، ضمن كتاب ، إطلالات على النّظريات اللسانية و الدّلالية في النّصف الثاني من القرن العشرين ، مختارات معربة ، ج الثاني ، إشراف : عزّ الدّين مجدوب ،بيت الحكمة ، المجمع التونسي للعلوم و الآداب و الفنون ، 2012 ، ص 562.

[2] حميد حمداني: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة ، مكتبة الأدب المغربي–سامراء، إفريقيا الشرق، الدّار البيضاء، المغرب، ص 35.

[3] O. Ducrot : Dire et ne pas dir ,p 4.

[4] Ibid: P 24.



ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، ص–ص 42–43

III.3.7.5. الحجاج عند "ديكرو" و "انسكومبر":

انبثقت نظرية الحجاج في اللّغة من نظرية أفعال الكلام التي جاء بها " أوستن" وطوّرها "سيرل" و بعده "غرايس"* حيث أضاف "ديكرو" فعلي الحجاج و الاقتضاء.

يعرف "ديكرو" و "انسكومبر" الحجاج بقولهما « يكون الحجاج بتقديم المتكلّم قولا (ق1) أو مجموعة أقوال تقود إلى التّسليم ب (ق2) حيث تمثّل (ق1) حجّة تؤدّي إلى ظهور (ق2) و هي النّتيجة التي يمكن أن تكون صريحة أو ضمنية »[1] فالحجّة بهذا التّصور « عنصر دلالي يقدمه المتكلمّ لصالح عنصر دلالي آخر و قد يكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السّياق و الشّيء نفسه بالنّسبة للنّتيجة »[2] و تتّسم الحجّة بمجموعة من الخصائص:[3]

* ينظر: الفصل الأوّل من هذا البحث .

[1] J.C. Anscombre et Ducrot : L'argumentation dans la langue. Pierre Mardaga, 1983,p8.

[2] أبو بكر العزاوي: الحجاج و المعنى، صمن كتاب: التّحاجج–طبيعته، مجالاته وظائفه و ضوابطه، تنسيق: حمو التفازي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرّباط، مطبعة النّجاح الجديدة، ط1 ،الدّار البيضاء، 2006، ص ، 58.

[3] المرجع نفسه، ص58.

- أنّها سياقية: أي أنّ السّياق هو الذي يصير العنصر الدّلالي الذي يقدمّه المتكلّم حجّة و يمنحه طبيعته الحجاجية.
- أنّها نسبية: فكلّ حجّة قوّة حجاجية معنية تتراوح بين القوّة و الضّعف.
- أنّها قابلة للأبطال بواسطة حجّة أقوى منها، عكس البرهان المنطقي و الرّياضي الذي هو مطلق و حتمي.

فموضوع الحجاج في اللّغة « ما يتضمّنه القول من قوّة حجاجية تمثِّل مكوّنا أساسيا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلّم في اللّحظة التي يتكلّم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما»[1] فهو كامن في بنية اللّغة أي أنّ سلسلة الأقوال تحوي أفعالا لغوية على اعتبار أنّ الحجاج فعلا لغويا؛ ترتبط هذه الأقوال بعلامات لغوية توجّه القول، كما أنّ ترتيب الأقوال بعلامات لغوية يوجه القول؛ إضافة إلى أنّ هذا التّرتيب في حدّ ذاته يعدّ عملية حجاجية لذا يكمن الحجاج في بنية اللّغة ويتحدّد بوظيفته في التّوجيه الذي يكون على مستويين:

- على مستوى السّامع لأنّنا حين نتكلّم نروم التّأثير في السّامع بدفعه إلى عمل ما.
- على مستوى الخطاب أي على مستوى بنية الخطاب نفسه (ق) بالضّرورة يؤدي إلى (ن)؛[2] فالفعل الحجاجي بما أنّه فعلا لغويا يقصد به انجاز الفعل الحجاجي فإنّه يقصد تدعيم النتّيجة.

III.4.7.5. المفاهيم الإجرائية للحجاجيات اللّسانية:

سنركّز في دراستنا على أهمّ ثلاثة مباحث للحجاجيات اللّسانية هي: السّلالم الحجاجية، الرّوابط الحجاجية و العوامل الحجاجية.و التي سنستثمرها في تحليلنا للمدوّنة.

[1] شكري المبجوت: نظرية الحجاج في اللّغة ضمن كتاب: أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص 352.

[2] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، منشورات كليّة الآداب و الفنون و الإنسانيات ، جامعة منوبة ، ط 1 ، تونس ، 2001 ، ص38.

III.1.4.7.5. السّلالم الحجاجية: Les échelles argumentatives :

تعتبر السّلالم الحجاجية من أهمّ الظّواهر اللّغوية التي أخذت موقعها في الدّراسات اللّسانية؛ و إذا كان التّنظير لها يرتبط ب "ديكرو" من خلال مؤلفه Les échelles argumentatives فإنّ جذورها الأولى تعود إلى "أرسطو" في كتابة "الجدل" عندما درس بعض العلاقات ذات الصّبغة التّرتيبية كعلاقة التّماثل و علاقة التّفاضل البسيط و علاقة التّفاضل المركّب و غيرها[1] من العلاقات.

تنطلق السّلالم الحجاجية من التّلازم بين الحجج و النّتيجة أي بين طبيعة الحجج من جهة و موقعها من جهة أخرى بالنّتيجة لكن قبل تحديدنا لمفهوم السّلم الحجاجي تجدر بنا الإشارة إلى بعض المفاهيم:

III.2.4.7.5. القسم الحجاجي Classe argumentative :

« عندما يعتبر المتكلّم (ح1) (ح2) حجّتين موجهتين نحو النّتيجة (ن) نفسها »[2] تقول أنّ (ح1) (ح2) تشكِّلان قسما حجاجيا، أي عندما تأخذ مجموعة الملافيظ « محل (ق1) في المعادلة الحجاجية و تقود هذه المجموعة من الحجج إلى نتيجة واحدة تثبتها و تؤكِّدُها »[3].

(ن)

القسم الحجاجي { ح 2 ⟵ حجّة أقوى.
ح1 ⟵ حجّة قوية.

[1] ينظر: طه عبد الرّحمن: اللّسان و الميزان، ص 181 و ما بعدها.

[2] O. Ducrot : Les échelles argumentatives, p 17.

[3] عزّ الدّين النّاجح: العوامل الحجاجية في اللّغة العربية، مكتبة علاء الدّين ، صفاقس ، تونس،2011 ، ص130.

لذا يرتبط مفهوم القسم الحجاجي بالنتّيجة و بالمتكلِّم « فإذا انتمى قولان أو أكثر إلى باب حجاجي واحد فذلك يعني أنهّما يمكِّنان من خدمة النّتيجة نفسها و يمثّلان اختيار متكلِّم واحد ».[1]

III.3.4.7.5. القوّة الحجاجية: la force argumentative

تترتّب الحجج التي تنتمي إلى القسم الحجاجي نفسه وفق علاقة ترتيب، حيث أنّ بعضها أقوى من بعض حيث أنّ (ح2) أقوى من (ح1) فإذا كان التّوجه الذي يحدثه (ح1) نحو النّتيجة (ن) فإنّ هذا يستلزم التّوجه الذي يحدثه (ح2) نحو (ن) و العكس ليس صحيحا ».[2]

لذا فالحجج تترتّب حسب قوّتها و ضعفها نحو النّتيجة.

ن
ح2
ح1

حيث (ح2) أقوى (ح1).

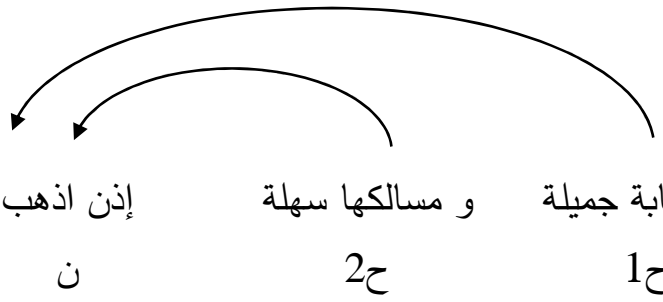
[1] جاك موشلر، ألان ريبول: قاموس التّداولية، ص 298.

[2] O. Ducrot : Les échelles argumentatives, p 20.

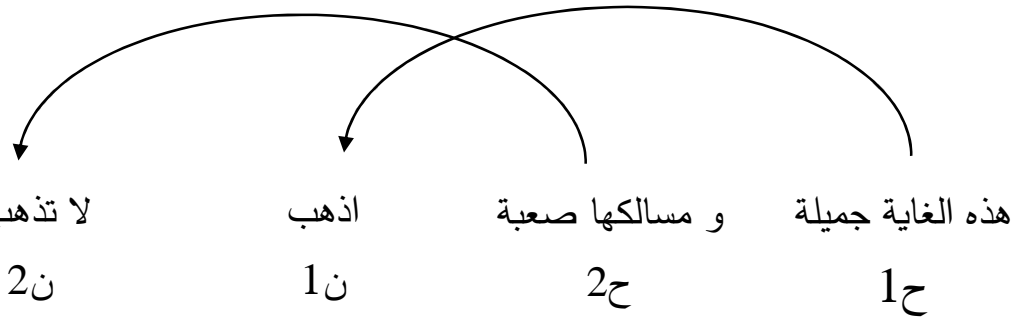
III.5.4.7.4. التّوجيه الحجاجي: L'orientation argumentative:

جاء في "قاموس التّداولية" « إنّ الوجهة الحجاجية هي خاصّية من خصائص الجملة موضوع أداء القول و هي التي تحدّد معنى القول »[1] فالتّسليم بالنتّيجة (ن) لا يكون من خلال الحجّة (ح1) فقط بل ببنيتهما اللّغوية التي تنهض بشروط مُعيّنة تؤهّلها كي تقود إلى (ن) [2] و يرى "موشلر" أنّ التّوجيه يكون حين تساند أو تعاند حجتان أو أكثر النّتيجة أو حين تتباين فيكون بعضها مساندا و البعض الآخر معاندا.

و يحدّد "موشلر" الحجج المساندة Coorientes حين تدعم و تساند حجتّان أو أكثر نتيجة واحدة و لا يتمّ المفاضلة بين الحجج أيُّها كان مؤديا إلى النّتيجة.[3]



أمّا الحجج المعاندة Anti orientation حين تُساق حجّتان لمسانده نتيجتين متعارضتين أي أنّ كلّ حجّة تساند نتيجة هي نقيض النّتيجة التي تساندها الحجّة الأخرى.[4]



[1] جاك موشلير: آن ريبول: قاموس التداولية، ص ، 337.

[2] Ducrot : L'argumentation dans la langue, p 81.

[3] J.Moeschler : Argumentation et conversation, p 54.

[4] Ibid, p-p 54-55.

III.5.4.7.5.السّلالم الحجاجية Les échelles argumentatives :

يقول "ديكر" لنفترض أنّ المتكلّم يضع (أ) و(ب) في فئة حجاجية محدّدة بالنّسبة إلى الملفوظ (س) و يعتبر أنّ (ب) أقوى من (أ) بالنّسبة إلى النّتيجة (س) فإذا سلّم المتكلّم أنّه يمكن استنتاج (س) من (أ) فإنّه يسوّغ بالضّرورة استنتاج (س) من (ب) غير أنّ العكس ليس صحيحا.[1]

ن (الكفاءة العلمية)
ح3 الدّكتوراه.
ح2 الماجستير.
ح1 اللّيسانس

فإذا كان الحصول على الشّهادة العلمية دليلا على الكفاءة العلمية و كانت الدّكتوراه هي الدّرجة العلمية الأكبر و الأقوى من الماجستير و اللّيسانس فإن التّسليم بالدّكتوراه (ح3) يعني بالضّرورة التّسليم بالماجستير (ح2) و الليّسانس(ح1) فالسّلم الحجاجي – بهذا– «هو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية »[2] و يتميّز بخاصّيتين:[3]

- كلّ قول يقع في مرتبة من السّلم يلزم عنه ما يقع تحته بحيث يلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.
- كلّ قول كان في السّلم دليلا على مدلول معيّن كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.

[1] Ducrot : les échelles Argumentatives, p18.

[2] طه عبد الرحمن: اللّسان و الميزان ، ص277.

[3] المرجع نفسه ، ص 277.

و يحكم السّلم الحجاجي مجموعة من القوانين:

- **قانون النّفي: La négation** :

«إذا كان الملفوظ (س) مستخدما من طرف المتكلّم ليخدم النّتيجة (ن) فإنّ نفيه (لا.س) يكون لصالح النّتيجة المضادة (لا.ن) ».[1]

الجو جميل ⟵ سنخرج في نزهته

ح1 ن1

الجو ليس جميلا ⟵ لن نخرج في نزهة

ح2 ن2

حيث: (ن1) ضد (ن2)

- **قانون القلب: loi d'inverse**:

يرتبط هذا القانون بقانون النّفي حيث أنّ السّلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس السّلم الحجاجي للأقوال الاثباتية، فإذا كان ح2 أقوى من (ح1) بالنّسبة إلى (ن) فإنّ نقي (لا ح2) أقوى من نفي (لا ح2) بالنّسبة إلى (لا.ن).[2]

حصل سعيد على الماجستير و على الدّكتوراه.

(ح1) (ح2)

حيث أنّ (ح2) أقوى من (ح1): غير أنّ نفي (ح1) أي: لم يحصل سعيد على الماجستير يعدّ أقوى من نفي (ح2) أي: لم يحصل سعيد على الدّكتوراه، بالنّسبة إلى (لا ن).

---

[1] Ducrot :Les echelles argumentatives, p 27.

[2] Ibid: p,27.

لديه كفاءة علمية (ن)
ح2 حصل سعيد على الدّكتوراه.
ح1 حصل سعيد على الماجستير .

ليس لديه كفاءة علمية (لا.ن).
ح2 لم يحصل سعيد على الدّكتوراه.
ح1 لم يحصل سعيد على الماجستير.

- **قانون الخفض Loi d'abaissement**:

يعرّفه "طه عبد الرحمن" بقوله : « إذا صدق القول في مراتب معينة من السّلّم فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها »[1] و قدّم "ديكرو" شاهدا عن هذا القانون:

- الجو ليس باردا.
- لم يحضر الكثير من الأصدقاء لهذا الحفل.

فإذا استبعد التّأويل في الشّاهد الأوّل كون الجو شديد البرودة إنمّا يؤول أنّ الجو دافئ أو حار كما أستبعد التّأويل في الشّاهد الثّاني كون كلّ الأصدقاء حضروا إلى هذا الحفل حيث يؤول إلى أنّ القليل من الأصدقاء قد حضروا.[2]

تكمن أهميّة نظرية السّلالم الحجاجية في إخراج قيمة القول الحجاجي من حيّز المحتوى الخبري للقول؛ ذلك أنّ الفئة الحجاجية لا يحكم عليها بالصّدق و الكذب، فإذا كان للقول وجهة حجاجية باعتباره ينبني على حجج تدعم نتيجة ما و إذا كانـت الحـجج

[1] طه عبد الرحمّن: في أصول الحوار و علم الكلام، ص ، ص 105،106.

[2] Ducrot : les échelles argumentatives, p 31.

تندرج ضمن قسم حجاجي تترتّب حججه حسب ضعفها و قوّتها بالنّسبة إلى النّتيجة ؛ فإنّ مفهوم السّلم الحجاجي يركّز على الطّابع المتدرّج للحجج لذلك فالحكم على المحاجّة أساسه القوّة و الضّعف اعتبارا لطابع التّدرج فيها لا الصّدق و الكذب.[1]

III.5.7.4.6. الرّابط الحجاجي: Connecteur argumentatif:

يعرف الرّابط الحجاجي بكونه « مورفيم من صنف الرّوابط (كحرف العطف والظّروف) إذ يربط بين وحدتين دلالتين أو أكثر ضمن إستراتيجية حجاجية واحدة »[2] وقد حدّده "ديكرو" [3] من وجهة نظر وظيفته فهو لا يربط بين الملفوظات و لكن بين العناصر الدّلالية التي تحيل عليها تلك الملفوظات[4]؛ (لذا فإنّ الرّابط يفرض استخراج النّتائج من القضايا التي يجمع بينها و هي نتائج لا يمكن استخراجها حين يغيب ذلك الرّابط .

III.5.7.4.6.1. تصنيف الرّوابط الحجاجية:

يصنف "جاك موشلر" الرّوابط الحجاجية وفق مجموعة من المعايير:[5]

أولاً: معيارعدد المتغيّرات:

و هي التّغيرات الحجاجية التي يربط بينهما رابط حجاجي و يمكن أن يكون الرّابط إمّا محمولا ذا موقعين أو متغيرّين أو ثلاثة متغيّرات.

---

[1] ينظر: شكري المنجوت: نظرية الحجاج في اللّغة، صمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 370.

[2] J. Moeschler: Argunantation et conversation, ,62.

[3] Voir:.j. Moeschler et Anne Reboul : pragmatique du discours de L'interprétation de l'énoné à L'interprétation du discours Armand colin 2005, p 77.

[4] O. Ducrot : Les mots du discours، ed de Minuit, paris,1980, p 193.

ألف (ديكرو و انسكومبر) كتابا سنة 1980 Les mots du dicours ضمناه دراسة خمسة روابط حجاجية d'ailleur et bien decidement-mais je trouve que

[5] J. Moeschler: Argunantation et coversation, p-p 62-63

تمهّل مادمت تريد السّلامة .

↓ ↓ ↓

متغيّر 1 رابط متغيّر2

تحسّنت أحوال أبي الصّحية فأصبح يقوم من مكانه و يتنزه في حديقة البيت

↓ ↓

متغيّر 1 رابط متغيّر2 رابط متغيّر3

بل صار يذهب إلى العمل.

↓

رابط

ثانيًا: معيار وظيفة الرّابط:

حيث تعمل بعض الرّوابط الحجاجية على سوق الحجج **introducteurs d'arguments** و تعمل روابط أخرى على سوق النّتيجة **introducteurs de conclusion**

*قضاء العطلة في الرّيف شيء مغر هواؤه نقي و حتّى جوّه جميل.

ح1 رابط ح2

* لقد تأخرت كثيرا لذلك لن تذهب معي إلى الحفلة.

↓

رابط

ثالثًا: معيار العلاقة بين الحجج:

- **روابط التّعارض الحجاجي:**

و هي الرّوابط التي تجمع بين حجّتين مضمرتين متعاندتين.

زيد ذكي لكنّه كسول

النّتيجة المضمرة النّجاح ← رابط التّعارض الحجاجي النّتيجة المضمرة الفشل

- **روابط التّساوق الحجاجي:**

حيث تساند الحجج االنّيتجة.

III.5.7.4.6.2. أنماط الرّوابط الحجاجية:

يمكن التّميز بين أنماط عديدة من الرّوابط الحجاجية يجملها "أبو بكر العزّاوي" في:[1]

- الرّوابطّ المدرجة للحجج (حتّى- بل- لكن- مع ذلك- لذلك).
- الرّوابط المدرجة للنّتائج (إذن- لهذا- وبالتالي).
- الرّوابط التي تدرج حججا قويّة (حتى- بل- لكن- لاسيما).
- روابط التّعارض الحجاجي (بل- لكن- مع ذلك).
- روابط التّساوق الحجاجي (حتّى- لا سيما).

III.5.7.4.6.3. وظائف الرّابط الحجاجي:

تلعب الرّوابط دورا حجاجيا من خلال دورها التّوجيهي؛ فهي:

[1] يُنظر :أبو بكر العزّاوي: اللّغة و الحجاج، العمدة في الطّبع ، ط1 ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ص 30 .

- تربط بين وحدتين دلالتين.
- تمنح دورا حجاجيا للوحدات المرتبطة بها[1] فالإستراتيجية الحجاجية تتطلّب الرّبط بين الحجج و لا يكون ذلك إلاّ بإسناد دور محدّد للرّابط.

III .7.4.7.5. العامل الحجاجي L'opérateur argumentatatif:

تعتبر العوامل الحجاجية من أهمّ المؤشِّرات اللّغوية كونها تلعب دورا هامّا في تأويل القول و توجيهه و يرى صاحبا "القاموس الموسوعي للتّداولية" أنّ الكثير يقع في الخلط بين الرّوابط و العوامل الحجاجية فالعامل يُعرّفُ بأنّه « وظيف foncteur يكون حدّه argument قضيّة بسيطة أو ذريّة، أمّا الرّابط فهو وظيف يكون حدّه زوجا مرتّبا من القضايا »؛[2] فالعامل بهذا « موفيم إذا وُجِد في ملفوظ ما يُوجِّه و يحوِّل الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ »؛[3] لذا تعمل العوامل الحجاجية على صرف المتلقي و توجيهه وهي بذلك تعمل على «حصر و تقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما »[4] من خلال الرّبط بين متغيّرات حجاجية.

لقد أدرج "ديكرو " العامل الحجاجي في مقال نشره عام 1982 not sur l'argumentation et l'acte d'argumenter ثم أتبعه بمقال آخر عام 1983 operateurs argumentatifs et visés argumentative

III.1.7.4.7.5. أنواع العوامل الحجاجية: يقسّم "جاك موشلر" العوامل الحجاجية إلى نوعين:[5]

---

[1] Dominique Mainguineau : pragmatique pour le discours litteraire, Bordas, Paris,1990 ,p54.

[2] جاك موشلر، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداولية، ص 185.

[3] J.Moeschler :Argumentation et conversation, p 62.

[4] أبو بكر العزّاوي: اللّغة و الحجاج، ص 21.

[5] جاك موشلر–آن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداولية، ص 337.

- **العوامل الخطابية و العوامل اللّغوية.**

العوامل الخطابية هي ضروب التّعقيب و الاستئناف التي تسمح بها أمّا العوامل اللّغوية فهي الواسمات اللّغوية المختصّة في تعيين الوجهة الحجاجية إذ يُقيّد هذا الواسم اللّغوي الاحتمالات في الجملة.

III.2.7.4.7.5. وظائف العوامل الحجاجية:

تلعب العوامل الحجاجية الوظائف التّالية:[1]

- إظهار حجاجية الملفوظ و ذلك بتقوية التوّجيه نحو النتّيجة Reforcement de l'orientation.
- القضاء على تعدّد الاستلزمات و النّتائج و ذلك بنقل المتقبِّل من التّعدّد و الغموض إلى وحدة النتّيجة فلا يضيع بين النتّائج التي يؤدّي إليها القول فلا تتعدّد تبعا لذلك المسالك التّأويلية Les chemins interprétatifs بل يقوم العامل بحصرها لتقود بذلك إلى نتيجة واحدة.
- قدح المواضع[2] و تنشيطها L'activation d'un topi فالموضع يكون هو العمدة في ارتباط المعطى بالنّتيجة إذ يعتبر ضامنا من ضمانات تسلسل الخطاب L'enchainement de discours إنّ وجود الرّوابط و العوامل الحجاجية لا يكفي لسلامة العملية العرف بالضّامن garant بين المعطيات و النّتائج التي تكون صراحة أو ضمنيا و كذلك إلى سند أو دعامة support الذي غالبا ما يكون مضمرا

[1] ينظر: عزّ الدّين النّاجح: العوامل الحجّاجية في اللّغة العربية، ص 35.
و كذلك : ينظر : موشلر وآن ريبول: قاموس التّداولية ، ص 343.

[2] أستعير مفهوم المواضع من أرسطو وهو مفهوم يعين مبادئ مقبولة داخل مجموعة لغوية وهذه المبادئ تكون بمثابة الدعائم للعملية الحجاجية فإذا بررت رغبتي في متابعة سبقا دورة فرنسا للدرجات عند بلوغه نقطة معينة "ألباهواز" (L'alpe d'huez) بالقول فإنما أشير إلى موضع من نوع لا يجب أن تفوتك الأحداث الرياضية الكبيرة ينظر جاك موشلر و روبول القاموس الموسوعي للتّداولية ،ص 340.

وتكون الحجّة هي الظّاهرة بينما تتأرجح بقيّة العناصر الأخرى المكونة للمقطع الحجاجي بين الإضمار و الظّهور.[1]

تشكِّل هذه المبادئ الحجاجية « مجموعة من المسلّمات و الأفكار و المعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية و بشرية معينة و الكلّ يسلّم بصدقها و صحتها »[2] وهي « تقابل مسلّمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصّوري أو الرّياضي هذه المبادئ هي قواعد عامّة تجعل حجاجا خاصّا ممكنا »[3] تتميّز بمجموعة من الخصائص:[4]

- أنّها مجموعة من المعتقدات و الأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معيّنة.
- العمومية: إذ تصلح لعدد كبير من السّياقات المختلفة و المتنوِّعة.
- التّدرجية: إذ يقيِّم علاقة بين محمولين تدرجيين أو بين سلّمين حجاجين.
- النّسبية: فتشغيل مبدأ حجاجي في سياقات ما يمُكن إبطاله في سياقات أخرى باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له فقد يؤدّي العمل – في سياق ما – إلى النّجاح و قد يؤدّي في سياق آخر إلى الفشل إذا كان ينظر إليه على أنّه إهدار للطّاقة ؛ لا على الملفوظات نفسها و إنّما على محتواها القضوى أي ما تُصرِّح به أو يُفترض أن تُصرِّح به حول العالم لذلك يجوز أن تنطبق عليها شروط الصّدق و الكذب »[5]؛ أمّا الحجاج فيرتبط بحقل الخطاب؛ حيث يكون « اتساق الملفوظات داخليا مبنيا على الملفوظات نفسها أي حول المعنى و ليس حول ما تحيل إليه في العالم الخارجي».[6]

---

1 Jean Michele Adam : les Tesctes :types et prototypes, Recit, description, argumentation, Explication et dialogue .Ed. Nathan, p106.

[2] أبو بكر الغزّاوي: اللّغة و الحجاج، ص 33.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

[4] ينظر: المرجع نفسه: ص،ص 31،32.

[5] جواد ختام: التّداولية أصولها و اتجاهاتها، ص145.

[6] O. Ducrot : Les échelles argumentatives, p10.

IV . التّحليل التّداولي للمحادثة حسب مدرسة جنيف:

1.IV. مفهوم المحادثة La conversation:

تأتي المحادثة في اللّغة على صيغة "مفاعلة " و هي تمثّل تفاعلا كلاميا يشترط فيها « تحقّق الفعل اللّغوي المقصود من جميع المحادثين و المداخلين فيكون كلّ طرف فاعلا و مفعولا به في الآن نفسه»[1] و هي بهذا نشاط لغوي بين مشاركين اثنين على الأقل يشترط فيها التّناوب أي "أدوار" التي هي وحدات أساسية و وظيفية مميّزة للحديث أو المحادثة إذ لا يمكن إنتاج المنطوق في الوقت نفسه بل هناك تتابع للأدوار.[2]

و إذا كانت المحادثة نشاطا لغويا بين طرفين أو أكثر فإنّه لا يجب التركيز على بنية اللّغة فقط كون هذا التّواصل تحكمه عناصر سياقية أخرى لذا تتلاقى حقول معرفية عدّة في تحليل المحادثة؛ علم اللّغة من خلال دراسة الجوانب النّحوية و الرّبط الدّلالي بين مكوّنات المحادثة، و كذا علم النّفس من خلال معرفة انفعالات المتكلّمين؛ وعلم الاجتماع باعتبار المحادثة تجري في إطار اجتماعي يتحكّم في طبيعة الخطاب.

2.IV. مكوّنات المحادثة:

تعتبر الدّراسة التي قام بها "جاك موشلر" Jaque Moeshler" في كتابة "الحجاج والمحادثة" أهمّ دراسة أرست قواعد المحادثة حيث قام بدراسة الحجاج عند "ديكرو" و"أسكومبر" مع ما قام به " إيدي رولي" "E.Rouler " حيث أدرج الحجاج ضمن مكوّنات المحادثة.

---

[1] جمعان بن عبد الكريم: إشكالات النّص، دراسة لسانية نصية، النّادي الأدبي، ط1، الرّياض ، 2009، ص 88.

[2] ينُظر: فان دايك:علم النّص،مدخل متداخل اختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1 ،القاهرة، جمهورية مصر العربية ،2001 ، ص 396.

لقد اختلف التّداوليون في حصر مكونات المحادثة إذ حصرتها "كاترين كربرات أو ركشيوني" "Catherine Kerbrat- orecchioni" في خمسة عناصر :[1] التّفاعل interaction، التّبادل l'échange، المقطع séquence، التّدخل l' interraction أفعال الكلام actes de langage.

تتناسق الأفعال الكلامية التي يُنتجها المتكلّم لتشكِّل تدخلا؛ و إذا تدخّل متكلِّمان يصبح لدينا تبادلا و هذه التّبادلات تُشكِّل مقطعا أي «كتلة من التّبادلات تربطها درجة قويّة من الانسجام الدّلالي و التّداولي»[2] و تنسجم هذه المقاطع لتشكِّل تفاعلا.

غير أنّ "موشلر" حصر مكوِّنات المحادثة في ثلاثة مكونات:التّبادل ،التّدخل، فعل الكلام .

1.2.IV. التّبادل L'échange: هو « أصغر وحدة حوارية مكوِّنة للتّفاعل و هو مكوّن معقّد لأنّه يتكوّن على الأقل من متدخلين مختلفين».[3]

2.2.IV. التّدخل L'intervention : هو « أكبر وحدة مونولوجية تكوّن التّبادل؛ يتكوّن التّدخل من حيث المبدأ من أفعال الكلام و قد يتكوّن من فعل كلام واحد ».[4]

1 Catherine Kerbrat-Orecchioni :.Les interactions verbales, Armand Colin Editeur, Paris, tome 1, 1990, p-p 216 -229.

[2] Catherine Kerbrat-Orecchioni :La conversation, Edition du seuil, Paris, 1996, p 218.

[3] J.Moeschler :Argumentation et conversation, pour une analyse pragmatique du discours, Hatier, paris, 1985, p 81.

[4] Ibid :p 81.

IV. 3.2. فعل الكلام acte de langage: هو « أصغر وحدة مونولوجية للتدخّل وهو مقطع Segment له مستوى قضوي واحد و قد يكون هذا المستوى معقّدا إذا كانت تلك المحتويات متصلة ببعضها البعض بروابط مثل الواو ».[1]

IV. 3. في بنية التّدخل :

ترتبط مكوّنات التّدخل بعلاقات تراتبية relations hierarchiques إذ يتكوّن من عنصر رئيس[2] constituant directeur و هو فعل الكلام الذي يحدّد المعنى العام الذي يدعم أو يبرّر أو يمهّد أو يقدّم حججا؛ وعنصر أو عدّة عناصر تابعة Subordonnéés.

IV.4. العلاقات الوظيفية Les relations fonctionnelles: يمكن التّميز بين نوعين من الوظائف: الوظائف الإنجازية و الوظائف التّفاعلية:

IV.1.4.الوظائف الإنجازية Les fonctions illocutoires:[3] أي التي ترتبط بمكوّنات التّبادلات (أي التّدخلات) و يمكن التّميز ضمنها:

- الوظائف الإنجازية البدئية fonctions illocutoires initiatives: التي ترتبط بالتّدخلات الرّئيسية للتبادل مثل: الاستعلام، الطّلب ، الأمر، الدّعوة حيث تفرض جملة من الواجبات و الحقوق و تتبع هذه الوظائف الإنجازية بوظائف **وظائف إرجاعية** fonctions reactives و هي الوظائف التي تتطلّبها الوظائف الإنجازية البدئية وتتبعها إذ يتبع الاستعلام الإعلام و الدّعوة تلبية الدّعوة أو رفضها لذا يمكن أن نجد نوعين من الوظائف الإرجاعية :

[1] Ibid : p 81.
[2] Ibid : p, p 88 -89
[3] Ibid : p 94.

- **الوظائف الإرجاعية الإيجابية :** و هي التي تعبّر عن ردود فعل إيجابية .
- **الوظائف الإرجاعية السّلبية :** و هي التي تعبّر عن ردود أفعال سلبية أي عدم الاتفاق؛ و يمكن أن ترتبط بالملفوظ أي يعبّر عن الرّفض بملفوظ و يمكن أن ترتبط بالتّلفظ كالتّعليق.

لقد وضع "موشلر " جدولا شاملا لهذه الوظائف :[1]

سلبية		إيجابية	وظائف إنجازية إرجاعية
تلفظ	ملفوظ		وظائف إنجازية بدئية
تعليق	رفض	قبول	عرض طلب
تعليق	جواب سلبي	جواب إيجابي	طلب معلومة (استعلام)
تعليق	تكذيب	تأكيد	طلب تأكيد confirmation
تعليق	تقويم سلبي (تنفيذ)	تقويم إيجابي	إثبات assertion

2.4.IV.الوظائف التّفاعلية :[2] Les fonctions Interactives : و هي التي ترتبط بمكوّنات التّدخل ؛ إذ لا يتحدّد معنى مكوّن ما داخل التّدخل إلاّ بعلاقته مع مكوّن آخر و قد ميّز "موشلر" بين نوعين من الوظائف التّفاعلية :

[1] J.Moeschler :Argumentation et conversation, p 95.
[2] Ibid : p-p 97-98.

- **الوظائف التّفاعلية الاسترجاعية: Les fonctions Interactives rétroactives**

وترتبط بالوظيفة بين المكوّن التّابع و المكوّن الرئيسي (تفاعلهما) فإذا كان الفعل التّابع يقع بعد الفعل الرّئيس فإنّ الوظيفة التي تؤديها هي وظيفة أسترجاعية .

- أمّا إذا كان الفعل التّابع يقع قبل الفعل الرئيسي فإنّه يؤدّي **وظيفة استباقية** Proactives.

5.IV. ضوابط المحادثة: تخضع المحادثة حسب "موشلر" لعدّة ضوابط حسب مستويات مختلفة :

1.5.IV. الضّوابط التّفاعلية: les contraintes interactionnelles: و هي ضوابط ذات طبيعة اجتماعية تحدّد السّير الحسن للعادات التّفاعلية منها ضوابط الافتتاح و الختم و الإصلاح؛ و يمكن أن تصاغ تلك الضّوابط على شكل فرضية: كلّ محادثة تجبر المشاركين فيها على الاستجابة لطقوس الافتتاح و الختم و الإصلاح التي يفرضها التّفاعل الذي يجب أن يحترم بموجبه مجال الآخر و لا يهدّد وجهه.[1]

2.5.IV. الضّوابط البنوية Les contraintes structutralles: وهي الضّوابط التي تفرضها بنية المحادثة على سيرها؛ يمكن تحديد الضّابط البنوي على شكل فرضية: كلّ محادثة تفرض ضابطا مزدوجا إذ تفرض على المتخاطبين مواصلة المحادثة وختمها.[2]

3.5.IV. ضوابط التّتابع: Les contraintes d'enchaînement: وهي ضوابط تفرضها مكوّنات المحادثة نفسها من تسلسل وتأويل و يمكن أن نصوغ ضابط التّتابع وفق الفرضية التّالية: كلّ عنصر في المحادثة خاضع لضابط مزدوج:

[1] J.Moeschler :Argumentation et conversation, p 112.
[2]Ibid : p 113.

1.3.5.IV ضابط تأويلي contrainte interprétative: يرتبط بفكرة الاسترجاع.

2.3.5.IV. ضابط مقطعي contrainte séquentièl: يرتبط بشروط النّجاح أو شروط الاستعمال السّياقية هذه الشّروط تحدّد طبيعة العلاقات بين مختلف المكوّنات:[1] تتمثّل تلك الشّروط في:

- **الشّرط الموضوعاتي condition thématique:** ويفرض أن يكون المكوّن إرجاعي constituant réactif مشتركا في الموضوع نفسه مع المكوّن البدئي Constituant initiatif.
- **شرط المحتوى القضو ي[2] La condition de la contenu propositionnel**: و يفرض أن يكون للمكوّن الارجاعي علاقة دلالية بالمكوّن البدئي يمكن أن تكون علاقة تضاد oppositive أو علاقة استدلالية inplicative أو علاقة ترادف paraphrastique .
- **الشّرط الإنجازي condition illocuctoire**:[3] يفرض على المكوّن الإرجاعي وظيفته الإنجازية فالوظيفة الإنجازية للاستعلام تفرض وظيفة إرجاعية هي الإعلام.

يرى "موشلر" أنّ للشّرط الإنجازي دورا هامّا في تحقيق انسجام الخطاب لكن نوعية الاستجابة قد تختلف عمّا يفرضه هذا الشّرط إذ قد يتبع سؤال بسؤال آخـر؛ لذا يمـكن أن نقول أنّ هذا الشّرط الإنجازي أقلّ قوّة من باقي الشّروط ذلك أنّ الخطاب إذا فقد انسجامه لا يفقد اتساقه.[4]

[1] Ibid : p 155.
[2] Ibid : p 156.
[3] Ibid : p156.
[4] Ibid: p 117.

- **شرط التّوجيه الحجاجي condition d'orientation argumentative** [1]

يفرض أن يكون المكوِّن الارجاعي في الاتجاه الحجاجي نفسه للمكوِّن البدئي و هو بذلك يسمح بختم التّبادل.

IV.6. الحجاج في بنية التّدخل:

ينطلق "موشلر" في تحليله للحجاج – في المحادثة – بدءا بالتّدخل من خلال بنية اللّغة معتمدا في ذلك على مجموعة من المبادئ:

IV.6.1. مبدأ عدم التّناقض الحجاجي:[2] هو مبدأ مركزي ينبني على فكرتين رئيسيتين:

- لا يمكن الدّفاع عن نتيجتين متضادتين بالحجّة نفسها.
- لا تؤدّي حجّتان متضادّتان إلى نفس النّتيجة.
- يجعلنا هذا المبدأ نقيِّم الملفوظات على أساس قدرتها أو عدم قدرتها على دعم النّتيجة أي تحقيق فعل الحجاج و ليس على أساس الصّدق و الكذب.

IV.6.2. الرّوابط الحجاجية مؤشِّرات تفاعلية:

للرّوابط الحجاجية دور هام في تأويل الملفوظات؛ فهي مؤشّرات تفاعلية أي أنّها تسم المكوّنات الرّئيسية و التّابعة بسمات تفاعلية[3] و قد ميّز "موشلر" بين نوعين من الرّوابط الحجاجية:[4]

[1] Ibid : p 117
[2] Ibid : p110.
[3] Ibid : p124.
[4] Ibid : p-p 125-126.

IV.1.2.6. الرّوابط الحجاجية المرتبطة بالعناصر التّابعة: و هي تتضمّن الرّوابط الحجاجية المقدِّمة للحجج introducteurs d'arguments أي الحجج ذات الوظيفة التّحليلية و هي تقدِّم تحليلا و تأويلا وظيفيا للفعل الذي ترتبط به.

IV.2.2.6. الرّوابط الحجاجية المرتبطة بالعناصر الرّئيسية: و هي تشمل الرّوابط الحجاجية المقدِّمة للنّتائج introducteurs de conclusions و هي ترتبط بالأفعال الرّئيسة.

IV.3.6. الرّوابط الحجاجية مؤشرات للوظائف الإنجازية:[1] حيث أنّها –أي الرّوابط الحجاجية –عندما تستعمل بصورة مطلقة أي وحدها في الجواب مثلا تؤدّي وظيفة إنجازية.

IV.4.6. الرّوابط الحجاجية مؤشّرات للانسجام الحجاجي:[2] يحدّد "موشلر" الانسجام الحجاجي في بنية التّدخل بمحدّدين اثنين:

IV.1.4.6. الشّرط الأوّل: إذا كان هذا الخطاب يستجيب لطبيعة الإرشادات الحجاجية التي تفرضها الرّوابط الحجاجية؛ أي سلسلة التّتابعات التي تشكِّل الخطاب يجب أن تستجيب لنوعية التّوجيه الحجاجي الذي تفرضه الرّوابط الحجاجية؛ كما أنّ النّتائج يجب أن تكون متوافقة مع طبيعة الإرشادات.

IV.2.4.6. الشّرط الثّاني : يتعلّق بمفهوم التّناقص الحجاجي؛ إذ أنّ الخطاب الحجاجي يُسوِّغ التّناقضات أو يجعلها مقبولة إذا احتوى الخطاب مؤشرات تحلُّ التّناقض.

[1] Ibid : p-p 127-128.
[2] Ibid : p 130-131.

IV.7. الحجاج في بنية التّبادل :

يلعب الحجاج دورا مهمّا في بنية التّبادل لأنّه يساهم في الوصول إلى شكل مناسب لختم التّبادل؛ كما يُفَعِّل ظاهرة التّوسع éscpansion إذ تسعى أيُّ محادثة إلى ختم المحادثة من خلال مواصلتها أو مواصلتها لختمها.[1]

IV.7.1. وظيفة الاختتام في التّبادل: تعدُّ وظيفة الاختتام وظيفة حجاجية يكمن دورها في إكمال التّفاعل.

IV.7.1.1. الحجاج بوصفه عاملا مولّدا للختم: L'argumentation comme foncteur de clôture:

يتمثّل دور الحجاج في التّبادل في التّحكّم في ختم التّبادل من خلال إكماله و قد ميّز "موشلر" بين نمطين من الاكتمال: الاكتمال الكلّي و اكتمال أحد أجزاء المحادثة.[2]

أ. **الختم من خلال الاكتمال التركيبي: clôture par complétude compositionnelle**: « تندرج ضمنه التّفاعلات التّجارية لأنـّها تفـــرض علـــى المشاركين في كلّ مرحلة من مراحل سيرها الاتفاق حول موضوع المعاملة التّجارية لذلك فهي تتشكّل من جملة من التّبادلات التّابعة و المتضمّنة ».[3]

ب. الختم من خلال الختم الاستدلالي: clôture par complétude inférentielle: يقوم الاكتمال العام للاكتمال الاستدلالي على اكتمال التّدخلين الأخيرين للتبّادل.

---

[1] J.Moeschler :Argumentation et conversation, p-p152-153.
[2] Ibid :p 153.
[3] Ibid :p154.

IV.2.1.7. الحجاج بوصفه عاملا مولّدا للتّوسع L'argumentation comme foncteur d'escpansion

و هي الوظيفة الثّانية للحجاج داخل التّبادل إذ عندما يتعذّر علينا ختم التّبادل بطريقة مرضية للطّرفين نلجأ إلى التّوسّع و الذي ينقسم – حسب موشلر– إلى ثلاثة أنواع:

أ. **التّوسع بالتّناقض L'escpansion par contradiction** :يساهم الاعتراض و المقاطعة في التّوسّع في التّبادل ، و يمثّل هذا النّوع من التّوسّع بنية تنازلية أي أنّ البنية الواقعة قبل العنصر المسبب للتّوسّع تكون تابعة للبنية الواقعة بعد المكوّن المثير للتوسّع.[1]

ب. **التّوسع بالبعث éscpansion par relance** :

يمثّل هذا النّوع من التّوسّع بنية تنازلية أيضا و يتمّ اللّجوء إلى هذا النّوع من التّوسّع عندما لا يتمّ الاكتفاء بالجواب المتحصّل عليه فيلجأ إلى بحث المحادثة من جديد.[2]

[1] Ibid : p 161.
[2] Ibid : p 162.

ج. **التّوسع الموضوعاتي éscpansion par thematique** :

و هو ذو بنية تصاعدية إذ يتبلور هذا النّوع من التّوسع كإثارة للموضوع و بعثه من جديد.

IV.8. الاتفاق والتّفاوض و الإضراب:

يشكّل الاتفاق و التّفاوض و الإضراب شروطا تساعد على ختم التّبادل ؛ لذا سنركّز على الشّرطين الأوّلين لما لهما من دور في مدوّنتنا .

IV.1.8. الاتفاق l' accord: يشكّل الاتفاق شرطا ضروريا للختم و يقترب هذا المفهوم من مفهوم التّأكيد Confirmation و التّوجيه الأحادي Coorientation ؛ تقوم فكرة التّأكيد على ضرورة الاستجابة لما تفرضه الضّوابط الإنجازية[1]:

أ1: الأستاذ : أنت تعرف الإنجليزية ، أليس كذلك .

ب1: الطّالب :نعم ، طبعا.

أ 2: الأستاذ : و قد سمعت ب schegloff أليس كذلك.

ب2 : الطّالب : نعم.

أ3: الأستاذ : إذن عليك إنجاز بحث حوله و تقدّمه الأسبوع القادم.

إنّ إجابة الطّالب الإيجابية إنّما فرضتها ضوابط الألفاظ (أليس كذلك) التي تفرض إجابة إيجابية (نعم أو بلى).

[1] Ibid : p 170.

أمّا مفهوم التّوجيه الأحادي فيقوم على الاستجابة للضوابط الحجاجية les contraites argumentatifes فالرّبط الحجاجي (لكن) مثلا يوجّه الملفوظ توجيها حجاجيا مضادا فإذا قلت مثلا:

هذا المعطف جميل و لكنّه باهظ الثّمن ؛ فإنّ الملفوظ الأوّل : هذا المعطف جميل حجّة للنتيجة (فلتشتره) ؛ أمّا الملفوظ الثّاني : باهظ الثّمن فإنّه يوجّه الملفوظ نحو النتيجة (لا تشتره) لذا يلعب الرّابط (لكن) دور الموجّه نحو النّتيجة النّهائية (لا تشتره).

و يحدّد "موشلر" وظيفة الاتفاق إذ يعدّ شرطا لختم المحادثة كونه يحدث التّوازن التّفاعل l’ equilibre interactionne في المحادثة [1] كما أنّه يرتبط بالاعتقادات المشتركة أو بالاتفاق الحاصل بين الأطراف المتحاورة حول موضوع المحادثة.

IV.8.2. التّفاوض: la négotiation :

لا يشكّل الاتفاق شرطا لختم المحادثة إلاّ فيما يخصّ الاتفاق التّواصلي l’ accord communicatif و الاستدلالي inferentiel إذ لا يمكن الوصول إلى الاتفاق إلاّ عبر مراحل و هي ما يطلق عليها "موشلر " التّفاوض.

IV.8.2.1. أنواع التّفاوض:

- **التّفاوض المسبق** :**négotiation anticipeé**[2]: هو استراتيجية حجاجية تهدف إلى استباق الحجج الضّديدة لمعارضتها أو رفضها إذ يفرض المتكلّم على المخاطب مسبقا قبول ما يقول.

[1] Ibid : p 171
[2] Ibid : p 172

- **التّفاوض العقدي** [1] **négotiation factuelle :** و هو الاتفاق على بعض الوقائع الهامّة لسير المحادثة .
- **التّفاوض التّفاعلي** [2] **négotiation interactionnelle** لا يتعلّق هذا النّوع من التّفاوض بالاتفاق حول مواضيع ما إنّما بالصّورة التي يفرضها المشاركون على بعضهم البعـــض في المحادثـــة مثل مـــا يحدث في المعاملات التجارية إذ يعمل البائع على الظّهور بصورة الخاسر و في المقابل يعمل على إظهار المشتري بصورة الرّابح.
- **التّفاعل الميتا خطابي** [3] **négotiation méta- discursive** :يعتمد هذا النّوع من التّفاعل على التّأويل الارجاعي كأن يتمّ التّعقيب عن السّؤال.
- **التّفاعل الميتا تفاعلي**[4] **négotiation méta interactionnelle** :يقوم هذا النّوع من التّفاعل على الاتفاق على مجموعة من الحقوق و الواجبات بين المشاركين في المحادثة من أجل تحديد ما يقال و ما لا يمكن أن يقال في المحادثة.

لقد انتهى "موشلر"من خلال تحليله لمكونات المحادثة إلى أنّها تعتمد على الإقناع ،كما أنّها تُغلق متى ما حصل الاتفاق و تستمرّ متى ما حصل التّفاوض.

V. خصائص الخطاب الحجاجي:

يختلف الخطاب الحجاجي عن باقي الخطابات كونه « نشاط يتضمّن عدّة أساليب و لكن الذي يميّز هذه الأساليب عن خصائص الخطاب الأخرى هو بالضّبط اندراجها ضمن هدف معقلن و أداؤها دور البرهنة الذي يتميّز بمنطق ما و بقاعدة عدم التّناقض ؛

[1] Ibid : p173.
[2].Ibid : p174.
[3] Ibid : p175.
[4] Ibid : p175.

أمّا أساليب الأشكال الأخرى من (وصف و قصّ) فهي تندرج ضمن هدف وصفي حكائي للمدركات الحسّية في العالم و للأحداث الإنسانية »[1] خطابا استدلاليا مبنيا على الحجج إذ يتطلّب الدّفاع عن الرّأي باعتماد الحجج التي يسعى من ورائها صاحب الرّأي إلى التّأثير في المتلقي لذا يكتسب الخطاب الحجاجي خصائصه من بنيته و من ظروفه التّداولية التي تحكمه.

و في كتابه الموسم بـ "عندما نتواصل نغيّر، مقارنة تداولية معرفية لآليات التّواصل و الحجاج "يضع "عبد السّلام عشير" مجموعة من الخصائص العامّة للخطاب الحجاجي نجملها فيما يلي:

V.1. خاصيّة البناء و الدّينامية:

الخطاب الحجاجي ليس خطابا جامدا و جاهزا أو « معطى منذ البداية، بل هو عملية يتمُّ بناؤها تدريجيا و يتطلّب تكيُّفا مستديما لعناصرها إلى نهاية إتمام الحجاج »[2]؛ أي أنّه بناء تتحدّد من خلاله قدرة المتكلِّم على بناء خطابه بناء محكما حتّى يحقّق فاعليته–تأثيره– على المتلقي؛ و تتمثّل تلك القدرة في التّركيز على الأهمّ من خلال انتقائه للحجج مراعيا في ذلك –الآن و الهنا– إضافة إلى طبيعة متلقّي بعينه أي بناء الخطاب مع مراعاة الظّروف المقامية التي تحكمه حتّى يحقّق فاعليته.

[1] باتريك شارودو : الحجاج بين النّظرية و الأسلوب، تر:أحمد الوردني ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1 ، بيروت ، لبنان ،2009 ، ص 16.

[2] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نعيّر مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل و الحجاج، إفريقيا الشّرق ، ط2 ، المغرب ، 2012 ، ص 129.

V.2. خاصية التّفاعل:

التّفاعل interaction هو « الفعل و ردّ الفعل و بذلك يكون معناه في الحوار المشاركة في الفعل و ردّ الفعل حول مضامين معينة »[1] أي أنّه يتأسّس على طرفين؛ المدّعي و المعترض؛ إدّعاء المدّعي للدّعوى و اعتماده الحجج للدّفاع عن دعواه؛ و اعتراض المعترض على دعوى المدّعي بدفع الدّعوى باعتماد الحجج، الأمر الذي يؤدّي إلى الاختلاف و بالتّالي ينتج ازدواج لكلّ أركان العملية الحجاجية؛ و قد وضع "طه عبد الرحمن" خاصّيتين للتّفاعل: البناء المزدوج للتّفاعل و الممارسة الحيّة للتّفاعل.

- التّفاعل المزدوج:

أي ازدواج المتكلّم و المستمع ؛ أي انشقاق ذات المتكلّم إلى ذاتين، ذات ظاهرة تمارس الادعاء و ذات باطنية تشترك مع المستمع في ممارسة الاعتراض و انشقاق ذات المستمع إلى ذاتين في ممارسة الاعتراض أحدهما ظاهرة تستقل بمبادرة الاعتراض و ذات باطنية تشترك مع المتكلّم في ممارسة الادعاء و نتيجة هذا الازدواج الظّاهر و الباطن ينتج ازدواج لمختلف أركان العملية الحجاجية:[2]

أ. ازدواج القصد: أي أنّ المتكلّم يقصد بكلامه المستمع و أنّ المستمع يقصد باستماعه المتكلّم، أي أنّ كلّ طرف- المتكلّم و المستمع- يقصد في نفسه الطّرف الآخر.

ب. ازدواج التّكلّم: إذ أنّ المتكلّم يتكلّم كما لو كان يحمل لسان المستمع في فيه.

ج. ازدواج الاستماع: و كأنّ المتكلّم يتكلّم كما لو كان يحمل سمع المتكلّم في أذنه.

---

[1] محمد نظيف: الحوار و خصائص التّفاعل التّواصلي-دراسة تطبيقية في اللّسانيات التّداولية ،إفريقيا الشّرق ،المغرب، 2010، ص 15.

[2] ينظر: المرجع نفسه ، ص 265 ، و ما بعدها.

د. ازدواج السّياق: إنّ ازدواج التّكلّم و الاستماع الذي يعني تقاسم كلّ طرف الوظيفية التّواصيلة مع الآخر يؤدّي حتما إلى ازدواجية السّياق؛ فسياق الإنشاء النّاتج عن التّكلّم يحوي بالضّرورة سياق التّأويل النّاتج عن التّأويل و على قدر هذا التّقاسم يتمّ التّفاهم.

- **الممارسة الحيّة للتّفاعل:**

أي الممارسة « التي تأخذ بجانبي المجاز و الأخلاق فضلا عن جانب الحقيقة و الفعل »[1] و نقصد بالمجاز توسّلها الصّور البيانية ؛الأمر الذي يكسبها مرونة حسب السّياق الذي تتقلب فيه تلك الصّور.

أمّا جانب الخلق فينتج عن ازدواج التّكلّم و الاستماع إذ يحرص كلّ طرف إلى أن يعامل الغير مثلما يريد أن يعامله هذا الغير.[2]

3.V. خاصيّة الالتباس:

يهدف المتكلّم إلى التّأثير في المتلقي و لا يتأتي له ذلك إلّا إذا وظّف كفاءته اللّغوية بقصد الوصول إلى ذهن مستمعه و بالتّالي التّأثير فيه و يكمن الالتباس– الذي يرى "طه عبد الرحمن" أنّه الفيصل بين الحجاج و البرهان– عندما لا تكتفي العبارة بظاهرها لأنّها « إذا اقتصرت على ظاهرها جاءت عادية أو عارضة في القول بحيث لا يعيرها المستمع أدنى اهتمام أمّا إذا حملت معها إشارات رمزية فإنهّا بكلّ تأكيد ستحرّك آليات الفهم و التّأويل لدى المخاطب و تدفعه نحو اعتقادها ».[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 267.

[2] ينظر: المرجع السّابق، ص 267.

[3] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيّر، ص 131.

4.V. خاصيّة التّأويل:

إذ يتمّ تأويل القول الحجاجي تأويلا سلبيا أو إيجابيا و تدخل في ذلك عوامل عدّة حسب السّياق و الذّات المؤولة و كذا المقام الذي اعتبرته النّظرية التّداولية عنصرا مهمّا في عمليه التّأويل.

5.V. خاصيّة الاعتقاد:

تمِّثل القيم عناصر مجرّدة و هي بمثابة المسلّمات في المجتمع خلال حقبة زمنية معينة و هي لا تقبل الدّحض و لا حتّى النّقاش لأنّ « الاعتقاد لا يُفرض فرضا على المتلقي بل يتحقّق عن طريق التّواصل »[1] لذا فإنّ استهدافها من طرف المتكلّم يحتاج إلى كفاءة تداولية عالية.

6.V. خاصيّة الإنهاض إلى العمل:

يعرفها "طه عبد الرحمن" بقوله :« هي الدّليل الذي يجب اعتماده للعمل به بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل»[2] و يعتبرها مبدأ أساسيا و محوريا ليس في الحجاج فقط بل في جميع الجوانب التّواصلية؛ فمتى ما صدّق الفعلُ القولَ كان التّأثير في المتلقي أوكد لأنّ الفعل دليل على صدق قول المتكلّم.

---

[1] مثنى كاظم صادق : أسلوبية الحجاج التّداولي و البلاغي ، تنظير و تطبيق على السّور المكّية ، منشورات ضفاف ، بغداد ،منشورات الاختلاف، ط1 ،الجزائر ، 2015 ، ص 46.

[2] طه عبد الرّحمن :اللّسان الميزان ، ص 269.



الفصل الثّاني

أفعال الكلام ومتضمّنات القول في الحوار الحجاجي في قصّة نوح – عليه السّلام–

I. القصص في الخطاب القرآني:

I.1. الوظيفة الحجاجية للقصص القرآني:

القصّة أحد مرتكزات الخطاب القرآني و هي بكلّ مكوّناتها ليست مقصودة لذاتها أو من أجل المتعة الفنيّة بل هي وسيلة لتبليغ الرّسالة الموكلة إلى الرسّول صلى عليه وسلّم و منه إلى النّاس أجمعين و تتجلّى أهميتُها من خلال تواجدها المعتبر في الخطاب القرآني و كذا وظيفتها التأّثيرية في المتلقي.

لقد جاء القصص القرآني موزّعا على آي القرآن الكريم مكيّه و مدنيّة حسب سياق السّورة موجَّها إلى الرّسول صلى الله عليه و سلّم مما يعني وجودّ مُرسِل لهذا القصص (الله تعالى) إلى مرسَل إليه (الرّسول صلى الله عليه وسلّم) فيكون القصص القرآني بذلك خارج زمن الدّعوة المحمدّية و من هنا تتجلّى وظيفته التأّثيرية إذ يُؤتى به لضرب المثل مع ما لهذا الأخير من تّأثير في المتلقي الأوّل –الرّسول صلى الله عليه وسلم - و ذلك لتسليته و تثبيته هو و من آمن بدعوته و كذا المعاندين المكذِّبين بالدّعوة ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥﴾ الأحقاف:35.

لقد اتخذ القرآن الكريم القصص القرآني سبيلا للإقناع حسب حاجة دعوة الرّسول صلى الله عليه و سلّم كي تكون حجّة على النّاس أجمعين و بالتّالي تؤدّي وظيفتها التّأثيرية فهي – كما قال "الجابري" « مرآة ترى فيها الدّعوة المحمّديّة نفســـــها ماضيـــها

وحاضرها و مستقبلها عبر التّاريخ المقدّس؛ تاريخ الأنبياء و الرّسل»[1] لذا فهي لا تخضع للتّرتيب الكرونولوجي[2]– الخطّي للأحداث ؛ إنّما تسير ؛ وفق خطّ خاصّ بها لا علاقة له بحاضر الرّسول صلى الله عليه و سلّم إلاّ بما تلعبه من دور إذ « يُؤتى بها لتزيد من توضيــح الأخبــار الأساسية و هي بهذا تسير وفق خطّ زمني خاصّ بها لا علاقة له بخطّ سير الأحداث في القصّة »[3] حتىّ تؤدّي وظيفتها التّأثيرية.

2.I. أغراض القصّة القرآنية:

القرآن الكريم كلمة الله المعجزة فهو ليس كتابا فنّيّا – و إن كنّا نتلمّس فيه بعض الجوانب الفنيّة– إنّما هو كتاب دعوة لذا يأتي القصص القرآني لتثبيت هذا الغرض من خلال سرد القصّة و انتقاء مادّتها وفق سياق دعوة الرّسول صلى الله عليه وسلم و قد عرض "سيد قطب" في كتابه "التّصوير الفني في القرآن" أغراض القصّة القرآنية نجملها فيما يلي[4]:

- إثبات الوحي و الرّسالة لأنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبا و لا قارئا و لا عُرِف عنه أنّه كان يجلس ليعرف أخبار اليهود و النّصارى ثم جاءت هذه القصص في ثنايا القرآن الكريم.
- إثبات أنّ الدّين كلّه من عند الله لذا تأتي قصص الأنبياء مركّزة على الإيمان بوحدانية الله.

---

[1] محمد عابد الجابري : مدخل إلى القران الكريم ، في التّعريف بالقرآن الكريم ج1 ، مركز الدّراسات الوحدة العربية ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص 257.

[2] ونقصد به ترتيب الأحداث كما حدثت في الواقع.

[3] Gerard Gennet :Discourd du recit in Figure 3؛ 1972؛ p 91.

[4] يُنظر : سيد قطب: التّصوير الفني في القرآن، دار الشّروق، الطّبعة الشّرعية 17، 2004 ، ص 143 و ما بعدها ؛.و كذلك ينظر:سعيد سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، دار الآفاق العربية ،ط1، القاهرة ،2006 ، ص 121 و ما بعدها.

- أنّ دعوة الأنبياء واحدة و رسائلهم موحّدة و أنّ تلقّي قومهم للدّعوة متشابه.
- بيان نصر الله لأنبيائه و إهلاكه للمكذّبين و ذلك تثبيتا للرّسول صلى الله عليه وسلم و من معه.
- تصديق التّبشير و التّحذير و تأكيد ذلك من خلال نماذج واقعية.
- اصطفاء الله أنبياءه و بيان نعمه عليهم.
- تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشّيطان و إبراز العداوة الخالدة بينه و بينهم إلى يوم الدّين.

و يضيف صاحب "التّصوير الفني في القرآن" أغراضا أخرى للقصّة القرآنية [1] تتمثّل في قدرة الله تعالى على الخوارق و بيان عاقبة الطّيبة و الصّلاح و كذا عاقبة الشّر و الفساد و بيان الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة و الحكمة الكونية البعيدة الآجلة.

I.3. الحوار و القصص القرآني:

لقد تواتر ملفوظ الحوار في القرآن الكريم ثلاث مرّات ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾الكهف: 34.

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ الكهف: 37.

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾المجادلة01.

[1] المرجع السّابق، ص، ص 154،155.

و هو -الحوار - أحد مرتكزات القصص القرآني و تتجلّى أهميّته كونه – قبل ذلك- «سبق خلق الإنسان ويتحرّك بحركة الحياة على الأرض و سيبقى ما بعد الحياة »[1] فقد كان منذ اللّحظة الأولى التي أراد الله أن يجعل في الأرض خليفة تُوكل إليه مهمّة حمل الرّسالة قال تعالى في سورة "البقرة" ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٣٢﴾البقرة: 32/30 .

لقد اتخذ القصص القرآني أسلوبين في العرض : طريقة عرض الأحداث بشكل تقريري أو عن طريق الحوار حيث يعرض كلّ طرف فكرته و يحاول الدّفاع عنها و هنا تتجلّى أهميّة الحوار حيث يعرضُ مواقف الأطراف المتحاورة مهما كانت ؛الأمر الذي يمنح القصص حركية و هنا تتجلّى أهميّة التّركيز على الحوار في القصص القرآني «لأنّ الإسلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذّاتية المرتكزة على الحجّة و البرهان في إطار الحوار الهادئ العميق سواء في ذلك قضايا العقيدة و قضايا الحساب و المسؤولية فلكلّ سؤال جواب و لكلّ علامة استفهام تواجه الإنسان في الطّريق علامات في كلّ منعطف تشير إلى سواء السّبيل »[2].

[1] أحمد حسن يوسف العمري ، صالح أحمد العمري : الحوار و دوره في الدّعوة و التّربية و الثّقافة ، دار الكتاب الثّقافي الأردن ، عمان ، ص 34.

[2] محمد حسين فضل الله :الحوار في القرآن الكريم ،ج1، قواعده،أساليبه،معطياته ،دار المنصوري للنّشر، الجزائر، ص32.

و القرآن الكريم خطاب حواري بامتياز فيه تتحاور الذّوات و يُحاجُّ بعضُها بعضا إذ أنّه حَفَل بمعجم حواري كبير (قالوا ،قال ،نادى) و هو أحد مرتكزات القصص القرآني من خلاله تتحاور الأطراف فيما بينها و تتفاعل كما تتجلى أهميّتَه من خلال إعطاء حقّ الآخر في القول و لو كان يُشكِّلُ النّقيض لنا و يضرب الله سبحانه و تعالى مثلا من خلال حواره مع إبليس ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ الأعراف: 11 – 18.

لقد اعتنى القرآن الكريم بالحوار باعتباره « وسيلة من أهمّ وسائل الدّعوة إلى الإسلام و ذلك أمر بالغ الأهميّة لأنّ الحوار هو الطّريق الأمثل للإقناع و الاقتناع وتوضيح المواقف وجلاء الحقائق و هداية العقول و التّدرج بالحجّة »[1] و قد تعدّدت أطرافه في القرآن الكريم لكنّها في مجملها لم تخرج عن الأشكال التّالية :

- حوار الله تعالى مع أحد مخلوقاته (الملائكة ،إبليس ، الأنبياء....).
- حوار المؤمنين (حوار أهل الجنّة ،حوار موسى عليه السّلام مع الخضر ...)
- حوار الكافرين (حوار أهل النّار....).

[1] أحمد نصري : الأسس المنهجية للحوار في القرآن الكريم ، دار القلم ، الرّباط ، ط1 ، المغرب ،2012 ، ص 3.

- حوار الإنسان مع الحيوان (سيدنا سليمان – عليه السّلام– مع الهدهد.....).
- حوار مع الجنّ (نفر من الجنّ مع قومهم...).

إنّ دراستنا للحوار في قصّة نوح تتجاوز البحث عن تواجده في القصّة إلى البحث عن أبعاده التّأثيرية المستنبطة أساسا من بنيته ؛ لذا يمكن الإشارة إلى بعض خصائصه ؛فهو خطاب موجّه و هادف و مبني بناءً استدلاليا يتمُّ اللّجوء فيه إلى الحجّة و الاستدلال من أجل الدّفاع عن الرّأي فهو خطاب حجاجي في « طريقة بنائه و تفاعل عناصره وديناميةمكوّناته »[1] لذا فإنّ دراستنا له تنطلق من كونه يتأسّس على متكلّم يريد التّأثير في مستمع عبر اللّغة تحكمه جملة من الظّروف الاجتماعية و النّفسية و يتميّز بمجموعة من الخصائص يمكن إجمالها في ما يلي:

- أنّ بنية الخطاب الحجاجي – و الذي نقصد به هنا الحوار الحجاجي– في قصّة نوح « بنية مركّبة من عناصر متعدّدة :الدّعوى و جملة القضايا الصّادقة التي تثبتها والعلاقة التي تدلُّ على الصّلة الحجاجية بين الدّعوى و بين هذه الجملة من القضايا وتعيّن كلاّ من و ظيفتيهما و موقعيهما »[2].

- أنّ الحوار الحجاجي خطاب و هو من أخصب الخطابات « و أنجع سبيل ينتهجه مَرسل الخطاب لدراسة حجج و مواقف مخاطبيه بطريقة مقبولة تمنح حجاجه في النّهاية النّفاذ و المصداقية »[3] فهو يروم الإقناع أي التّأثير في الآخر .

---

[1] عبد السّلام عشير : عندما نتواصل نغيّر، ص 129.

[2] طه عبد الرحمن :التّواصل و الحجاج ،سلسلة الدّروس الافتتاحية ، الدّرس العاشر ، جامعة ابن زهر ، كليّة الآداب والعلوم الإنسانية ، مطبعة المعارف الجديدة ، أكادير ، المغرب (1994/1993)، ص 22.

[3] الطّلبة محمد سالم محمد لمين : الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 119.

- هو تفاعل بين طرفين، طرف الإدّعاء و طرف الاعتراض تجمعهما أرضية مشتركة إضافة إلى اعتماده على التّأويل من خلال التّقويم الايجابي أو السّلبي للأقوال مع ما لذلك التّقويم من أثر في سلوك المتلقي.

- أنّ الحوار الحجاجي ينبني على الحجاج الكامن في اللّغة من خلال استعمالها بين الأطراف المتحاورة قصد تأثير كلّ طرف في الآخر.

- أنّه خطاب يتميّز بالقصدية من خلال وظيفته التّأثيرية سواء تأثير الأقوال في الأطراف المتحاورة في القصّة ذاتها ؛ أو تأثير الحوار الحجاجي في ملتقى القرآن الأوّل الرّسول صلى الله عليه وسلم.

و نظرا لهذه الخصائص التي تسِمُ الحوار الحجاجي في قصّة نوح فإنّنا سنتناوله بالدّراسة من خلال استقراء مكوّناته بهدف الكشف عن أبعاده التّداولية.

و إذا كانت قصّة نوح قد وردت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم فإننّا سنركّز على:

- البحث عن العلاقة بين الحوار الحجاجي و السّياق على اعتبار أنّ الحوار تفاعل ضمن سياق معين.

- محاولة الكشف عن البنية الحجاجية للحوار من خلال دراستنا لأفعال الكلام و كذا متضمّنات القول ؛ إضافة إلى البنية الاستدلالية للأقوال مع ما لهذا البناء من دور في التّأثير في المتلقي و لا نشير إلى السّرد و الوصف إلاّ إذا كان لهما دور في سير الحوار.

- سنعتمد المسار الخطّي للدّعوة ضمن رؤية تستقرئ سياق الحوار و في الوقت نفسه تتتبّعُ مساره مع ما لهذا التّتبّع من وظيفة في تنامي الحوار و تطوُّرِه سَواء من حيث المضامين أو الوَسائل اللّغوية و غير اللّغوية ؛لذا قسّمنا الحوار الحجاجي في قصّة نوح عبر مَسَار دعوته إلى المراحل التّالية:*

– المرحلة الأولى: مرحلة التّكليف.

– المرحلة الثّانية :مرحلة الدّعوة

–المرحلة الثّالثة: مرحلة يأس نوح من إيمان قومه.

–المرحلة الرّابعة: مرحلة إنهاء الدّعوة و بداية الجزاء:و تحوي مجموعة من الأحداث:

- تكليف نوح بصنع الفلك و سخرية قومه منه.
- بداية الطّوفان.
- حوار نوح مع ابنه.
- حوار نوح مع ربّه حول ابنه.
- التّمكين لنوح و من معه و إغراق المكذبين.

I.4. قصّة نوح في القرآن الكريم: [1]

يحوي القرآن الكريم كمّا هائلا من القصص و لعلّ أبرزها قصص الأنبياء؛ و نوح أحد هؤلاء الأنبياء حيث تواتر ذكره ثلاثا و أربعين مرّة في ثمان و عشرين سورة يمكن تتبّعها حسب الجدول التّالي :

* لقد اعتمدنا هذا التقسيم وقد ساعدنا في ذلك الدراس التي قامت بها الباحثة "سليمة مدلفاف في تقسيمها لقصة موسى عليه السلام: ينظر: سليمة مدلفاف، دراسة تداولية سيميائية لتصريف قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تحليل الخطاب، إشراف: جمع الأخضر، جامعة بن يوسف بن خدة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، (2010/2009).

[1] تقتصر بعض الآيات على ذكر اسم نوح فقط .

	السّورة	رقم السورة	رقم الآية	الآيات
	آل عمران	**3**	**33**	﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾
	النّساء	4	163	﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾
	الأنعام	6	84	﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾
	الأعراف		59	﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾
	الأعراف	7	69	﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩﴾

	التوبة	9	70	﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾
	يونس	10	71	﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾
	هود	11	25	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾
	هود	11	32	﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾
	هود	11	36	﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾
	هود	11	42	﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

	هود	11	45	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾
	هود	11	46	﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
	هود	11	48	﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾﴾
	هود	11	89	﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ ﴾
	إبراهيم	14	9	﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾﴾.
	الإسراء	17	3	﴿ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴿٣﴾﴾
	الإسراء	17	17	﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ﴾.

	مريم	19	58	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾
	الأنبياء	21	76	﴿ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾
	الحج	22	42	﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ ﴾
	المؤمنون	23	23	﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾
	الفرقان	25	37	﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿٣٧﴾ ﴾
	الشّعراء	26	105	﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾
	الشّعراء	26	106	﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾.
	الشّعراء	26	116	﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾
	العنكبوت	29	14	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

	الأحزاب	33	7	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ ﴾
	الصّافات	37	75	﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥ ﴾
	الصّافات	37	79	﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩ ﴾.
	ص	38	12	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ۝١٢ ﴾
	غافر	40	5	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾
	غافر	40	31	﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١ ﴾ .
	الشورى	42	13	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣ ﴾
	ق	50	12	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ ﴾.
	الذّاريات	51	46	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٤٦ ﴾
	النّجم	53	52	﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢

	القمر	54	9	﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ٩ ﴾
	الحديد	57	26	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦ ﴾
	التّحريم	66	10	﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ ﴾.
	نوح	71	01	﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ ﴾ .
	نوح	71	21	﴿ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ ﴾ .
	نوح	71	26	﴿ وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ ﴾

الجدول (01) تواتر قصّة (نوح) في القرآن الكريم.

I.5. مواضع الحوار الحجاجي في قصّة نوح :

يتموضع الحوار في قصّة نوح في سبع سور (الأعراف، يونس، هود، المؤمنون، الشّعراء، القمر، نوح) و كلّها مكيّة و مردُّ ذلك أنّ القرآن المكّي جاء لوضع الحجر الأساس للعقيدة الإسلامية فاتجه إلى التّوحيد ؛ في المقابل كان الشرّك كما تعدّدت أشكال إيذاء الرّسول صلى الله عليه وسلم هو و من آمن بدعوته فكان ضرب المثل بالقصص القرآني لأنّ المرحلة « تستدعي أن يزوّدهم الله بأمثلة مشابهة لحالتهم من أناس سبقوهم ثبتوا على الحقّ و تلقوا في سبيل ثباتهم الضّربات حتّى الموت فلم يضعفوا و جزاهم الله خيرا على ثباتهم بينما أهلك المعارضين لهم »[1] لذا تأتي قصّة نوح لضرب المثل تسلية للرّسول صلى الله عليه و سلّم و من آمن بدعوته و وعيدا للمكذّبين.

I.1.5. سورة الأعراف [2]:

﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ ﴾ الأعراف59/ 63.

---

[1] عبد المنعم النمّر:علوم القرآن، مكتبة المدرسة ، دار الكتاب اللّبناني ، ط 2 ،1983، ص 57.

[2] سورة "الأعراف "مكيّة ، نزلت بعد (ص) و قبل (الجن) و هي من السّبع الطّوال ،تأتي في الرّتبة التّاسعة و الثّلاثين في ترتيب النّزول و قد شملت عدّة أغراض منها: النّهي عن الشّرك بالله و إنذار المشركين بسوء العاقبة في الدّنيا و الآخرة و قد ذكرت تكذيب الأقوام أنبياءهم .

سورة "الأعراف" من السّور المكيّة تأتي في الرّتبة 39 حسب ترتيب النّزول ؛تعرضُ حوار نوح مع قومه و كانت قد وردت قبل ذلك حسب ترتيب النّزول في سور: (ص)،(ق) و (القمر) و إن كان الحوار قد ورد في سورة (القمر) فقط كما سنرى.

في هذا الحوار يدعو نوح قومه إلى عبادة الله المشروطة بالتّوحيد معلنا خوفه عليهم إن لم يؤمنوا غير أنّ قومه كذّبوه و اتهموه بالضّلال المبين.

I .2.5. سورة يونس[1]:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢ ﴾ يونس: 71 – 72.

تعرض سورة "يونس" مشهدا حواريا لنوح مع قومه يكشف من خلاله مُضيَّه في دعوته لأنّه متوكّل على الله تعالى ؛كما دعا قومَه إلى الاجتماع مع الشّركاء و اتخاذ القرارات التي يرونها صائبة لمواجهة دعوته حتّى و لو وصل الأمر إلى تصفيته فإنّ ذلك لن يثنيه عن دعوته

[1] سورة "يونس "مكيّة، نزلت قبل (هود) تأتي في الرّتبة الحادية و الخمسين في ترتيب النزّول ، شملت عدّة أغراض منها إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلّم وعجز المشركين عن معارضة القرآن و إثبات الألوهية لله تعالى كما احتوت قصص الأمم الماضية التي كذّبت الرّسل.

I .3.5. سورة هود[1]:

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ

[1] سورة هود مكّية تعنى بأصول العقيدة الإسلامية ؛ التّوحيد و البعث و الجزاء و قد نزلت في فترة عصيبة مرّ بها الرسول صلى الله عليه و سلّم فقد مات عمّه أبو طالب و زوجته خديجة ؛بل الأكثر من ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم توجّه إلى الطّائف لدعوة أهلها فردّوه ورموه بالحجارة ولم يعد أحد من أهل مكّة يدخل في الإسلام ورفضت كلّ القبائل نصرته؛ لذا تأتي هذه السّورة تسلية للرسول صلى الله عليه و سلم من خلال ضرب المثل بأنبياء صبروا على الدّعوة فنصرهم الله على ثباتهم و صبرهم.ينظر :عمر خالد : خواطر قرآنية ،نظرات في أهداف سور القرآن ،الدّار العربية للعلوم ،ط1 ،بيروت ،لبنان،2004 ، ص 159 و ما بعدها.

وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ ﴾ هود 48/25.

نزلت سورة "هود" بعد سورة" يونس" و عُدّت الثّانية و الخمسون في ترتيب النّزول ؛تحوي أطول المشاهد الحوارية في قصّة نوح و هي تحوي كلّ مراحل قصّته من خلال دعوة قومه التي قوبلت بالرّفض و التّكذيب هو و من آمن بدعوته إلى أن وصل الحوار معهم إلى طريق مسدود حين طلبوا منه إنزال العذاب الذي توعّدهم به ؛ و يأتي الأمـــر الإلهي بإنهاء الدّعوة و صناعة الفلك برعاية ربانية و وحي الهي ليكون وسيلة نجاة المؤمنين فيعلمه الله تعالى عن علامات بداية الطّوفان و عن النّاجين الذين يحملهم معه في الفلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ .

كما حوت سورة "هود" مشهدا حواريا لنوح مع ابنه يدعوه إلى الرّكوب في الفلك معه و مع من آمن بدعوته غير أنّ ابنه أبى فكان من المغرقين ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣ ﴾.

و يأتي سؤال نوح ربَّه – و قد أعلمه بنجاة أهله – عن عدم نجاة ابنه فنهاه الله تعالى عن السّؤال عن ما ليس له به علم بعد أن أعلمه أنّه ليس من أهله و أنّه عمل غير صالح ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦ ﴾ ؛ليكون ردّ نـــــوح طلـــب

المغفرة من ربّه لأنّه إن لم يغفر له و يرحمه يكن من الخاسرين ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ .

و تختتم سورة "هود "بالتّمكين لنوح و من آمن بدعوته ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ ﴾ .

I .4.5. سورة المؤمنون[1]:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩ ﴾المؤمنون23-29.

[1] سورة "المؤمنون "مكيّة و هي السّورة السّادسة و السّبعون في ترتيب النزّول تأتي بعد (الطّور) و قبل (الملك) ،من الأغراض التي اشتملت عليها :تحقيق الوحدانية لله تعالى و إبطال الشّرك بدأت بالسّيادة للمؤمنين و ختمت بأمر الرّسول صلى الله عليه وسلم أن يغض عن سوء معاملة المشركين و يدفع بالتي هي أحسن.

و إذا كانت سورة "هود" قد شملت كلّ مراحل قصّة نوح فإنّ سورة "المؤمنون" عرضت مشهدا حواريا ضمّ الملأ الذين كفروا من قومه و نوح و المؤمنين بدعوته ؛إذ دعا نوح قومه إلى عبادة الله و توحيده ليتوجه الملأ الذين كفروا من قومه إلى المؤمنين بدعوته من أجل صدّهم عن دعوته .

إنّ الإضافة التي نستشفها في سورة "المؤمنون" – إضافة إلى نفيهم أن يكون رسولا لبشريته– استخفافهم بشخصه و ادعاءهم أنّ علّة ادعائه النبوّة هو التّفضل عليهم ،إضافة إلى احتكامهم إلى المتوارث من آبائهم الأوّلين ؛كما اتهموه بالجنّة و دعوا القوم إلى التربّص به فإن عاد إلى رشده ثبت جنونه و تأكّد أنّ ما كان يقوله جنون و إن لم يشف ثبُت جنونه ؛هنا دعا نوح ربه طلبا للنّصرة لأنّ قومه كذّبوه ليأتي الأمر الالهي بصناعة الفلك برعاية ربانية و وحي آلهي ؛ و إذا كانت سورة "هود" قد بيّنت لنوح و المؤمنين بدعوته ما يقولونه عند الرّكوب ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ ؛ فإنّ سورة "المؤمنون "أضافت ما يقوله نوح و من معه بعد الاستقرار على الفلك ﴿ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

I .5.5. سورة الشّعراء[1]:

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾الشّعراء: 106–118.

و هي السّورة الثّانية التي تعرض قصّة نوح بعد سورة ا"لأعراف" ما يلاحظ أنّ الحوار تركّز حول دعوة نوح قومَه إلى تقوى الله و طاعة رسوله و عدم طرده للمؤمنين بدعوته– بعد أن اشترط الملأ الذين كفروا من قومه طرد الأراذل كشرط لإيمانهم به غير أنّه رفض طلبهم– لأنّ حسابهم مقصور على الله إن هو إلاّ نذير مبين ؛لذا تختلف سورة "الشّعراء" عن سورة "هود" لأنّه في" الشّعراء "علّل سبب عدم طردهم ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ بّينما في "هود"علّل سبب عدم طردهم ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ .

[1] سورة "الشّعراء " تسمّى (طسم) و (الجامعة) لأنهّا جمعت ذكر الرّسل جميعا وسميت "الشّعراء "لانفرادها بين السّور بذكر كلمة الشّعراء تأتي في الرّتبة السّابعة و الأربعين في ترتيب النّزول نزلت بعد "الواقعة "و قبل "النمل" وقد شملت عدّة أغراض منها التنّويه بالقرآن الكريم و عجز المشركين عن معارضته أو الإتيان بمثله إضافة إلى تسلية الرسّول صلى الله عليه و سلّم عن ما يلاقيه من إعراض من خلال ضرب المثل بمن سبقوه من الرّسل الذين كانت نجاتهم دليلا انتصار الحقّ. .

إضافة إلى تأكيده عدم أخذه أجرا مادّيا مقابل دعوته لينتهي الحوار بتهديدهم له بالرّجم إن لم يتوقّف عن دعوته فيلجأ إلى ربّه طالبا النّصرة ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾ .

I .6.5. سورة القمر:[1]

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾ القمر 9.

تعرض سورة "القمر" مشهدا حواريا مقتضبا حيث ينتقل الملأ الذين كفروا من قومه من اتهامه بالجنّة إلى اتهامه بالجنون ليقرّ نوح عدم قدرته على مواجهتهم فيطلب فتحا من الله فاستجاب له ربّه ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾.

تتفق "المؤمنون" و الشّعراء " و " القمر" أنّ العذاب نزل تلبية لدعاء نوح .

[1] سورة ا"لقمر" مكية ،تعدّ السّابعة و الثّلاثين في ترتيب النّزول و الرّابعة و الخمسين في المصحف لم يذكر فيها لفظ الجلالة ،و قد عالجت أصول العقيدة الإسلامية ، تشكّل في مجملها حملة على المكذبين بآيات الله لذا اتسمت بالتهديد و الوعيد ؛ وقد نزلت بعد انشقاق القمر في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم و قد ظنّت قريش أن ذلك سحر فنزلت سورة "القمر" لتفنّد مزاعم قريش ليكون انشقاق القمر آية تؤكّد وحدانية الله تعالى و كذا نبوة محمد صلى الله عليه و سلّم.

I .7.5. سورة نوح:[1]

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ

[1] سورة "نوح "مكّيّة ، نزلت بعد نزول أربعين آية من سورة "النّحل "و قبل سورة "الطّور" ، احتوت دعوة نوح قومه إلى عقيدة التّوحيد من خلال تذكيرهم بآيات الله وكذا تذكير بيوم البعث ، كما عرضت السّورة تكذيب قومه له و إصرارهم على عصيانه ؛ لذا تأتي سورة "نوح "لضرب المثل تسلية للرسول صلى الله عليه وسلّم ومن آمن بدعوته.

ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾﴾ نوج1-28.

تأخذ سورة "نوج" ترتيبها 71 في ترتيب المصحف و كدا ترتيب النّزول ؛تنفرد بقصّة نوح تختلف في أسلوبها عن بقيّة السّور و هي كما قال "الجابري "« تتميّز بلهجتها الشّديدة و بآياتها المتراصة التي تكرّر المعنى الواحد في صيغ مختلفة متناغمة ، سورة تدور حول محور واحد في الغالب فتمتاز بوحدة المعنى في إطار من التّعبير المتنوّع المتدفق »[1]؛ تشمل سورة "نوح "عرضا مفصّلا يضعه نوح بين يدي ربّه حول مسيرته الدّعوية المضنية كي تكون حجّة عليهم أمام ربّه ثم تُختم بدعائه للمؤمنين بالمغفرة ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾﴾

كما دعا على قومه المكذّبين بالاستئصال ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾

I .6. داخل النّص:

قبل تحليل الحوار الحجاجي في قصّة نوح نشير إلى ما يلي :

[1] محمد عابد الجابري : في التّعريف بالقرآن الكريم ،ج1 ، دار النّشر المغربية ،ط2،المغرب ،2007 ، ص 310 .

- سنتتبع المشاهد الحوارية حسب مراحل قصّة نوح من مرحلة التّكليف إلى مرحلة الجزاء و التّمكين لنوح و من آمن بدعوته و إغراق الذين ظلموا.
- سنضع طرفي الحوار في خانتين ؛كلّ خانة تحوي تدخّلات أحد الطّرفين مع ترقيم التّدخّلات التّدخل (01) في الخانة الأولى يقابله التّدخل (01) في الخانة الثّانية و هكذا ... و إن لم نجد ردّا نشير إلى ذلك مع ما لهذا التّغييب من دلالة مثلما هو الحال في سورة (يونس).

- سنعتمد تقديم بعض المقاطع و تأخير البعض الآخر حسب مراحل الدّعوة ؛ فالتّكليف مثلا ورد في سورة (نوح) مع أنّها تأتي في ترتيب المصحف (71) لكنّه المقطع الأوّل و في مرحلة الدّعوة يأتي المقطع الثّاني و هو في سورة (نوح) أيضا مع أنّها تأتي في ترتيب المصحف (71) و في بقية المقاطع سنعتمد ترتيب المصحف خاصّة مرحلة الدّعوة مع الإشارة إلى علاقات المقاطع يبعضها البعض و ما لتلك العلاقات من دور في تنامي الحوار و تطوُّرِه لذا يمكن أن تحوي سورة واحدة عدّة مقاطع و بالتّالي عدّة مراحل مثلما هو الحال في سورة (هود) و يمكن أن تحوي سورة أخرى مقطعا واحدا و بالتّالي مرحلة واحدة كما في سورة (يونس مثلا).

I .7. الحوار الحجاجي في قصة نوح – عليه السّلام–:

يتموضع الحوار الحجاجي في قصّة نوح في سبع سور قرآنية مكيّة و يرتبط طول و قصر المقاطع الحوارية حسب السّورة ؛ سنحاول وضعها حسب مراحل دعوة نوح كما يلي:

I .1.7. المرحلة الأولى: مرحلة التّكليف:

المقطع الحواري رقم : 01. سورة نوح: الآية : 01

المقطع الحواري رقم :01 . (الله تعالى / نوح)	
01: (الله تعالى): أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾	

I .2.7. المرحلة الثّانية: مرحلة الدّعوة :

المقطع الحواري رقم : 02. سورة نوح: من الآية : 02 إلى الآية04.

المقطع الحواري رقم :02 . (نوح/ قومه)	
01: (نوح): يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾	

المقطع الحواري رقم : 03. سورة الأعراف: من الآية : 59 إلى الآية63.

المقطع الحواري رقم:03 . (نوح/ قومه)	
01: (نوح) : يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ **02 :(نوح):** يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣	**01:(الملأ من قومه):** إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠

المقطع الحواري رقم : 04. سورة يونس: الآيتان : 71-72.

المقطع الحواري رقم: 04 (نوح/ قومه) يونس : الآيتان 71-72	
01: (نوح): يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢	

المقطع الحواري رقم : 05. سورة هود: من الآية :25 إلى الآية 34.

المقطع الحواري رقم : 05. (نوح/ قومه).	
01:(نوح): إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ **02:(نوح):** يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ **03 : (نوح):** إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾	**01:(الملأ الذين كفروا من قومه) :** مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ **02:(الملأ الذين كفروا من قومه):** يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾

المقطع الحواري رقم : 06. سورة المؤمنون: من الآية :23 إلى الآية 25.

المقطع الحواري رقم:06 . (نوح/قومه) .	
01: (نوح): يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣	**01:(الملأ الذين كفروا من قومه):** مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗۖ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥
قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦	

المقطع الحواري رقم : 07. سورة الشّعراء: من الآية :106 إلى الآية 116.

المقطع الحواري رقم:07 . (نوح /قومه).	
01: (نوح): أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٠٧ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١١٠ **02: (نوح):** وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥	**01:(الملأ الذين كفروا من قومه):** قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١ **02:(الملأ الذين كفروا من قومه):** لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦
رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨	

المقطع الحواري رقم : 08. سورة القمر: الآية :09.

المقطع الحواري رقم :08. (نوح /قومه) .	
1: (قوم نوح): مَجۡنُونٞ	
أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦	

I .3.7. المرحلة الثّالثة: مرحلة يأس نوح من إيمان قومه:

المقطع الحواري رقم : 09. سورة نوح : من الآية :05 إلى الآية24 .

من الآية :26 إلى الآية28.

المقطع الحواري رقم: 09. (نوح /الله تعالى).	
01: (نوح): رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ	

ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤	

02: (نوح):

رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨

I .4.7. المرحلة الرّابعة: إنهاء الدّعوة و بداية الجزاء :

المقطع الحواري رقم : 10. سورة هود : الآيتان : 36-37.

المقطع الحواري رقم: 10 . (الله تعالى/ نوح) .	
01: (الله تعالى) : لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧	

المقطع الحواري رقم : 11. سورة المؤمنون من الآية 27 إلى الآية 29.

المقطع الحواري رقم:11. (الله تعالى/نوح).	
01: (الله تعالى): أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾	

المقطع الحواري رقم : 12. سورة هود : الآيتان : 38- 39.

المقطع الحواري رقم :12 (نوح / قومه) .	
01:(نوح): إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٩﴾	

المقطع الحواري رقم : 13. سورة هود : الآية :40.

المقطع الحواري رقم :13.(الله تعالى /نوح).	
01:(الله تعالى): ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾	

المقطع الحواري رقم : 4. سورة هود : الآية :41.

المقطع الحواري رقم:14 (نوح /المؤمنون) هود : الآية 41.	
01: (نوح): ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾	

المقطع الحواري رقم :15. سورة هود : الآيتان :42-43.

المقطع الحواري رقم:15. (نوح / ابنه)	
01: (نوح): يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ **02 : (نوح):** قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ	**01: (ابنه) :** سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ
وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾	

المقطع الحواري رقم :16. سورة هود : من الآية :45إلى الآية 48.

المقطع الحواري رقم:16.(نوح/الله تعالى) .	
01: (نوح): رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ **02:(نوح):** رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ	**01: (الله تعالى):** يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ **02: (الله تعالى):** يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ

يمكن أن نستخلص ما يلي :

تحتوي قصّة نوح ستة عشر (16) مقطعا تتفاوت من مرحلة إلى أخرى ، حيث تحتوي مرحلة التّكليف مقطعا واحدا و آية واحدة ، بينما تحتوي مرحلة الدّعوة سبعة مقاطع تحتوي (36) آية كما تحتوي مرحلة يأس نوح من إيمان قومه مقطعا واحدا يشملُ (27 آية) ، أمّا مرحلة الجزاء فقد احتوت (7) مقاطع اشتملت على (15 آية) لنخلص إلى عدد الآيات إجمالا و التي احتوت الحوار الحجاجي (79) آية موزعة على (16) مقطعا.

II. التّحليل التّداولي للحوار الحجاجي في قصة نوح :

II.1. العلاقات التّخاطبية:

تعتبر العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع من العوامل المؤثّرة في إنتاج الخطاب إذ تتأسّس على معرفة الأطراف المتحاورة بعضها ببعض؛ حتّى و إن لم تكن هناك معرفة مشتركة بين الأطراف المتحاورة فإنّ الأطراف تسعى إلى إيجادها وفق الوضع الجديد.

تنبني هذه العلاقة على محورين: المحور الأفقي و المحور العمودي، تتمحور العلاقة الأفقية حول خصائص الدّين و الجنس و خصائص السّن و المهنة و كذا خصائص الحالة الاجتماعية و الخصائص العرقية كما تندرج العلاقات العاطفية ضمن هذا المحور[1]؛ أمّا العلاقة العمودية فإنّها « تتبلور في مراتب تصاعدية للنّاس داخل بُنى المجتمع ممّا يجعلهم ينتمون إلى سلّم تراتبي إذ يقع كلّ طرف من طرفـــي الخطـاب في

[1] ينظر:عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتجيات الخطاب، (مقاربة لغوية تداولية) ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ، لبنان ، 2004، ص 89.

إحدى درجاته سواء أكان سلّما اجتماعيا أو وظيفيا »[1]؛ لذا يحدّد هذان المحوران طبيعة الخطاب بين الأطراف المتحاورة و الذي يتمظهر في المؤشّرات اللّغوية المستعملة عند كلّ طرف .

II. 1.1. العلاقة التّخاطبية بين الله تعالى و نوحٍ :

II.1.1.1. المستوى الأفقي:

أولاً: علاقة التّقارب بين الله تعالى و نوح :

- **اصطفاء نوح لأداء الرّسالة:** حظي نوح بمكانة مخصوصة عند الله تعالى؛ إذْ اصطفاه مع من اصطفى من الأنبياء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾ [آل عمران].

كما اصطفاه دون قومه لأداء الرّسالة ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ ﴾ [نوح:1]؛ و قد جاء هذا التّكريم الإلهي لعلم الله المطلق بما يتصّف به نوح ؛ يشير إلى ذلك الخطاب القرآني في أكثر من موضع ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨١﴾ [الصافات:79-81].

و من مؤشّرات التّقارب أيضا أمرُهُ له بإنهاء الدّعوة و تسليتُه له لعلمه بعدم إيمان آخرين من قومه و لما تكبّده من مشقّة و عَناء و أذًى و تكذيب؛ و هذا ما يؤكّد رعاية

[1] المرجع نفسه: ص 89.

المولى تعالى و تسليتُه له بعد رحلةٍ دعوية مضنية ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [هود:36].

- **التّدرُّج في إلقاء الخطاب:** إذْ أعلم الله تعالى نبيّه نوح بعدم إيمان آخرين من قومه ثم أمره بصناعة الفلك بوحيٍ إلهي و رعاية ربّانية و في ذلك إيناسٌ لنوح لِعلمِه تعالى بما يمكن أن يصيبه من حزنٍ على قومه و كذا عدم معرفته بصناعة الفلك ثم بَيَّن له علامات الطّوفان و حدَّد له النّاجين كما لقَّنه دعاء ركوب الفلك هو و مَن معه من المؤمنين ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ [المؤمنون:27-29].

- **استجابة الدّعاء:** يرتبط الدّعاء بمواقف تكذيب القوم لنوح و أذاهم له هو و من آمن بدعوته لذا يلجأ نوح إلى ربه متضرّعا بالدّعاء لتكون الاستجابة .﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾[الأنبياء:76].

و قال: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات:75] .

و قال أيضا:﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [يونس:73].

و قال: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الشعراء:118-120].

- **طولُ خطابِه – عزَّ وجلَّ- الموجَّه لنوح** حين سأله عن عدم نجاة ابنه، و هو من أهله الذين وعده الله بنجاتهم، إذ فصّل الله تعالى سبب عدم نجاة ابنه إذ نفى أن يكون من أهله ثمّ أكّد له أنّه عمل غير صالح ثم نهاه عن السّؤال عمّا ليس له به علم ليصل إلى النّتيجة ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.

وقال:﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[هود:46].

- **مناداة نوح باسمه** : تأتي مناداة نوح باسمه مؤشّرا آخر عن قرب العلاقة بين الله تعالى و نوح؛ إذْ وقع النّداء « للتّنويه به بين الملأ لطّاهر»[1] و في ندائه أيضا تأكيد على رضا الله تعالى عنه و اشتمالُه برحمته ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود:48].

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّوير، ج12، ص 89.

ثانيًا: مؤشّرات تقرُّبُ نوح من ربّه:

- **الدّعاء:** يُحيل الدّعاء على أزمة تواصل نوح مع قومه و استنفاذ سُبُل دعوتهم ؛ إذْ يأتي حاملا لطاقة كلامية كبيرة « تُريح المتلفِّظ به لأنّه فعلُ الكلام الذي لا يتحقّق إلاّ بالتّلفُّظ به»[1]؛ لقد نفَّذ نوح أمر ربّه بإنذار قومه قبل إنزال العذاب غير أنَّ قومه أعرضوا عنه و كذَّبوه و آذَوْه فكان يلجأ إلى ربّه طلبا للنّصرة و النّجاة له و للمؤمنين بدعوتِه ؛ لذا يأتي الدّعاء ملازما لأذى قومِه له، ففي سورة "المؤمنون" دعا ربَّه أن ينصره نتيجة تكذيبهم دعوتَه ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٢٦﴾ [المؤمنون:26] يقول "الطّاهر بن عاشور" معلِّقا على هذا الدّعاء: «الباء في " بما كذّبون "سببية في موضع الحال من النّصر المأخوذ من فعل الدّعاء، أي نصرًا كائنًا بسبب تكذيبهم، فجعل حظَّ نفسه فيما اعتدوا عليه مُلغًى»[2].

و في سورة "الشّعراء" هدَّدوه بالرَّجم إنْ لم ينتهِ عن دعوته فدعا ربَّه ٱ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ١١٧فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٨﴾[الشّعراء:117-118]؛ أي: فاحكم بيني و بينهم بإنزال العذاب عليهم، و دعا ربَّه بالنّجاة له و للمؤمنين يقول "فخر الدّين الرّازي« و المراد من هذا الحكم إنزالُ العقوبة عليهم؛ لأنَّه قال عقِبَه (نجِّني) و لولا أنَّ المراد إنزالُ العقوبة لما كان لذكر النّجاة بعده معنى »[3] .

---

[1] آمنة بلعلى: الحركة التّواصلية في الخطاب الصّوفي (من القرن الثّالث إلى القرن السّابع الهجريين) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001، ص 94.

[2] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج18، ص 45.

[3] فخر الدّين الرّازي: تفسير الفخر الدّين الرّازي (الشهير بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب) ،مج 12 ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة مج12، ص 114 .

و في سورة "القمر" رمَوْه بالجنون ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ ﴾ [القمر: 10] و هذا إقرارٌ منه بغلبة قومه و عدم قدرته على مجابهتهم و لا إمكانية انتصاره عليهم، فيأتي الدّعاء طلبا للنّصرة من الله تعالى.

- **الإطناب:** يضع نوح تقريره النّهائي للدّعوة بين يدي الله تعالى مع اعتقاده بعلم الله تعالى بكلِّ ما تكبَّده من عَناء في سبيل دعوة قومه؛ إذْ بيَّن حرصه على دعوتهم مع مراعاة زمن استجابتهم للدّعوة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٥﴾ [نوح:5] و كذا كيفيات الدّعوة التي تتلاءم و طبيعةَ المتلقي ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ٩﴾ [نوح:9] ؛كما أنَّه رغَّب قومه في المنافع الدّنيوية و الأخروية للاستغفار كي يؤمنوا بدعوته﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٖ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ١٢﴾ [نوح: 11–12] ثم أقرّ لربه إستراتيجيته مع قومه و كيف بيّن لهم قدرة الله المتجليَّة في آيات النّفس و ما يحيط بهم من آيات كونية ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾ [نوح:13–20] ؛لقد فصَّل نوح مسيرته الدّعوية التي قاربت الألف سنة إلاّ خمسين عاما مع علم الله تعالى بذلك تقرّبا منه إلى الله تعالى و حجّة عليهم أمام الله تعالى.

II. 2.1.1. المستوى العمودي:

يتموقع الطّرفان: الله تعالى و نوح في سلَّم تراتبي خاصّ؛ فالعلاقة بينهما علاقة خالق و مخلوق، و تتجلَّى هيمنته تعالى من خلال المؤشرات التّالية:

- افتتاح المحادثة و اختتامها الذي يكون من نصيب المخاطبين أولي المكانة العليا؛ فالله هو الذي كلَّف نوحا بإنذار قومه و هو الذي أنهى مهمته الرّسالية و نجَّاه من القوم الظّالمين ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود:36].
- عِلمُه تعالى على مستوى الآراء و العلامات من خلال معرفته سبحانه و تعالى بـ :

- عدَم إيمان آخرين من قومه ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[هود:36].

- علمُه بمخاطبة نوح له في أهله و نهيُه له عن تلك المخاطبة ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [هود:37].

- تصحيحُه لمفهوم (الأهل) النّاتج عن تأويل نوح الخاطئ؛ قال جلَّ و علا : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۖ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾ [هود:40].

و قال: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾[المؤمنون:27] فحقيقة الأهل ليست تلك القرابة التي تربط الشّخص بآل بيته، أي قرابة الدّم؛ إنّما تنبني على أساس الدّين في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود:46].

- علمُه تعالى بكيفية صنع الفلك ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [المؤمنون:27] و هذا يحيل على قدرته وعلمه تعالى و تجلّت قدرته في الفلك التي كانت تجري بهم في موج كالجبال لتعبر بنوح –والمؤمنين بدعوته إلى برّ الأمان.
- كما تتأكّد هيمنته تعالى من خلال الإشاريات النّصية التي تحيل على سُمُوّ المرتبة وعظمة المكانة قال تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾[هود:37]، و قال: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ [المؤمنون:27].

و في المقابل يتجسّد الموقع الأدنى لنوح من خلال المؤشّرات التّالية:

- التّجسيد العملي والمباشر للتّكليف.

- عبوديتُه وخضوعُه لله تعالى من خلال الدّعاء و إقرارِه بنصرة الله له ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر:10] كما يتجلّى هذا الخضوع في يقينه بصدق وعد الله له وبالحكمة المطلقة لله تعالى ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود:45].

- إقرارُه بعدم علمه و عودته إلى الله تعالى و طلبُه للمغفرة و الرّحمة منه وحده ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود:47].

II. 2.1. العلاقة التّخاطبية بين نوح و قومه:

لقد أرسل الله تعالى نوحا إلى قومه و كلّفه بإنذارهم قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [نوح:01] ممّا يؤكّد العلاقة المسبقة بينه و بين قومه و يقرُّ القرآن الكريم ذلك في موضع آخر ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾﴾[الشعراء:106]، فهو منهم يعرفهم و يعرفونه و قد سعى إلى التقرُّب منهم و نصحهم و إرشادهم لما فيه صلاحهم و نجاتهم و قد تجسَّد خوفه عليهم من خلال إعلانه عن هذا الخوف قال جلَّ و علا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾[الأعراف:59] و قال: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾ [هود:26] و ندائـــه لهـم

(يا قومي) و هو نداء تحنُّن و استعطاف : ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف:59].

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١﴾ [الأعراف:61].

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١﴾ [يونس:71].

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ [هود : 28–30] .

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٢٣﴾ [المؤمنون:23].

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢﴾ [نوح:2].

و يمكن تقسيم علاقته بقومه إلى قسمين:

- علاقته بالملأ الذين كفروا من قومه.

- علاقته بالمؤمنين بدعوته.

II. 1.2.1. العلاقة التّخاطبية بين نوح و الملأ الذين كفروا من قومه:

II. 1.1.2.1. على المستوى الأفقي:

يحدّد الخطاب القرآني المضطلعين بالرّدّ على نوح و هم الملأ من قومه و الملأ: «أشراف القوم و رؤساؤهم الذين إدا نُظر إليهم ملؤوا العين و إذا جلسوا ملؤوا المجلس »[1] و هم « الجماعة الذين أمرهم واحد و رأيهم واحد لأنّهم يمالئ بعضهم بعضا أي يعاونه ويوافقه و يطلق الملأ على أشـراف القـوم و قادتهـم لأنّ شأنهم أن يكون رأيهم واحدا عن تشاور»[2] و في ذلك « إبراز وحدة الجماعة، فكأنّه لا فرق بين متكلّم منهم وآخر»[3].

وإذا كان نوح قد جسَّد التّقارب بينه و بين الملأ من قومه لأنهّم من قومه فإنَّ دوره التّفاعلي الذي يدعوهم إلى التّوحيد أكَّد التّباعد بينهما و يتجسَّد ذلك من خلال عدّة مؤشّرات:

- لم ينادوه بالنّبي أو الرّسول، بل نادوه باسمه لتأكيد عدم إيمانهم بدعوته بل اعتبروا دعوته لهم جدالا ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[هود:32].

---

[1] أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ، ط1 ،المملكة العربية السّعودية ،2002، ص 458 .

[2] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج8 ،ص 190

[3] صادق قسومة: الحوار :خلفياته وآلياته وقضاياه ، مسكيلياني للنّشر و التّوزيع ، ط1 ، تونس ، 2009، ص123.

- طّعنوا في شخصه و احتقروه بحجّة مكانته الاجتماعية المتدنيَّة﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾[المؤمنون:24] بل رمَوْه بالضّلال المبين ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾[الأعراف:60] و كذّبوه ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود:27] و رمَوْه بالجِنَّة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون:25]،وبالجنون ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر:9]، و هدَّدوه بالرّجم ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشّعراء:116].

II. 2.1.2.1. على المستوى العمودي:

تتنزَّل العلاقة بين نوح و الملأ من قومه ضمن سُلَّم تراتبي، فهم الملأ عِلِيَّة القوم و كبراؤهم، و هو رجل من عامّة النّاس ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون:24] غير أنَّ مجرد تكليفه بالرّسالة يكسبه سلطة تستمدُّ قوّتها من السّلطة الإلهية التي أهلَّته لتبليغ الرّسالة و جعلته في مرتبة أعلى؛ لذا لا يمكن « النّظر إلى السّلطة على أنَّها معطى سابق بل يمكن أن يمتلكها الإنسان بمجرد التلفُّظ بالخطاب»[1]و من مؤشرات هيمنة نوح :

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 221.

- هو رسولهم الذي عليهم طاعته.
- معرفته على مستوى الآراء و العلامات كونه مصطفى من الله تعالى الذي كلّفه بأداء الرّسالة.

II. 2.2.1. العلاقة التّخاطبية بين نوح و المؤمنين:

II. 1.2.2.1. على المستوى الأفقي:

يرتبط نوح بتلك الفئة المؤمنة بعلاقة مسبقة، فهم من قومه الذين أمره اللهُ تعالى بدعوتهم، فآمنوا به و صدَّقوه و تحمّلوا معه أذى القوم ؛ لقد آمن هؤلاء المستضعفون وكانت استجابتهم للدّعوة أسرع على مرِّ الرّسالات؛ لأنَّهم – كما يقول "سيد قطب"– : «فطرتهم لم يفسدها البطر و الترّف، و لم تعوقها المصالح و المظاهر عن الاستجابة؛ و لأنهّم لا يخافون في العقيدة في الله أن تُضيّع عليهم المكانة »[1] و قد تفاضلوا عن هؤلاء الملأ بإيمانهم لذا سعى نوح إلى التّقرّب من تلك الفئة المؤمنة و الدّفاع عنها وتأمينها ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩﴾ [هود:29].

لذا تتبني علاقة نوح مع المؤمنين على أساس عقائدي.

II. 2.2.2.1. على المستوى العمودي:

يتنزّلُ نوح و هؤلاء المستضعفين في نفس السلَّم الاجتماعي فهو منهم و مثلهم لا يملك سلطة و لا جاهً؛ غير أنَّ تكليفه بالرّسالة أكسبه هذه المكانة العليا التي توجب

[1] سيد قطب : في ظلال القرآن، ج 4 ، دار الشّروق، ط 1 ، بيروت ، لبنان،1972، ص 187.

طاعته و الامتثال لأوامره و نواهيه لأنّه يستمدُّ سلطته من السّلطة الإلهية التي كلّفته بالرّسالة ﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ ﴾ [نوح:3].

لقد خلَّف الوضع التّواصلي الجديد (رسول – مؤمنون) علاقة جديدة تتجسَّد فيها الهيمنة الكلّية لنوح ؛ يتأكّد ذلك من خلال عدّة مؤشّرات:

- هيمنته النّصيَّة إذ لا وجود لمادة قولية لهؤلاء المؤمنين ويأتي التّغييب على مستوى النّص للفئة المؤمنة ممَّا يؤكّد طاعتهم له.
- استجابتهم لأوامره من خلال أمره لهؤلاء المؤمنين بركوب السّفينة و الدّعاء أثناء الرّكوب فهو قائد سفينة النّجاة ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١ ﴾ [هود:41] و يأتي التّغييب على مستوى النّص للفئة المؤمنة ممَّا يؤكّد طاعتهم له.

II. 3.1. العلاقة التخّاطبية بين الملأ الذين كفروا والمؤمنين (الأراذل):

II. 1.3.1. المستوى الأفقي:

إضافة إلى الملأ يشكّلُ الأراذل التّركيبة البشرية لقوم نوح و هذا يعني العلاقة المسبقة بينهما و الأرذل :« هو الدّون الخسيس و قيل هو الرّديء من كلّ شيء»[1] و هم «سقط القوم ؛ موصوفون بالرّذالة و هي الخسّة و الحقارة أرادوا بهم ضعفاء القوم وفقراءهم»[2] و يأتي حوار الملأ الذين كفروا من قومه مع الأراذل في سياق خاصّ إذ

[1] ابن منظور: لسان العرب ،ج4 ، ص 3905.

[2] الطّاهر بن عاشور،التّحرير و التّنوير ،ج 19 ،ص160 .

طعنوا في إيمانهم الذي كان لرذالتهم دون رويّة و تدبّر ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود : 27] غير أنّهم حاولوا التّقرب منهم و تجنّبوا الصّراع معهم بعد أن تمكّنت الدّعوة من بعض هؤلاء المستضعفين؛ الذين أصبحوا يُشكّلون قوّة ضاغطة يمكن أن تشتدَّ قوتها و يزداد تأثيرها بازدياد المؤمنين بدعوة نوح و حاولوا استمالتهم من خلال الطّعن في نوح و محاولة كشف نواياه في التفضُّل عليهم ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون:24] .

كما أغروهم بالمال لصدِّهم عن الدّعوة، و محاولة تأليبهم على نوح و تذكيرهم بآلهتهم وضرورة التّشبُّث بها ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح 23].

II. 2.3.1. المستوى العمودي:

يتنزَّل الطّرفان: الملأ من القوم الذين كفروا و الأراذل (المؤمنون) في سلَّم تراتبي؛ فالملأ هم عِلِيَّة القوم أصحاب الحُظوة و المكانة الاجتماعية العليا و الأراذل هم المستضعفون، أصحاب الحرف البسيطة، هم الطّبقة المسحوقة المُعدمة التّابعة لهؤلاء الملأ و قد تجسَّدت هيمنة هؤلاء الملأ من خلال عدّة مؤشّرات:

- هم المضطلعون بالردِّ على نوح إذْ لا نجد صوتا لهؤلاء المستضعفين.

– تأكيد النّظرة الفوقية لهؤلاء ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[هود:27].

– تكريس التّباعد وتوسيع الهوّة بينهم و بين المستضعفين ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الشعراء:111].

II.4.1. العلاقة التّخاطبية بين نوح و ابنه:

II. 1.4.1. المستوى الأفقي:

تتنزّل علاقة الطّرفين (نوح / ابنه) ضمن علاقة أبُوَّة / بُنُوَّة و قد أقرَّ القرآن الكريم هذه العلاقة ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود:42]، كما أقرَّها نوح ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود:42] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [هود:45].

إنَّ هذه العلاقة العائلية تحتِّم التّقارب بين الطرّفين، غير أنَّ الدّور التّفاعلي لنوح كونه رسولا يؤكّد التبّاعد بينهما لأنّ أساس التعارض بينهما هو أنّ نوحا يدعو إلى عقيدة التوحيد لذا فهو يدعوه إلى الركوب مع المؤمنين غير أنّ الابن أبى ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾

غير أنّ نوحا سعى إلى التقارب ابنه من خلال مناداته دون سواه نداءَ تصغير (يا بُنَيَّ) مع ما للتّصغير من تقريب للمنادى، مع شحنة استعطاف وتحنُّن علَّه يركب ليكون من النّاجين، و تلك آلية حجاجية حاول من خلالها نوح الحفاظ على علاقة التّقارب بينه و بين ابنه و في المقابل أكَّد الابنُ تباعده عن نوح من خلال رفضه الرّكوب مع الفئة النّاجية بل إنّه لم يحدث ذلك التواصل اللفظي مع والده و ذلك من خلال تغييب (يا أبتي)؛ إنّ هذا التّغييب هو تغييب للعلاقة العائلية التي تربط الابن بوالده و التي تقتضي الطّاعة ناهيك عن نوح الرسول الذي يقتضي الإيمان به.

إنّ الدّور التّفاعلي لنوح -الرّسول - لم ينف أبوّته التي طغت و ذلك من خلال استعطاف ابنه و كذا من خلال وقوفه بين يدي ربّه يسأله عن عدم نجاته و هو الذي وعده بنجاة أهله.

II. 2.4.1. المستوى العمودي:

يأخذ نوح المكانة العليا أبًا و نبيًا، بما تقتضيه الأبوَّة و النبوَّة من طاعة و تتجسَّد هيمنة نوح من خلال:

- افتتاحه للمحادثة ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [هود:42] و ختمه لها ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود:43].
- معرفة نوح بالآراء و العلامات من خلال معرفته بنفاذ أمر الله ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود:43]

في المقابل يتأكَّد الموقع الأدنى لابنه من خلال اعتقاده بالنّجاة حين يأوي إلى جبل يعصمه من الماء ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ٤٣﴾ [هود: 43].

لقد جسَّد الابن تباعده عن نوح أبًا و نبيًا من خلال تباعده في المكانة ﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾ [هود:42] و رفضه الركّوب في الفلك مع أبيه و النّاجين.

لقد أوجدت المخاطبة بين نوح و ابنه تعارضا بينهما:

تتمثل مخاطبة نوح ابنه كما يلي:

يا بني ⟵ مجموعة خالية ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾

علاقة عائلية

يا بني ⟵ يا أبتي

﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ⟵ ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾

يمكن أن نخلص – بعد تحليلنا للعلاقات التّخاطبية – في مستوييها الأفقي والعمودي أنّها تحدّد مسار الحوار و تحدّد طبيعة لغة الأطراف المتحاورة.

II. 2. أفعال الخطاب في الحوار الحجاجي في قصّة نوح :

II. 1.2. المرحلة الأولى: إرسال نوح إلى قومه و تكليفه بالرّسالة:

تحوي هذه المرحلة مقطعا حواريا واحدا في سورة "نوح" بينما يأتي التّكليف سردا صريحا فيما تبقى من السّور.

السّورة	الآية	بناء الجملة
الأعراف	﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا ﴿٥٩﴾ ﴾[59]	لقد+فعل ماض+ نا (فاعل) الله تعالى.
يونس	﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [71]	و+ فعل أمر.
هود	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا ﴾ [25]	و+لقد+فعل ماض+نا(فاعل)الله تعالى.
المؤمنون	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا ﴿٢٣﴾ ﴾ [23]	و+لقد+فعل ماض+نا(فاعل)الله تعالى.
نوح	﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا ﴿١﴾ ﴾ [1]	إنَّ (التوكيد) + نا (فاعل) الله تعالى.

ترتبط هذه الصّيغ بفعل القصّ الموجَّه للرسول صلى الله عليه وسلم و هي تؤكّد تخصيص فعل الإرسال بالله تعالى و تكليف نوح بالرّسالة؛ ولا يأتي التّكليف قولا لغويا إلاّ في سورة "نوح"

المقطع الحواري رقم :01 . سورة نوح :الآية: 01.

المقطع الحواري رقم :01 (الله تعالى / نوح) .	
01: (الله تعالى): أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾	

التّدخل 01 : (الله تعالى):

يُفتتح التّكليف بخطاب موجَّه لمتلقي القرآن الأوّل ؛الرّسول صلى الله عليه وسلم-فيه إخبارٌ بإرسال نوح إلى قومه ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ ﴾ :(إنَّ) توكيد مقترن بضمير الجمع المتكلم (نا) متبوع بفعل ماض مقترن بضمير المتكلّم الجمع (أرسلنا) و يحمل الفعل دلالة الإثبات والتّقرير و تكمن قيمته الإنجازية في الإخبار بإرسال نوح إلى قومه.

يقتضي الإرسال رسولا يُحدّده الخطاب القرآني باسمه (نوح) كما يقتضي مرسلا إليه (قومه) و الذين لم يذكروا بغير هذا الملفوظ في كلِّ الخطاب القرآني ؛ و تكليف نوح بالرّسالة يقتضي اصطفاءه من بين قومه ممَّا يعني اختلافه عنهم و في الوقت نفسه قربه من السّلطة الإلهية التي كلَّفته بأداء الرّسالة.

﴿ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ ﴾ مقتضى هذا التّكليف إنذارُ قومه، و الإنذار« الإبلاغ والإعلام و لا يكاد يكون إلاّ في تخويف »[1] و ترتبط الشّروط التّمهيدية بسلطة الله تعالى على المأمور نوح و يتمثّل تحقيق مضمون الفعل الإنجازي في إعلام نوح بما يترتَّب عن عدم استجابة قومه لدعوته من خلال ما أعدَّه لهم من عذاب أليم.

يأتي ﴿ أَنذِرۡ ﴾ فعلا كلاميا إلزاميا – أمر– و هو « شكل من أشكال التّوجيه الإلزامي؛ إذ ينبني على الأمر كونه يستمدّ طاقته من شخـــص الآمر و ليــس مــن ذات

[1] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، و المبيّن لما تضمّنه من السّنة و آي القرآن ، ج1 ،تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي و محمد رضوان عرقسوسي ، مؤسسة الرّسالة ، ط1 ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص281.

الصّيغة »[1] و هو أمر حقيقي « طلب الفعل على وجه الاستعلاء و الإلزام »[2] من الأعلى (الله تعالى) إلى الأدنى (نوح) بصيغة صريحة ؛الغرض منه حمل المخاطب على إنجاز فعل الإنذار و في ذلك إحالة إلى حال قومه و ما هم عليه من شرك يقتضي الإنذار نظرا لما كان عليه قوم نوح « ما جاء عصر نوح حتى عاد النّاس و قد نسوا ما ذكّروا به من قبل من وجوب عبادة الله وحده لا شريك له و يسلّط عليهم الشّيطان ليصدّهم عن سبيل الله واتخذ معهم طريقا آخر غير الذي سلكه مع آدم فلم يقنع بالحثّ على فعل المعصية بل تعدّى إلى أكثر من ذلك فزيَّن لبني آدم عبادة الآباء و الأجداد و التّماثيل و الأوثان و الأصنام »[3] من جهة ثانية تهديدٌ لهم و وعيد﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ و تعتبر (من قبل) من الواصلات أو المؤشّرات الزّمانية يتحدَّد بُعدها الزّماني بمقام التلفُّظ (الآن) أي لحظة إرسال نوح إلى قومه و تكليفه بإنذارهم وتأتي ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ لتحيل على التّهديد و الوعيد؛ إذْ أنَّ هناك وقت ينتهي فيه الإنذار و يأتي بعده عذاب أليم إن لم يؤمنوا.

يحيلُ هذا التّحديد على فعل كلام مركَّب ضمني؛ إذ أنَّ الإتيان بالعذاب الأليم مرتبط بعدم استجابتهم لإنذار نوح – عليه السّلام – و يأتي "أليم" ملفوظا محمَّلا بطاقة حجاجية مكثّفة؛ إذْ يكفي القول بالعذاب حتّى يكون أليما؛ لكن هذه الزّيادة في الوصف تزيد من الطّاقة الحجاجية للعذاب.

---

[1] عبد الله صولة: الحجاج أطُره و منطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج. الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتكاه، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 321.

[2] عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، دار النّهضة العربية ، ط1 ،،بيروت ، لبنان، 2009 ،ص 75.

[3] الحاج محمد وصفي : الارتباط الزّمني و العقائدي بين الأنبياء و الرّسل ، دار ابن حزم للطّباعة و النّشر و التّوزيع ،ط1 ، بيروت ، لبنان ،1997 ، ص 71.

II. 2.2. المرحلة الثّانية: مرحلة الدّعوة:

بعد تكليف الله تعالى نوحا إنذار قومه بدأ نوح مرحلة الدّعوة و قد تضمّنت قصّة نوح مع قومه عدّة مشاهد حوارية تتقاطع و تتشابك و يُكمِّلُ بعضُها بعضا حسب ما يقتضيه السّياق، و تزداد وتيرة الحوار و تشتدُّ حسب مراحل الدّعوة.

المقطع الحواري رقم :02 . سورة: نوح :من الآية 2 إلى الآية 4.

المقطع **الحواري رقم :02 . (نوح/ قومه)**	
01: (نوح): يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۘ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤	

التّدخل 01: (نوح):

يأتي تدخل نوح ليؤكّد نجاح الفعل الإنجازي ﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ﴾ إذْ يتحوّل نوح إلى مرسل للخطاب إلى مرسل متعيّن– قومه– على اختلاف معتقداتهم و وظائفهم و أوضاعهم الاجتماعية و كذا قدراتهم الاستيعابية؛ الأمر الذي يحُتِّم عليه امتلاك كفاءة حوارية عالية تحوي هذا التّعدّد و الاختلاف و التّفاوت قصدَ التأّثير فيه و إقناعه بالمعتقد الجديد فهو بهذا لا يُعدِّل سلوكا بل يُغيِّر عقيدة تتغيّر معها كلّ متعلقاتها؛ و هذا ما يؤُكِّد

أنّ ما سيكون من حوار سيكون حجاجيا بامتياز على اعتبار أنّ نوحا سيتوجّه بدعواه إلى متلقي متردّد و شاكّ و ليس متلقي خالي الذّهن[1].

يبدأ نوح بنداء ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ و هو فعل كلامي تأثيري؛ و هو يسعى من وراء ذلك إلى التّأثير في قومه من خلال « هيمنة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه »[2] أي يستدعيه لسماع ما يقول و هو الرّجل من عامّة النّاس و هم القوم بكلّ مكوّناتهم و انتماءاتهم و معتقداتهم؛ الأمر الذي يُحتِّمُ على هؤلاء المستقبلين لهذا النّداء تفعيل كفاءاتهم من أجل الاستيعاب الإيجابي للمضامين التي جاء بها نوح.

﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ فعلُ كلامٍ تقريري مُؤكّد بـ (إنَّ) المضاف إلى ضمير المتكلّم المفرد و كذا تقديم الجار و المجرور (لَكُمۡ) لتخصيصهم هم دون غيرهم بالإنذار؛ و النّذير « كونه مهدِّدا للعصاة بالعقاب، ومِن مبين كونه مبيناً ما أعدَّ الله للمطيعين من الثّواب »[3] و يأتي هذا الملفوظ التّقريري مؤكّدا بـ (إِنِّي) و كذا تقديم الجار و المجرور كما أنّه يحمل حكما تقويميا و هو من أفعال الإثبات حسب "سيرل" و التي تُلزم المتكلِّم بصدق القضيّة المعبّر عنها .

يحيل هذا القول إلى المتضمّنات التالّية:

- أنَّه مكلَّف بإنذارهم هم دون سواهم.
- أنَّ هناك من كلَّفه بإنذار قومه، و هذا يعني أنَّه مرسل من سلطة عليا مُخوَّلٌ لها ذلك.

[1] يصنِّف اللّغويون المخاطبين إلى ثلاثة أصناف: مخاطب خالي الذهن، مخاطب شاكٌّ ومتردد، مخاطب جاحد ومنكر. ينظر: محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشّرق، المغرب، 2002 ،ص 35.

[2] محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 19.

[3] فخر الدّين الرّازي: مفاتيح الغيب، مج9 ، ص 175.

- تكليفه بإنذار قومه يعني اصطفاؤه من بينهم، و في الوقت نفسه انتماؤه لهذه السّلطة العليا.
- تكليفه بإنذار قومه يحيل إلى حالهم التي هم عليها و التي تقتضي الإنذار يقول "سيد قطب" « و الحالة التي كان قوم نوح قد انتهوا إليها من إعراض و استكبار و ضلال تجعل الإنذار هو الأنسب ما تلخص به رسالته و أوّل ما يُفتح به الدّعوة لقومه الإنذار بعذاب أليم في الدّنيا و الآخرة أو فيهما جميعا [1]» يقول "الطّاهر بن عاشور" معلّقا على قول نوح « فجمع في صدر دعوته خمسة مؤكّدات و هي النّداء جعل المنادى لفظ (يَقَوْمِ) المضاف إلى ضميره و افتتاح كلامه بحرف التّأكيد و اجتلاب لام التّعليل و تقديم مجرورها »[2].

﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ سلسلة من الأفعال الكلامية الغرضية – أمر– تكمن قوّتها الإنجازية في النّصح والإرشاد لأنَّ الأمر لا يأتي على وجه الإلزام إنَّما النّصيحة الخالصة[3] و يأتي ربط عبادة الله و تقواه و طاعة رسوله بـ ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ فعل كلام تقريري تكمن قوّته الإنجازية في التّرغيب في الجزاء النّاتج عن الأمر الذي يرتبط بالشّروط التّمهيدية؛ إذْ يعُلم نوح قومَه بما يترتّب عن عبادة الله و تقواه و طاعة رسوله و هو وعد يرتبط بالله تعالى (يغفر لكم– يؤخّركم) الذي أرسله و كلَّفه بإنذارهم؛ إنّ « وصف الأجل بالمسمّى و تعليق تأخيرهم إليه بالإيمان و الطّاعة صريح في أنّ لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا »[4] و هو المراد بقوله :

[1] سيد قطب، الظلال ،ج6 ،ص 3710.

[2] الطّاهر بن عاشور، التّحرير و التّنوير ، ج 29 ، ص 188.

[3] ينظر: عبد السّلام هارون: الأساليب الإنشائية في النّحو العربي، مكتبة الخانجي، ط5، مصر، 2001، ص112 .

[4] أبو السّعود بن محمد العمادي الحنفي : تفسير أبي السّعود أو إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تحق : عبد القادر احمد عطا ، ج 2 مكتبة الرياض الحديثة ، الرّياض ،ص 396.

﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ ﴾ يقابل الوعد بغفران الذّنوب وتأخير الأجل وعيدٌ وتحذير مؤكَّد ب -(إنَّ) بالأخذ بالعذاب إن لم يؤمنوا.

يحيل القول على مضامين مضمرة و هي:

- أنَّ المكلَّف بالجزاء هو المخصوص بالعبادة.
- أنَّ الغفران ﴿ مِّن ذُنُوبِكُمۡ ﴾ يحيل إلى أنَّ هناك من الذّنوب ما لا يُغفر .
- أنَّ هناك أجلا سمَّاه الله يختصُّ هو وحده بعلمه « سمَّاه الله و علمه قبل وجودكم، فلا يُزاد فيه و لا يُنقص منه، فيكون موتكم على العادة متفرّقا»[1] فإن لم تؤمنوا و تتقوا الله و تطيعوا رسوله لا يُؤخَّر ذلك الأجلَ المسمَّى و هي إحالة ضمنية إلى التّعجيل بالأخذ بالعذاب الأليم؛ لقد اعتمد نوح قانون الشّمول فهو « ضمن هذا الأساس يعمد إلى إعطاء عدد من المعلومات من الضّرورة أن تكون شاملة و عامّة »[2] إذ زوّد قومه بما يمكن أن يُبعد عنهم الأذى و بما يمكن أن يجلب إليهم سعادة الدّنيا و الآخرة.

[1] برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي : نظم الدّرر في تناسب الآيات و السّور ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة ج20، ص 448.

[2] ذهبية الحاج حمو: لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب،الأمل للطّباعة و النّشر، تيزي وزو ، الجزائر، ط2 ،ص 192.

المقطع الحواري رقم :03. سورة : الأعراف: من الآية 59 إلى الآية 63.

المقطع الحواري رقم:03 (نوح/قومه) .	
01: (نوح) : يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ **02 :(نوح):** يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣	**01:(الملأ من قومه):** إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠

التّدخل 01: (نوح):

يبدأ نوح بنداء (يَٰقَوۡمِ) فعل كلامي تأثيري لشدِّ انتباه قومه و محاولة استعطافهم بإقراره انتماءَه إليهم و تقريب المسافة بينه و بينهم و هو بذلك يصنع لقوله سياقا حتّى يتقبّل قومه ما سيقول ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ فعل كلام غرضي –أمر– تكمن قوته الإنجازية في نصح القوم و إرشادهم إلى عبادة الله ويأتي النّفي ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ لنفي الألوهية عمّن سواه و تخصيص الإله الذي يدعوهم لعبادته بالوحدانية

« فكان العلم بالتّوحيد شرطا بحسن العبادة »[1] و لتأكيد ذلك اجتمعت مجموعة من المؤكّدات: فعل أمر + النّفي (مَالَكُم) + (مِّنۡ)+ (غَيۡرُهُۥٓ.)

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ فعل كلام غرضي تقريري تكمن طاقته الإنجازية في التّحذير من عذاب يوم عظيم فتأتي (عظيم) محمَّلة بطاقة حجاجية كونها تصف عظم ذلك اليوم و هذا هو الغرض من دعوته؛ اتقاءُ عذاب يوم عظيم.

يحيل القول على معانٍ مضمرة:

- عبادة قومه لغير الله.
- أنّهم لا ينكرون وجود الله.
- عبادتُه هو و توحيده لهذا الإله الذي يدعوهم إلى عبادته و توحيده.
- اعتمادُه الإستراتيجية التّي أمدَّه الله بها (الإنذار) من خلال تخويفهم من عذاب يوم عظيم إن لم يؤمنو.
- خوفُه عليهم من عذاب يوم عظيم يعني حرصه على ما ينفعهم[2].

---

[1] الرّازي: مفاتيح الغيب، مج7، ص 133 .

[2] وهذا ما يسمّى مبدأ المشاركة الذي يعدُّ أولى خصائص التّواصل فهي التي « تفعِّل إرادة القول لدى أطراف الحوار و هي المؤطِّرة لعناصر التّفاعل بين ممثلي الخطاب و لولاها ما انتظم أيُّ تواصل فعّال بين عناصر التّواصل »محمد نظيف:الحوار و خصائص التّفاعل التّواصلي .دراسة تطبيقية في اللّسانيات التّداولية ، ، ص 16.

و إذا انعدم مبدأ المشاركة انعدم التّواصل «إنَّ الشّركاء في تفاعل لغوي يتقاسمون في العادة هدفا مشتركا إذا انعدم لن يكون ثمّة سبب للتّواصل وقد لا يتم التّواصل على الأرجح » ينظر: فيليب بلانشيه: التّداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ، ص 84 .

- أنَّ نوحا ينطلق من المعرفة المسبقة بقومه ليؤسِّس لعلاقة جديدة بينهم و بينه كونه مصطفى من الله الذي يدعوهم لعبادته و توحيده ؛ ممَّا يوجب عليهم طاعته كما يؤسِّس لعلاقة جديدة بين قومه و الإله الذّي يدعوهم لعبادته و توحيده.

التّدخل 01: (الملأ من قومه):

يأتي ردُّ الملأ من قومه ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يضطلع الملأ بالردّ على نوح و الملأ هم « الشّخصية الجماعية التي تتحدّث بلسان واحد و تتّخذ قرارا واحدا و.. من المشاعر و الأحاسيس ما يوحّدها فتكون بذلك شخصية جماعية واحدة »[1] و قد كانت كذلك طيلة المشاهد الحوارية ؛ يأتي ردّ القوم فعلَ كلام تقريري مؤكّد بجملة من المؤشّرات اللّغوية (إنَّ+ ضمير جميع المتكلّم+ اللاّم) إضافة إلى الصّيغة المجازية ﴿ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ و كذا الجملة الاسمية يقول " الطّاهر بن عاشور "معلّقا « و ظرفية «في ضلال مبين» مجازية تعبيرا عن تمكّن وصف الضّلال منه حتّى كأنّه محيط به من جوانبه إحاطة الظّرف بالمظروف » [2] يُحيلُ هذا الردّ على معان مضمرة:

- عدم نجاح الفعل التّأثيري: يؤكّد ذلك عدم تجاوب القوم مع دعوته.
- أنهّم جماعة من الملأ، إذ تعدّل القوة الإنجازية لقولهم انطلاقا من كونهم جماعة، إضافة إلى المكانة الاجتماعية العالية التي تُخوّل لهم سلطة القول.
- تنبئ المؤكّدات بصراع بين فرد و جماعة.

[1] حبيب منسي : المشهد السّردي في القرآن الكريم ،قراءة في قصّة سيدنا يوسف ،مخبر الدّراسات الأدبية و النّقدية و اللّسانية ، مكتبة الرّشاد للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، ط 1، الجزائر ،2009،ص 27.

[2] الطّاهر بن عاشور، التّحرير و التّنوير، ج8 ، ص 191.

التّدخل 02: (نوح):

﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يبدأ نوح بفعل كلام تأثيري (تي) نداء سعى من ورائه إلى التّأثير في قومه بتأكيد انتمائه إليهم هذا الانتماء الذي « ينبغي أن لا يكون موضع نقاش لأنّه في هذه الحال لن يكون في صالح الفكر المختلف؛ في حين أنَّ عليه الحفاظ على هذا القاسم المشترك الجماعي الاجتماعي الأدنى الذي لا تكلفنا المحافظةُ عليه شيئا سيصير عنصر قوّة في إثارة أفكارنا »[1] ؛ لقد جاء تأكيد الانتماء بعد التّباعد الذي عمد إليه الملأ من قومه حين رموه بالضّلال المبين، الأمر الذي يؤكّد فشلهم في التأّثير عليه كما يؤكِّد نداؤُه حرص نوح على ما فيه صلاحهم و مصلحتهم و كذا استحضار أذهانهم لتقبُّل ما يقول.

﴿لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾فعل كلام غرضي، تقرير وصفي إذ أكَّد نفيه "الضّلال المبين" بنفيه عن نفسه أدنى الضّلال؛ لأنَّ الضّلالة «أخصُّ من الضّلال فكانت أبلغ في نفي الضّلال عن نفسه كأنّه قال ليس بيشيء من الضّلال »[2] و أكّد ذلك بحرف الجر المقدّم المرتبط بضمير المتكلّم (بِي) و بـ (لَيۡسَ) لنفي الحال إضافة إلى (ضَلَٰلَةٞ).

يؤكِّد هذا الرّدّ على كفاءة نوح اللّغوية[3]؛ إذ أنَّه نفى عن نفسه أدنى الضّلال ناهيك عن الضّلال المبين بعد أن بالغـــوا في الضّـــلال ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾إنّ هذه

[1] الحسين زروق: الحوار منهج حياة تأملات في الحوار في القرآن الكريم، دار السّلام، ط1، القاهرة، 2008، ص29 .

[2] جار الله محمود بن عمر الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأّويل، تحق: أحمد عبد الموجود، ومحمد عوض، مكتبة العبيكان، ط1، الرياض، ص 454.

[3] وتعني عند تشومسكي « مجموع القواعد التي تسمح للفاعل المتكلّم داخل أي لسان بإنشاء وفهم كلّ أو لا شيء غير جمل هذا اللّسان» ينظر: المصطلحات المفاتيح في اللّسانيات، ص 30.

الكفـــاءة يتقاسمهـــا الطّرفان ؛ نوح و الملأ من قومه- «على أساس أنهّا ملك مشاع بينهما»[1] لأنهّا أحد العوامل المؤسّسة للمعرفة المشتركة بين نوح و قومه.

﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾يأتي الاستدراك ب "لكن " يليها فعل إثبات ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إذ يحدّد ماهيته ﴿رَسُولٌ﴾ ومرسله ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ثم يحدّد مهامّه وهي وعدٌ و التزام منه بـ ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ﴾ و هي وعد منه والتزامٌ بتبليغهم الرّسالة الموكلة إليه و كذا نصحهم لما فيه صلاحهم.

﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ يقول "طه عبد الرحمن": « الإبلاغ يقترن بقصد التّأثير في اعتقادات الغير، بينما لا يستلزم وجود الخبر وجود إبلاغه للغير»[2] و تأتي ﴿ رَبِّي﴾ لتحيل إلى اختلاف ما يُعبد عمَّا كانوا يعبدون، فهو ربه ربُّ العالمين؛ كما تحيل﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾إلى وحدة الرّسالات السّماوية و إن اختلف الرّسل و أقوامهم « فالله لم يرسل حقائق مختلفة من خلال أنبيائه ؛ و لكن أحكام و قيم و شرائع بلغات مختلفة للحقيقة الأصلية للتّوحيد »[3]

[1] أحمد طايعي: التّواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، منشورات زاوية الفن و الثّقافة، ، أكدال، الرباط، ط1 ،2008 ،المغرب ،ص 40.

[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، 2010، ص 45.

[3] مريم آيت أحمد : جدلية الحوار ، قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر ، تقديم : عبد المجيد النّجار ،منشورات مجلة علوم التّربية ، ع 24 ،الدّار البيضاء ،ط 1 ، 2011 ، ص 56.

﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ يقول" الطّاهر بن عاشور":« النّصيحة كلمة جامعة يعبَّر بها عن حسن النيَّة و إرادة الخير من قول أو عمل و يكثُر إطلاق النّصح على القول الذي فيه تنبيه المخاطب إلى ما ينفعه ويدفع عنه و ثوابه و بطشه كما يعلم تكاليفه و نواهيه»[1]

﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ فعل كلام غرضي–استفهام– و الذي يكون « طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصة »[2]تكمن قوته الإنجازية في إنكاره تعجبهم من تكليفه بالرّسالة – و هو رجل منهم– و يأتي تعليل إرساله ﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ فقد أُرسِل لينذرهم و هو فعل كلام إثباتي، و يأتي الرّجاء من دعوته رجاء الرّحمة لهم من الله ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ ؛ إذ تُكسِبُ (لعلّ) القول موضوعية فهو توقع من نوح إن هم آمنوا أن يرحمهم الله برحمته فهو لم يجزم إن هم آمنوا أنّ الله يرحمهم إنمّا برحمته يُرحموا إنّه ينطلق من اعتقاد المتكلّم –نوح أنّ المرء يرُحم برحمة الله و ليس بعمله و تلك أحد أسس عقيدة التّوحيد التي يدعوهم إليها إنّ نوح لا يتمنى بل يرجو رحمة ربّه و الفرق الجوهري بين التّرجي و التّمني أنّ التّمني لا يطمع في حصوله أمّا التّرجي فهو أمرً يُعتقد حصوله إضافة إلى أنّ التّمني يكون في الأمر المحبوب فقط و أنّ التّرجي يكون في الأمر المحبوب و المكروه معا فالترّجي « طلب حصول شيء محبوب» [3] « فإذا كان الأمر مكروها حمل التّرجي معنى الإشفاق »[4].

[1] الطّاهر بن عاشور : التّحرير و التّنوير ، ج8 ، ص 194.

[2] عبد العزيز عتيق : علم المعاني ، ص 88.

[3] حسين إسماعيل الأوسي : أساليب الطّلب عند النّحويين ، وزارة التّعليم العالي ،جامعة بغداد ، 1988 ، ص 549.

[4] عبد السّلام هارون الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص 17.

المقطع الحواري رقم:04 . سورة : يونس : الآيتان 71-72.

المقطع الحواري رقم: 04 . (نوح/ / قومه).	
01: (نوح) : يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢	

التّدخل 01: (نوح):

يتفرّد هذا المقطع عن بقية المقاطع كون نوح يأتي مرسِلا للخطاب و متلقيا له في نفس الوقت و مؤوّلا لكلّ الإمكانات و الخيارات التي يمكن أن يلجأ إليها قومه في مواجهة دعوته.

يبدأ نوح تدخّله (يَٰقَوۡمِ) فعل كلام تأثيري نداء تكمن قوّتُه الإنجازية في التّقرب من قومه و محاولة احتوائهم على الرّغم من أذاهم له و عدم إيمانهم بدعوته ؛﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ فعل كلام غرضي إثباتي يحيلُ إلى معنى مضمر؛ طولُ مكوثه بين قومه و دعوته لهم؛يؤكّد ذلك المؤشرات الزّمنية (كبر- مقامي- تذكيري) كما يحيل إلى عدم استجابة قومه لدعوته رغم اجتهاده في ذلك.

﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ فعل كلام إثباتي تقريري يتضمّن معنى مضمرا؛ عبودية نوح لله الذي يدعوهم إلى توحيده و عبادته، فهو يقرُّ بتوكّله على هذه القوّة الإلهية و التوّكل « عمل القلب و عبوديته اعتمادا على الله و ثقة به و التجاء إليه و تفويضا إليه و رضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه و حسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها و اجتهاده في تحصيلها»[1].

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾فعل كلام غرضي؛ أمرٌ تكمن قوّته الإنجازية في إسداء النّصح لقومه بأن يجتمعوا و كبراؤهم –آلهتهم– التي يعبدون، و يقرّروا ما يقومون به و لا يعلِموه بنتائج اجتماعهم و لا يمهلوه (وَلَا تُنظِرُونِ) يقول" الطّاهر بن عاشور"« و زاد ذكر شركائهم للدّلالة على أنّه لا يخشاها لأنّها في اعتقادهم أشدّ بطشا من القوم و ذلك تهكمً بهم »[2] و تكمن القوّة الإنجازية للنّهي– في إمهاله حتّى يأخذ احتياطاته –في تحدي نوح لقومه ؛ و يأتي الأمر و النّهي (فاجمعوا،لا تنظرون) محمّلين بطاقة حجاجية إذ يوجّه خطابه إلى المتلقي لتغيير سلوكه إمّا بالفعل أو النّهي و في الأسلوبين قيما أساسية جديدة انتقلت من حيّز القول إلى حيّز الفعل لتتشكّل لدينا:

[1] ابن القيم الجوزية: الرّوح في الكلام على أرواح الأموات و الأحياء ، ج1 ، دراسة و تحقيق : بسام علي سلامة الغموش ، منشورات دار ابن رشد للنّشر و التّوزيع والإعلام ، ط1، 1986 ،ص 747.

[2] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير ج11 ، ص 239.

قوّة / مباغتة.
ضعف / إيمان.

و هذا يحيل إلى معنى مضمر، هو أنّه لن يصيبه إلاّ ما كتب الله له.

لقد ارتبط الأمر بالنّهي انطلاقا من المقام الذي يدركه المرسل و الذي يؤكّد عجزهم وشركاءهم (آلهتهم) أمام القوّة الالهية التي يؤمن بها و يدعوهم إلى الإيمان بها والاستناد عليها و بذلك فرض نوح على متلقيه – قومه– منطقه خاصّة و أنّ الاحتجاج يرتبط « بما يؤول إلى أفعال داخل الحياة الاجتماعية بدوافع عقلانية لأنّ الاقتناع والتوافق أنّما يؤولان إلى الالتزام بالفعل أو الإقرار به »[1].

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ﴾ فإن تولّيتم عن دعوتي، فأنا لم أطلب أجرا مقابل دعوتي؛ فعل كلام إثباتي تقريري، لأنَّ أجره يأخذه من صاحب العمل – الله تعالى– إنَّ هذا الإقرار بعدم أخذه للأجر مقابل دعوته لهم يؤكِّد انسجام دعوته إذ أقرّ في بداية دعوته عدم أخذه الأجر (ولا أسألكم عليه أجرا) و ها هو بعد طول مكوثه يقرُّ عدم أخذه أجرا ؛يقول "الرازي": « بيَّن نوح أنّه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه؛ وذلك لأنَّ الخوف إنمّا يحصل بأحد الشّيئين، إمّا بإيصال الشّر أو قطع الدّافع فبيَّن فيما تقدّم أنّه لا يخاف شرّهم و بيّن بهذه الآية أنّه لا يخاف منهم سبب أن يقطعوا عنه خيرا، لأنّه ما أخذ منهم شيئا فكان يخاف أن يقطعوا عنه خيرا»[2] ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

[1] عمارة ناصر : مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، الدّار العربية للعلوم ، ناشرون، بيروت ، لبنان، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، ص91.

[2] الرّازي: مفاتيح الغيب، مج4 ، ص 118.

ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ يأتي الأمر هنا حاملا لمعنى الخبر، فهو مأمور من الله أن يكون من المسلمين المسَلِّمين لأمره؛ الرّاضين بقضائه و قدره، أي ما يصيبه جرّاء دعوته لهم، لذا يأتي هذا الأمر كتذييل لما تقدَّم أي من فئة المسلمين الموحدة لله دون شريك فهو مسلِّم لله سواء اجتمعوا لأذاه أو تولَّوا عن دعوته و هذا يحيل إلى امتثال نوح لأمر الله وكذا إيمانه العملي؛ إنّ هذا الردّ يحيلُ إلى معنى ثابت : الإيمان بالله الواحد و التوكُّل عليه والاستمرار في دعوته حتّى و إن أجمعوا أمرهم على أذاه أو تولوا عن دعوته.

المقطع الحواري رقم:05 . سورة :هود : من الآية 25 إلى الآية 34.

المقطع الحواري رقم :05 . (نوح / قومه)	
01 :(نوح) : إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾	**01: (الملأ الذين كفروا من قومه):** مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾
02 : (نوح): يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾	**02 :(الملأ الذين كفروا من قومه):** يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾

وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ **03 :(نوح):** إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٣٣ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٣٤	

التّدخل 01: (نوح) :

مرّة أخرى يبدأ نوح بفعل كلام غرضي تقريري ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ و يأتي التّأكيد المرتبط بضمير المتكلّم ﴿إِنِّي﴾ مضافا إليه التّخصيص بتقديم الجار و المجرور ﴿لَكُمۡ﴾ ليؤكّد أنّه "منذر مبين" لهم هم دون غيرهم و تكمن القوّة الإنجازية لهذه الملفوظات في التّحذير و الوعيد.

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فعل كلام غرضي؛ نفيٌ جاء متضمّنا معنى الأمر الغرض منه النّصح والإرشاد إلى عبادة الله وحده و هذا يقتضي النّهي عن عبادة غيره.

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ فعل كلام غرضي تقريري مؤكّد بـ (إنَّ) المضاف إلى ضمير المتكلّم مضافا إليه تقديم الجار و المجرور (عَلَيۡكُمۡ) و يأتي الخوف

عليهم من ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ و هذا هو القصد من النّهي عن عبادة غير الله و تأتي ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ لتدعيم القوّة الإنجازية لخوفهم عليه، و تأتي ﴿أَلِيمٖ﴾ لتخصيص صفة ذلك اليوم حيث يدلُّ على « اتسَّاع الألم و شدّته حسب الوقوع في ذلك اليوم على سبيل الاستغراق »[1] فلو كان (عذابا أليما) يُحتمل أن يكون في وقت من الأوقات دون أوقات أخرى؛ لذا فهو يدلّ على الشّمول أي شاملا لكلّ من تنطبق عليه شروط العذاب و لو قال عذابا أليما يعني وقتا معينا و أناسا معينين؛ لأنَّ هذا اليوم عظيم يجمع جميع الخلق و يوم القيامة يشمل الجميع[2].

التّدخل 02: (الملأ الذين كفروا من قومه):

يأتي تدخل الملأ الذين كفروا من قومه نفيا لنبوّة نوح ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾ فعل كلام تقريري إثباتي نفي تكمن قوّته الإنجازية في تكذيب نوح فيما ادعاه من نبوّة و التي تقتضي أن لا يكون الرّسول بشرا و تأتي (مِّثۡلَنَا) لتحيل على العلاقة بين أفعال الكلام وسياقها إذ يحيل السّياق -إلى أنّ الحوار قد جمع نوحا و الملأ من قومه دليل ذلك الواصل (نا) الجماعة (نَرَىٰكَ -مِّثۡلَنَا-أَرَاذِلُنَا- نَظُنُّكُمۡ) إذ يعود هذا الواصل على الملأ الذين كفروا من قومه و الذي يوحي بالعظمة و وحدة الجماعة و المكانة العالية لذا يأتي تكذيب نوح بسبب عدم تفضّله عليهم لأنّه بشر مثلهم و لتأكيد هذا التّكذيب يورد الملأ سببا آخر ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ إذ لم يؤمن به ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ فعل كلام إثباتي تقريري و هو نفي أن يكون الّذين آمنوا به من غير

[1] ملتقى أهل التفسير: أسمر الأرناؤوطي h.ee.ps tafsir.net

[2] المرجع نفسه.

الأراذل و تكمن القوّة الإنجازية لهذه الجملة في تأكيد مضمون الجملة السّابقة و يأتي التّعبير بصلة الموصولُ ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾ « دون أن يقال :إلاّ أراذلنا لحكاية أنّ في كلام الذين كفروا إيماء إلى شهرة أتباع نوج بين قومهم بوصف الرّذالة و الحقارة »[1]ولتأكيد عدم صدق أتباع نوح في إيمانهم بدعوته تأتي﴿ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ لتزيد من قوّة التّكذيب إذ أكّدوا تسرعهم في الإيمان به أي دون روية و تدبّر ، ثم يجمع الملأ بينهما ؛بين نوح والمؤمنين بدعوة ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٍ﴾ فعل كلام إثباتي تقريري تكمن قوّته الإنجازية في تكذيب نوح و الذين آمنوا بدعوته إذ بعد أن نفوا التّفضل عن نوح ثم عن المؤمنين بدعوته جمعوا بينهما و نفوا التّفضل لكليهما؛ و يختم الملأ الذين كفروا من قومه ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾ فعل كلام تقريري إثباتي يؤكّد تكذيب نوح و من آمن بدعوته « فزعموا أنّ نوحا كاذبا في دعوى الرّسالة و أتباعه كاذبين في دعوى حصول اليقين بصدق نوح و هذا الظّن الذي يزعموه مسند إلى الدّليل المحسوس في اعتقادهم»[2] ولا دليل محسوس غير المكانة الاجتماعية المتدنية لنوح و الذين آمنوا بدعوته.

يحيل ردّ الملأ على معنى مضمر من خلال عدم إثباتهم كذب نوح و المؤمنين بدعوته من خلال توظيفهم للفعل "نظنّكم" و هو « من أفعال القلوب ، و يفيد في الخبر الرّجحان و اليقين و الغالب كونها للرّجحان» [3]إذ يمكن للظّان أن يصيب صاحبه أو يخطئ فجاء توظيف الفعل حتّى لا يقعوا في صراع مباشر مع نوح و المؤمنين بدعوته.

---

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير ج12 ،ص 48.

[2] المرجع نفسه ، ص49 .

[3] إميل بديع يعقوب : معجم الإعراب و الإملاء ، دار شريفة ، الجزائر ، ص 267.

التّدخل 02: (نوح):

يبدأ نوح بفعل كلام تأثيري من خلال النّداء "يا قوم" الذي يأتي محمَّلا بشحنة دلالية مؤكِّدا انتماءه إلى قومه و حرصه على مصلحتهم و هذا يؤكّد تأدّب نوح مع قومه بعد أن شكَّكوا في نبوته لبشريته و إتباع الأراذل له دون روِيَّة وتدبّر وتكذيبه هو و الذين آمنوا معه.

﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾﴿ أَرَءَيْتُمْ﴾ فعل كلام غرضي استفهام و هو استفهام من أفعال التّوجيه تكمن قوته الإنجازية في إنكار عدم رؤيتهم نبوته و يأتي إقرار ما استفهم عنه و هو خطاب مركّب تكمن قوته الإنجازية في استدراج المخاطبين – قومه – للوصول إلى حقيقة نبوته و يأتي الاستفهام المقترن بالهمزة ﴿ أَرَءَيْتُمْ﴾ ردّا على إقرارهم ﴿ مَانَرَىٰكَ ﴾ ليأتي الاستفهام عن عدم الرؤية إثباتا لعدم رؤيتهم هم وما ورود ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾إلاّ لتأكيد عدم رؤيتهم هم للبيّنة التي خصّه الله بها لذا فإنّ هذا الاستفهام بقدر ما يُثبت يحُرّك المتلقي إلى البحث عن الفاعل الذي حجب عنهم رؤية البينة التي خصّه الله بها ؛ لذا يأتي هذا الاستفهام الإبطالي و هو إنكار ما ادعوه كونه بشر و اتبعه الأرذلون و لا يتفضّل عليهم في شيء فأنكر ذلك عليهم و أبطل قولهم و يزيد في تأكيد اختصاصه بالنبوّة ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ فعل كلام غرضي تقريري،إذ يؤكّد اصطفاءه من الله تعالى لأداء الرّسالة ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ و هذا يقتضي أنَّ الله اختاره لما فيه من الصّفات التي تخوّل له أن يكون رسولا و يحيل –هذا أيضا– إلى أنَّ نوحا بالنّسبة إلى من أرسله (ربُّه) هو الأحقُّ

بالرّسالة و أنَّ الرّسالة من عنده آتاه إيَّاها و هو أعلم حيث يضع رسالاته و تأتي ﴿رَحْمَةً﴾و ملفوظا وصفيا يُبرز خاصيّة هذه الرّسالة؛ لأنَّ بإتباعها يكون الفوز بالجنّة، ولتعديل القوّة الإنجازية للاستفهام الإنكاري يضيف ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾ لتقوية داعي الإنكار الذي يتلخّص في إنكار أن يُؤتي النبوّة من عند الله وهو بشر مثلهم.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ فعل كلام غرضي تقريري وصفي؛ ويأتي الملفوظ ﴿فَعُمِّيَتْ ﴾بناء على خطاب الملأ (ما نراك/ما نراك/ ما نرى) إذ أنّ عدم الرؤية يقتضي العمي و يأتي الفعل المبني للمجهول ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ ليؤكّد كفاءة نوح اللّغوية إذ بموجبه انتقل الاهتمام من المفعول به إلى البحث عن الفاعل الذي كان سببا في عدم رؤيتهم لرسالته ؛إنَّ بناء الفعل للمعلوم (عميتم) من شأنه أن يُدخل نوحا في صراع مباشر مع قومه؛ إذ يُصبح طعنا في قومه أمَّا بناؤه للمجهول فهذا يعني أنَّ هناك فاعلا حال دون رؤيتهم لحقيقة رسالته عليهم تبيُنَه و هذا يؤكّد مرّة أخرى تأدُّب نوح .

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ الهمزة حرف استفهام للنّفي[1] نفي إلزامه قومه للملأ بدعوته، ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ فعل كلام غرضي استفهام تكمن قوّته الإنجازية في الإنكار؛ إنكار إلزامه لهم بدعوته ويأتي الواصل (نون الجماعة) ليحيل على نوح و المؤمنين بدعوته يقول "الطّاهر بن عاشور " معلقا « و جيء بضمير المتكلم المشارك هنا للإشارة إلى أنّ الإلزام لو فُرِض و قوعه لكان له أعوان عليه و هم أتباعه فأراد أن لا يُهمل ذكر أتباعه و أنهم أنصار له لو شاء أن يهيب بهم و القصد من ذلك التّنويه بشأنهم في مقابل

[1] عبد الكريم محمود يوسف: الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، مطبعة الشّام ، دمشق ،ط1، 2000، ص65.

تحقير الآخرين إياهم» [1] ﴿ وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ فعل كلام تقريري وصفي و هو من أفعال الإثبات تكمن قوته الإنجازية في كره قومه لدعوته و بالتّالي إنكارهم لها ؛لقد جاء الاستفهام الإنكاري ليمنح لقومه مساحة للتّفاعل الإيجابي مع ما يقول؛ لأنَّ السّامع سيجيب عمَّا يُستفهم عنه؛ إنَّ نوحا لا يريد من استفهامه تحصيل معرفة، إنّما لاستدراج قومه للإجابة ليثبت حقيقة أنَّه لم يلزمهم و لن يلزمهم إتباع دعوته ليكون تثبيت هذه الحقيقة في المتلقي أكثر تأكيدا لو أنَّه أقرَّها دون استفهام[2]؛ إنَّ الإكراه يجعل الفائدة آنية تزول بزواله يؤكّد ذلك "أوستن" في مؤلفه « ففي كثير من الحالات نكتفي بأن نقول عن فعل ما أنَّه عديم الأثر ونعتبره كأنّه لم يكن بسبب إنجازه تحت طائلة الإكراه أو انتزع بقوة»[3] إنَّ هذا الاستفهام يمكن تحليله «انطلاقا من قيمته الحجاجية على أنّه يتجّه وجهة القول المنفي»[4] إنَّه إنكار و نفي للإكراه.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ مرّة أخرى يأتي النّداء فعلا كلاميا تأثيريا ممَّا يؤكّد حرص نوح على قومه و استمالته لهم و إلحاحه و تأكيده على انتمائه إليهم ليؤمنوا بدعوته ليتقوا عذاب يوم أليم و يأتي ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ فعل كلام تقريري تكمن قوّته الإنجازية في النّفي؛ نفي أخذ المالِ مقابل دعوته لهم ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فعل كلام تقريري؛ إذ يُقرُّ بأخذ الأجر من صاحب العمل الذي كلّفه

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير ، ج12 ، ص 52.

[2] يرى "ديكرو" أنَّ الغاية من الاستفهام تتمثّل في أن يفرض على المخاطب إجابة محددة يمليها المقتضى الناشئ عن الاستفهام، كما أنّه يوجّه الكلام و يحيل المخاطب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي الإقتضائي. .

[3] voir : l'argumentation dans la langage , p 30

[4] أبو بكر العزّاوي: الخطاب و الحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة للطباعة و النّشر،ط1، بيروت، 2010،ص، ص 87،88.

بالرّسالة، و يشير "الطّاهر بن عاشور" إلى المخالفة بين (مالاً، أجري) إذ أنّه لا يسأل مالا و لكنّه يسأل ثوابا، و الأجر: العوض على عمل و سمي ثواب الله أجرا لأنّه جزاء على العمل الصّالح[1]؛ إنَّ المرسل ينشئ عقدا مع المرسل إليه من خلال نفيه للأجر المادّي مقابل دعوته، و هو بذلك ينطلق ممَّا يشكِّل قيمة مهيمنة لدى المتلقي؛ إذ نفيه – أخذ الأجر المادي– له ما يسوِّغه إذ كان « ضروريا دائما للدّعوة الصّحيحة تمييزا لها ممَّا عهده النّاس من الكهّان و رجال الأديان من استغلال الدّين لسلب أموال العباد، و قد كان رجال الدّين المنحرفون مصدر ابتزاز للأموال بشتّى الأساليب»[2].

﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ فعل كلام غرضي تقريري نفي إذ تقدمت (ما) الفاعل (أنا) نفي طرد الذين آمنوا عن الفاعل نوح وتأتي الباء (بِطَارِدِ) لتؤكّد نفي طرده للمؤمنين، و تكمن القوّة الإنجازية لهذا الفعلالتّقريري في طمأنة المؤمنين بدعوته و تأتي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لتفيد معنى المطمئنين و« هي لقب للموصوفين بها و مدح لهم... تفيد من جهة الاقتضاء النّجاة من الخوف و الخروج منه إلى فسحة الأمن و الأمل و الطّمأنينة »[3] ؛« إنّ كلمة المؤمن تفيد على سبيل التّرادف معنى المصدِّق لكنّه التّصديق الذي معه الأمن »[4] ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ فعل كلام غرضي تقريري، أي تجهلون مهمّة الرّسول و تجهلون أنّهم سيلاقون ربهم و هو يحاسبهم؛ يحيل هذا القول على معانٍ ضمنية مفادها طلب الملأ من قومه

[1] ينظر: الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج12 ، ص 55.
[2] سيد قطب: في ظلال القرآن، مج5، ص 2607.
[3] عبد الله صولا :الحجاج في القرآن ،ص 127.
[4] المرجع نفسه ،ص 271.

طردَ المستضعفين الذين آمنوا بدعوته و هذا ما يتأكّد في سورة "الشّعراء" ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ١١١﴾ ممَّا يؤكّد خاصيّة القرآن الكريم الذي يفسّر بعضه بعضا ويحيل بعضه على بعض و يضيف نوح ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فعل كلام غرضي استفهام تكمن قوّته الإنجازية في الإنكار، فالمستفهَم عنه هو وجود من ينصره من الله يوم القيامة إنْ هو طردهم و هو بهذا لا يطلب معرفةً بل ينفي وجود من ينصره و ينكره إن هو طردهم ؛ لقد استفهم ليُنكِر ونفي ليُثبِت؛ إثباتَ أنْ لا أحد ينصره من الله إن هو طردهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ استفهام تكمن قوّته الإنجازية في تعجّبه من قصور تفكيرهم.

تحيل هذه الاستفهامات على مضامين مضمرة:

- أنَّ وظيفة نوح إنذار القوم و ليس حسابهم.
- الإحالة إلى يوم القيامة الذي يلتقي فيه النّاس جميعا بين يدي ربهم ليُحاسبوا و هذا ما ينكره قومه.
- نفي وجود من ينصره من الله إن هو طردهم، يعني بالضّرورة نفي قدرتهم –الملأ– على نصرته رغم قوتهم و مكانتهم الاجتماعية.
- أنَّ نبوَّته لا تشفع له عند الله إنْ هو طرد هؤلاء المستضعفين.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ فعل كلام غرضي نفيٌ تقريري إذ يستقلُّ كلّ قول بالنّفي لتأكيده، و كلّها تقرير عن حقيقة رسالته وحقيقته هو، فكونه رسولا لا يعني أنّه يملك خزائن الله حتّى يتبعوه و لا يعلم الغيـــب لأنّ

ذلك من أمر الله، و نفى أن يكون ملَكا فهو بشر؛ ينطلق كلّ هذا النفّي من واقع القوم ومن قيم مهيمنة في المجتمع و التي تقرّ بأنّ الرّسول يكون أمينا على خزائن الله و يعلم الغيب، و أن يكون ملكا لذا يأتي النّفي للإثبات.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣١﴾ يأتي النّفي مختلفا عمَّا سبق؛ إذ يتحكّم السّياق في تحديده؛ فنوح يتوجَّه بالحديث إلى الملأ متحدِّثا عن المؤمنين بدعوته و الذين يزدريهم الملأ من قومه ﴿لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾ ويأتي الاسم الموصول – و هو من العناصر الإشارية- ليحيل على مقام التّلفظ، إذ ينطلق تأويلها من معرفة مقام الحوار الذي يتضمّن رؤية الملأ من القوم للمستضعفين الذين آمنوا بدعوة نوح و ازدراءهم لهم، و أنّ الله لن يؤتيهم خيرا لرذالتهم فيأتي النّفي (لن) و هي توكيد للنفّي في المستقبل؛ تكمن القوّة الإنجازية لهذا الملفوظ في طمأنة المستضعفين من قومه وتأكيد أنَّ الله لا ينظر إلى وضعهم الاجتماعي، إنمّا إلى ما تنطوي عليه أنفسهم و هو وحده الأعلم بها، و سيجازيهم بحسب ما في أنفسهم.

يحيل هذا القول إلى المضامين التّالية:

- الجزاء بيد الله و ليس من اختصاص نوح .
- أنَّ هذا الجزاء لا ينطلق من أوضاع النّاس الاجتماعية و لكن بحسب إيمانهم الذي لا يعلمه إلاّ الله.

إنَّ ما يُلاحظ على تدخل نوح تصدُّرُ النّفي (لا أقول، ما أنا بطارد، لا أقول لكم، لا أعلم، لا أقول، لا أقول) و كلّها تدلُّ على «تعدُّد الأصوات إذْ يسمح للمتكلّم بالتّعبير

المتزامن عن الصّوتين المتقابلين، الصّوت الذي يتبنى جانب الإثبات، و صوت المتكلّم المتبني للنّفي، فالنّفي يشير إلى إثبات ضمني ويردُ عليه »[1] و يأتي التّذييل ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فعلَ كلامٍ تقريري تكمن قوّته الإنجازية في التّأكيد من خلال (إنَّ) المضافة إلى ضمير المتكلِّم و اللاّم المرتبطة بحرف الجر (لمن) و كلُّها تزيد من قوّة التّأكيد؛ تأكيد نفيه لما سبق، لأنّه لو قال ذلك لكان من الظّالمين.

التدخل 02: (الملأ الذين كفروا من قومه):

﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢﴾ إنّ الوضع الجديد؛ أي وضع ما بعد ما أقرّه نوح هو الذي دفعهم إلى طلبهم بأن ينزل العذاب الذي توعّدهم به بعد أن عجزوا عن النيل منه أو التأثير فيه يبدأ ردُّ الملأ الذين كفروا من قومه بنداء (يَنُوحُ) و هو فعل كلام تأثيري يسعى المتكلّم من ورائه إلى إحداث تأثير في المتلقي بشدِّ انتباهه و طلب الإصغاء لأهميّة ما يقول خاصّة بعد الذي قاله نوح كما يلعب دورا حجاجيا يتمثّلُ في المباعدة بينهم و بينه، كما يُحيل إلى معانٍ مضمرة تتمثّل في إنكار نبوته و عدم إيمانهم بدعوته و يأتي ﴿ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ ملفوظا وصفيا تقريريا مثبتا بـ (قد)، إذ أكّدوا أنّ دعوته محاورته لهم جدلا أي مغالبة لهم و لتأكيد إقرارهم تأتي الجملة الاعتراضية ﴿ فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ التي تؤدي وظيفة حجاجية، تكمن قوتها الإنجازية في تسفيه نوح و رفض دعوته؛ إنَّ أهمّ وظيـــفة للجملـــة الاعتراضيـــة

[1] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النّص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص 104.

﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ تبليغ رأي الملأ الذين كفروا من قومه في مقام معين بعد الالتزامات التي قطعها على نفسه[1]، و كلّ المؤكّدات التي احتواها قوله إذ لا يمكنهم الاعتراض بعد كلّ ذلك؛ لذا تأتي الجملة الاعتراضية للتّأثير في نوح و محاولة استفزازه و تعجيزه من خلال طلبهم الإتيان بالعذاب كشرط لصدق نبوته ؛ كما يلعب الاعتراض دورا داخليا، أي داخل بنية الحوار من خلال المقابلة بين ما مضى؛ أي حواره لهم جدل في نظرهم و بين ما هو آتٍ؛ الإتيان بالعذاب و هو تأكيد صدق نبوته و يأتي ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فعلَ كلام غرضي؛ أمر؛ إنّنا أمام فعل كلام مركب؛ فصدق النّبوّة مشروط بالإتيان بالعذاب الذي وعدهم به، إذ لا يتحقّق الثّاني –تصديقه– إلاّ بتحقق الأوّل ؛إنَّ طلب الإتيان بالعذاب كشرط لصدق نبوته هو فعل كلام غرضي أمر؛ تكمن قوّته الإنجازية في التّعجيز « و هو طلب بما لا يقدر عليه المخاطب »[2] و هو يرتبط بمقام التّلفظ؛ إذ يُشير السّياق إلى تأكُّد القوم من عزم نوح على مواصلة دعوته كما أنَّ ما جاء في ردّه عليهم يحتاج إلى متلقٍ واعٍ قادر على فكّ شفرات خطابه حتىّ تتمكّن الدّعوة منه؛ لذا فإنَّ إعطاء أي وقت إضافي لنوح لن يكون في صالحهم لأنّ ذلك يعني إمكانية إيمان آخرين، لذا تأتي دعوتهم له –الإتيان بالعذاب– تعجيزا له و هذا يحيل إلى معانٍ مضمرة:

- الاستهانة بنوح و بدعوته.
- الاستهانة بعذاب الله الذي توعدَّهم به.

[1] تتضمّن إلزاما معينا من جانب المتكلّم الذي يفعل ما يقوله عند قوله، فبقوله (أعدك بكذا) هو في الواقع يعد أي يجعل نفسه ملزما بفعل ما يقول إنّه يفعله. ينظر: بول ريكور: نظرية التأويل الخطاب و فائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، ط2، الدّار البيضاء، المغرب، ص 41.

[2] أحمد مطلوب: أساليب بلاغية –الفصاحة– البلاغة– المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1980،1، ص 113.

- عدم تصديقهم له؛ لأنَّ إنزال العذاب من أمر الله؛ إنَّ القوة الإنجازية لهذا التّعجيز تحيل إلى قدرة المتكلّم –الملأ– على الاحتجاج إذْ اشترط الصّدق بأمر ليس بيد المخاطب و هذا ما سيحيل حتما إلى ردّ المتلقي.

التّدخل 03: (نوح):

﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ إنَّ أولى مظاهر الفعل التّأثيري على نوح خُلُوُّ ردّه من ملفوظ (يا قومي) الذي حُمِّل طيلة دعوته لهم بتلك الشّحنة الدّلالية و تلك الطّاقة الحجاجية نظرا لوظيفته التأّثيرية؛ و لأنَّ القوم تجاوزا حدَّ المعقول من خلال تحدّيهم له بإنزال العذاب فإنَّه لم يبق ما يمكن مواصلة الحوار لأجله.

يحتوي ردُّ نوح على مجموعة من الأفعال الكلامية؛ الإرشاد و النّصح و التّدبر وإظهار قدرته تعالى على إنزال العذاب و اختصاصه بذلك، و يأتي القصر بـ "إنما" «لإثبات ما يذكر بعدهـا و نفـي ما سواه »[1] أي قصر الإتيان بالعذاب على الله تعالى، و يأتي تقديم ﴿ يَأْتِيكُم﴾ لأنهّا البؤرة المختلف حولها و عليها مدار الاعتقاد والتّصديق بنبوّة نوح ، كما أُخِّر المقصور عليه الله تعالى وجوبا[2] ؛إنَّنا أمام فعل كلامٍ مركب فإتيان العذاب المقصور على الله تعالى و عدم مجاوزته لغيره مشروط بمشيئته ﴿إِن شَآءَ﴾ و ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ملفوظ إثباتي وصفي إذ يأتي تعليلا لمضـــمون مـــا

[1] جلال الدّين محمد بن عبد أحمد بن محمد: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع، منشورات دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت، 2003، ص 103.

[2] كما أنّ المقصود عليه في إنَّما يكون مؤخرا وجوبا، و هي تأتي لإثبات ما بعدها و نفي ما سواه. ينظر: أحمد مطلوب :أساليب بلاغية –الفصاحة– البلاغة– المعاني، ص 181.

سبق ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم﴾ إنّنا نلاحظ قدرة أسلوب القصر على مخاطبة العقل و الوجدان معا و في آن واحد لتقرير أمر و قصره و تأكيده أو تصحيح خطأ وقع فيه المخاطب لذا نلاحظ « مناسبة أساليب الحصر للردّ على مقامات الرّفض أو الإنكار كما نلاحظ ما يشيع فيه هذا الأسلوب من قدرة اقناعية على حمل المتلقي على تصوّر الموقف واستشعاره و تأمّل ما فيه من معان سواء أكانت مثبتة أم منفية معلومة أم مجهولة بالنّسبة إلى المتخاطبين »[1] ؛لقد عمد نوح إلى القصر الذي يُراد منه «لا الحصر فحسب بل كذلك تأكيده و إثباته»[2] لقد حصر إنزال العذاب على الله تعالى و نفاه عمّن سواه و يأتي تقديم يأتكم لأنهّا البؤرة المختلف حولها و عليها يقوم الاعتقاد و الإيمان حسب قومه.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾فعل كلام غرضي؛ نفي تكمن قوّته الإنجازية في النّصح و الإرشاد و كذا إقرار نفيه بعـدم نفع نصحه لهم إن أراد الله أن يغويهم ﴿ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ملفوظ تقريري؛ إقرار الميعاد و الرّجوع إلى الله تكمن قوّته الإنجازية في التّهديد و الوعيد؛ لذا تتحدّد وظيفة هذه الجملة المذيّلة في إقرار المضمون الذي قبلها والجار وا لمجرور (إليه) إذ حصر الرّجوع إلى الله ؛إنَّ هذه الزيادة في الملفوظات اقتضاها المقام و لو اقتصر نوح في ردّه على ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾لكان ذلك زجرا لهم، و هو في مقام الرّسول الذي على عاتقه دعوة قومه و توضيح ما التبس عليهم.

[1] عبد الرّحمن رجا الله السّلمي ،البعد الحجاجي في محاورات الخوارج مجلة الذاكرة ع 10 يناير مخبر التّراث اللّغوي و الأدبي في الجنوب الشّرق الجزائري كلية الآداب و قسم اللغة العربية جامعة الملك عبد العزيز2018 ، ص 153.

[2] أحمد المتوكّل :الخطاب و خصائص اللّغة العربية دراسة في الوظيفة و البنية و النّمط ، ص 143 .

المقطع الحواري رقم :06. سورة: المؤمنون: من 23 الآية إلى الآية 25.

المقطع الحواري رقم :06.	**(نوح /قومه).**
01:(نوح):	**01: (الملأ الذين كفروا من قومه):**
يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾	مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗۖ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾	

التّدخل 01 :(نوح):

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ مرّة أخرى يبدأ نوح بنداء (يا قوم) فعل كلام تأثيري الغرض منه استعطافهم حتّى يؤمنوا بالله﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ فعل كلام غرضي أمر تكمن قوّته الإنجازية في النّصح والإرشاد ؛ إرشاد قومه إلى عبادة الله ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ فعل كلام غرضي؛ نفي الألوهية لغير الله و قد جاء النّفي مؤكّدا بـ (مَا) (مِّنۡ) (غَيۡرُهُۥ) ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ استفهام تكمن قوّته الإنجازية في إنكار عدم تقواهم الله الذي يدعوهم لعبادته وتوحيده؛ يحيل هذا القول إلى أنَّ قوم نوح لا ينكرون وجود الله إنّا ينكرون عبادة الله الذي يدعوهم لتوحيده.

التّدخل 01: (الملأ الذين كفروا من قومه):

﴿مَاهَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ فعل كلام تقريري، و يأتي هذا الملفوظ التّقريري وصفيا إثباتيا، و يأتي (مَاهَٰذَآ) حرفا لتنبيه المخاطب المشار إليه و هو نفي متبوع بهاء التّنبيه المضافة لاسم الإشارة (ذا) مؤكّدة بـ (إِلَّا) للتّخصيص، و تكمن قوّته الإنجازية في تحقير نوح يقول "الطّاهر بن عاشور:« فعدلوا من اسمه العلم إلى الإشارة لأنّ مقصودهم تصغير أمره و تحقيره لدى عامّتهم كيلا يتقبّلوا قوله »[1] ولتقرير القوّة الإنجازية لاحتقارهم له يأتي ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾ و تكشف القوّة الإنجازية لهذا الملفوظ عن «العلاقة الوثيقة بين أفعال الكلام الإنجازية و سياقاتها الاتصالية الاجتماعية»[2] إذ يحيل الملفوظ إلى السّياق الذي جمع الأطراف الثّلاثة: نوح ، الملأ الذين كفروا من قومه، و المؤمنين بدعوة نوح .

﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ فعل كلام غرضي وصفي تقريري، تكمن قوّته الإنجازية في تحريض هؤلاء المستضعفين على نوح و قد زاد من القوّة الإنجازية لهذا التّحريض ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ الذي يضع نوحا في مواجهة مع هؤلاء المستضعفين خاصّة المؤمنين بدعوته.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ يحيل قول الملأ من القوم الذين كفروا إلى معان مضمرة:

---

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير ج18 ،ص 42.

[2] علي محمود حجي الصّراف: في البراجماتية. الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية و معجم سياقي، كلية الآداب، جامعة الكويت، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010، ص 281.

- أنهّم لا ينكرون وجود الإله .
- أنهّم لا ينكرون الرّسول و لكنهّم ينكرون أن يكون بشرا و من المستضعفين و هذا يقتضي أنّ المخاطب لا يمكنه الاعتراض على ذلك بل إنّه قول يزيد من القوّة التّأثيرية لخطاب الملأ على المستضعفين المؤمنين بدعوة نوح .

المقطع الحواري رقم :07 . سورة : الشّعراء : من الآية 106 إلى 116.

المقطع الحواري رقم:07. (نوح /قومه) .	
01: (نوح): أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ **02 :(نوح) :** وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾	**01(الملأ الذين كفروامن قومه):** قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ **02:(الملأ الذين كفروا من قومه):** لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾	

التّدخل 01 :(نوح):

يبدأ نوح فعل كلام غرضي ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ استفهام تكمن قوّته الإنجازية في الإنكار و التّعجب من عدم تقواهم و ترتبط حقيقة التّقوى بأمور : «أحدها أن يكون على خوف

و وجل من تقصير نفسه في تلك الطّاعة فيتقي بأقصى ما يقدر عليه من جهات التّقصير، و ثانيها: أن يكون في غاية الاتقاء من أن يأتي بتلك الطّاعة لغرض سوى طلب مرضاة الله تعالى ، و ثالثها: أن يتقي أن يكون لغير الله فيه شركة »[1] .

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ملفوظ تقريري مؤكّد بـ(إنَّ) مضافا إلى ضمير المتكلّم؛ إضافة إلى تقديم الجار و المجرور﴿ لَكُمْ﴾ الذي يقتضي تخصيصهم هم دون غيرهم بالرّسالة، وتأتي ﴿أَمِينٌ﴾ صفة تحيل على ما عُرف به من أمانة بينهم تقتضي تصديقه فيما آتاهم به؛ لذا تأتي الصّفة ﴿أَمِينٌ﴾ لاعتبارات خطابية اقتضاها المقام فتكذيبهم له وعدم تقواهم يعني أنهّم يكيلون بمكيالين؛ فهو أمين بينهم يصدِّقونه فيما يقول و يكذبونه – وهو الأمين بينهم– حين يدعوهم لتّوحيد الله و عبادته و تقواه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فعل كلام غرضي –أمر– تكمن قوّته الإنجازية في نصحهم و إرشادهم لتقوى الله و طاعة رسوله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فعل كلام تقريري تكمن قوّته الإنجازية في نفي طلب الأجر المادي مقابل دعوته و هو التزام منه أمام قومه ،غير أنّه غير زاهد في الأجر و لكنّه يأخذ أجره من صاحب العمل –رب العالمين– و حسب طبيعة العمل –دعوته– ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فعل كلام غرضي تكمن قوّته الإنجازية في النّصح و الإرشاد يقول" الرّازي" تعليقا على تكرار الأمر بالتّقوى و طاعته «لأنّه في الأوّل أراد ألا تتقون مخالفين و أنا رسول الله و في الثّاني ألا تتقون مخالفيــن و لستُ آخذا

[1] الرّازي : مفاتيح الغيب ، مج 12 ،ص 143.

منكم أجرا فهو في المعنى مختلف و لا تكرار فيه [...] و قد قدَّم الأمر بطاعة الله تعالى على الأمر بطاعته لأنَّ تقوى الله علّة لطاعته فقدّم العلّة على المعلول»[1].

التّدخل 01 :(الملأ الذين كفروا من قومه):

إنَّ ما قاله نوح لا يؤدّي إلاّ إلى نتيجة واحدة على الأقل –تصديقه– لأنّه ينطلق من المعرفة المشتركة بينه و بين قومه؛ فهو أمين بينهم و قد التزم بعدم أخذ الأجر منهم مقابل دعوته.

﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ فعل كلام غرضي –استفهام– تكمن قوّته الإنجازية في إنكار و نفي إيمانهم و هم الملأ عِليَّة القوم و كبراؤهم؛ و تأتي ﴿ لَكَ ﴾ لتحيل على الانتقائية في الإيمان أي نصدقك و ليس (بك) كرسول التي تقتضي الإيمان بالله.

﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ ملفوظ تقريري وصفي؛ تكمن قوّته الإنجازية في احتقار المؤمنين بدعوة نوح و تأتي (ٱلۡأَرۡذَلُونَ) لتقيِّم تلك الفئة المؤمنة تقييما سلبيا يستمدّ جذوره من الرّؤية الاجتماعية المهيمنة و التي تقيِّم المستضعفين من جانب واحد فقط؛ ليكون سبب إنكارهم تصديقُه وجودهم و المستضعفين (الأراذل) على صعيد واحد ؛لقد لجأ المخاطب إلى الاستعانة بالضّمني« بهدف تمرير خطابه إلى المتلقي كحيلة لبلوغ الغايات

[1] المرجع نفسه ، مج12، ص 143.

المنشودة » [1] حتى لا يقعوا في صراع و مواجهة مع المؤمنين بدعوة نوح ؛و تتمثّل تلك المضامين المضمرة في :

- تصديق نوح مشروط بطرد المستضعفين المؤمنين بدعوته (الأراذل).
- طلبهم طردَ المستضعفين المؤمنين بدعوته (الأراذل) دليل على قصور في فهم دعوة نوح .

التّدخل 02 : (نوح):

إنَّ إرسال الملأ من القوم الذين كفروا لخطاب مضمر إنَّما كان نتيجة المعرفة المشتركة بين المتحاورين؛ نوح و الملأ من قومه، و كذا المعرفة العملية[2] فهما اللّتان تحدّدان طبيعة الإضمار الذي يلجأ إليه المرسل بقصد تأويله تأويلا صحيحا من المرسل إليه انطلاقا من سياق التّخاطب و كذا ارتباط المضمر بما يستلزم عنه من سلوك؛ لذا يكون طرد المؤمنين بدعوة نوح كشرط لإيمان الملأ؛ نتيجة اشتراك طرفي الحوار في إدراك ماهية (الأراذل) التي تستلزم مجموعة من السّلوكيات التي لا تتلاءم و المكانة الاجتماعية العالية للملأ الأمر الذي يجعل طردهم شرطا لإيمان الملأ و يأتي ردّ نوح ﴿ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾فهو ليس مكلّفا بعلم سرائرهم و ما كانوا يفعلون ﴿ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴾فعل كلام تقريري؛ تكمن قوّته الإنجازية في قصر الصّفة على الموصوف؛ قصر حسابهم على الله الذي يدعوهم لتوحيده و عبادته؛ إنَّ هذا القصر

[1] ذهبية الحاج حمو : لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص 196.

[2] المقصود بالمعرفة العملية « كلّ ما يصاحب العملية من أدوار عملية تجعل بعضها لازما عن بعض، ونقصد بالدّور جملة القيم العملية التي تلابس العبارة والتي يترتّب عليها سلوكيات وتطلعات عملية من لدن النّاطق ». طه عبد الرّحمن: اللّسان و الميزان، ص 152.

يعني نفي حسابه لهم لعدم اختصاصه بذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فعل كلام غرضي نفي أن يطرد – هو– المؤمنين بدعوته مؤكّدا ذلك بـ(ما) + أنا و حرف الجر الباء واسم الفاعل (طارد) تجتمع كلُّ هذه المؤكّدات لتُعدِّل من القوّة الإنجازية للفعل إذ تزيد من إقراره نفيه طرد المؤمنين بدعوته ﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ فعل كلام تقريري وصفي؛ إذ حصر وظيفته الرّسالية ﴿ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ ؛ إنَّ مهمّته ليست طرد المؤمنين إنمّا هو نذير مبين؛ إذ لا يمكن فصل الصّفتين عن السّياق ؛إنّ القوّة الإنجازية لهذين الملفوظين تكمن في طمأنة المؤمنين من المستضعفين بدعوته و كذا وعيد للمكذبين بدعوته، و في الحالتين إقرارٌ مضمر بمواصلة دعوته.

التّدخل 02 :(الملأ الذين كفروا من قومه):

﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ١١٦﴾ إنَّ عدم توقف نوح عن دعوته هو الذي أوجد هذا الخطاب المركّب الذي بدأ باللاّم الموطِّئة للقسم توكيدا للخبر﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ و القسم من أكثر الموجّهات اليقينية توجيها للإثبات يلي القسم (إن) الشّرطية؛ إذ لا يتحقّق المضمون القضوي لمضمون جواب الشّرط﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ إلاّ بتحقيق المضمون القضوي للشّرط، أي عدم الانتهاء عن دعوته و قد جاء الجواب مؤكّدا بـ ﴿لَئِن﴾ الدّالة على قسم محذوف قبلها و (اللاّم) و نّون التوّكيد الثّقيلة ﴿ لَتَكُونَنَّ﴾ لتزيد من تعديل القوّة الإنجازية لهذه الملفوظات التي تكمن في التّهديد و الوعيد ﴿مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ و الذي يحيلُ إلى فئة (المرجومين) و التي تحيل إلى مجموعة من السّلوكيات و الصّفات لهؤلاء المرجومين و هي أكثر قوّة من قولهم سنرجمــك أو لتكونــن

مرجوما؛ لقد «جاء القسم مصحوبا بأن و اللاّم و النّون و هو أعلى درجات التوّكيد في الحوار »[1] و يأتي دعاء نوح ربّه ليحيل على أزمة التّواصل بينه و بين قومه إذ يُقرُّ بتكذيب قومه لدعوته ﴿رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ﴾ و كان من المفترض أن يصدقوه فعل كلام تقريري إثباتي ﴿ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فعل كلام غرضي –أمر– تكمن قوّتُه الإنجازية في تضرُّع نوح و رجائه و دعائه لربّه بأن يحكم بينه و بينهم بإنزال عقابه على المكذّبين و نجاة المؤمنين بدعوته يقول "الرّازي" : و المراد من هذا الحكم إنزال العقوبة عليهم، لأنّه قال عقِبه: ﴿ وَنَجِّنِي﴾ و لولا أنّ المراد إنزالُ العقوبة لما كان لذكر النّجاة بعده معنى»[2] وتأتي ﴿ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ﴾ لتزيد من القوّة الإنجازية للملفوظين لتؤكِّد المباعدة بينه و بين قومه، و تــأتي هذه الإضافة في الملفوظات –إذ كان يمكن الاقتصار على (بيننا)– لتؤكّد ذلك اتّباع﴿ وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فعل كلام غرضي –أمر– تكمن قوّته الإنجازية في الدّعاء و التّضرُّع لله تعالى من أجل نجاة ابنه مع المؤمنين بدعوته.

[1] محمود علي عكاشة : تحليل الحطاب في ضوء نظرية أحداث اللّغة . دراسة تطبيقية لأساليب التّأثير و الإقناع الحجاجي في الخطاب النّسوي في القرآن الكريم . دار النّشر للجامعات ، ط1، 2013، ص 382.

[2] الرازي: مفاتيح الغيب، مج12، ص114 .

المقطع الحواري رقم :08 . سورة القمر: الآية 09.

المقطع الحواري رقم :08. (نوح / قومه) .	
01(قومه): مَجۡنُونٞ	
أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦	

التّدخل 01: (قومه):

يأخذ هذا المقطع فَرادته كونه لا يتجاوز ملفوظا واحدا ﴿ مَجۡنُونٞ﴾ فعل كلام غرضي إثباتي وصفي، أي إثبات صفة الجنون على نوح الأمر الذي يحيل إلى معان مضمرة:

- أنَّه قد ثبت جنونه بعد أن تربَّصوا به، فهو لم ينتهِ عن دعوة قومه بعد أن كان مصابا بالجِنَّة ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ٢٥﴾ و هذا ما يؤكّد أنَّ القرآن الكريم يفسِّر بعضه بعضا و يكمِّل بعضه بعضا.
- إثبات صفة الجنون يعني أنَّ ما يقوله جنون و أنَّه سيُعامَل معاملة المجنون و هذا ما يؤكّده الملفوظ الوصفي (و ازدجر).

و يأتي دعاء نوح ربَّه ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ ليؤكّد أذاهم له و الدّعاء من الأفعال الغرضية تكمن قوّته الإنجازية في مناجاة الله تعالى و التّضرُّع إليه (ربِّ) نداء متبوع بتقرير ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ فعل كلام إثباتي وصفي مؤكّد بـ (أَنِّي) إضافة إلى اسم المفعول ﴿مَغْلُوبٌ﴾ الذي يوحي بغلبته من فاعل غالب قادر – قومه- و هو يحيل إلى عدم قدرته و لا إمكانية للانتصار عليهم؛ كما يحيل إلى عجزه و استسلامه لذا يأتي فعل الأمر ﴿فَانتَصِرْ﴾ و هو فعل أمر غرضي تكمن قوّته الإنجازية في التّضرُّع لله تعالى القادر وحده على نصرته عليهم؛ إنَّ هذه الأفعال الكلامية المقتضبة والمركّزة تتلاءم و الحال التي عليها نوح – لتأتي استجابة الله لدعوة نبيه ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾.

3.2.II. المرحلة الثّالثة: مرحلة يأس نوح من إيمان قومه:

تأتي هذه المقاطع الحوارية بعد أن يئس نوح من دعوة قومه و هو تقرير يضعه بين يدي ربِّه يعرض فيه مسيرته الدّعوية المضنية حتّى يكون حجّة على قومه أمام الله؛ ما يلاحظ أنهّا تشمل سورة "نوح" و قد آثرنا تقسيمها إلى تدخّلين لأنّ الآية الخامسة والعشرين هي عودة لزمن الحكي الابتدائي أي زمن الرّسول صلى الله عليه وسلم ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ وهو خطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم تعليقا على ما أصاب قوم نوح عليه السّلام جرّاء تكذيبهم نوحا – عليه السّلام-..

المقطع الحواري رقم:09 . سورة: نوح: من الآية 05 إلى 28.

المقطع الحواري رقم: 09. (نوح/ الله تعالى).

01: (نوح):

رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

02: (نوح):

رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

التّدخل01: (نوح):

مكث نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاما ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤﴾ [العنكبوت:14]؛ يدعوهم إلى التّوحيد و ينذرهم عذاب يوم أليم لم يدّخروا وسيلة أو سبيلا موصلا لإيمانهم إلاّ سلكه غير أنهّم كذَّبوه و رموه بالضّلال المبين و اتهموه بالجِنَّة والجنون و تآمروا على قتله و هدَّدوه بالرّجم و استكبروا و أصرُّوا على كفرهم و حرَّضوا المؤمنين بدعوته عليه و أغروهم بالمال فأضلُّوا كثيرا؛ لذا تأتي سورة "نوح" تقريرا نهائيا يضعه نوح بين يدي ربِّه يقرُّ فيه اجتهاده في دعوة قومه كما يقرُّ بعجزه أمامهم بعد هذه المسيرة الدّعوية المضنية؛ لذا يلجأ نوح شاكيا و داعيا ربَّه إنزال العذاب الذي توعّدهم به، و هو يعلم أنَّ الله يعلم حاله مع قومه و ما آلت إليه دعوته إيَّاهم.

إنَّ سورة "نوح "كشفت لاستراتيجيات تواصله مع قومه لتكون حجّة عليهم و مبرّرا للدّعاء عليهم بإنزال العذاب بل بالاستئصال.

- **مراعاة زمن الدّعوة:**

﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾ يبدأ نوح بفعل كلام تأثيري نداء ﴿رَبِّ﴾ و هو إقرار بربوبية الله تعالى و بعجز نوح و ضعفه بين يديه ولجوئه إليه، يلي ذلك تأكيد ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي﴾ إذ يؤكّد نوح دعوتَه قومَه و هو فعل إثباتي تقريري تكمن قوّته الإنجازية في الإقرار بتنفيذ أمر الله و لتأكيد القوّة الإنجازية لهذا الامتثال يأتي ﴿قَوۡمِي﴾ الذين أمره الله تعالى بدعوتهم و يؤكّد نوح مراعاته لسياق الدّعوة؛

فهو لم يتوقف ليلا و نهارا مراعيا زمن استجابتهم أي الوقت « الذي يتوسَّم فيه أنَّهم أقرب إلى فهم دعوته منهم في غيره من أوقات النّهار، ومن أوقات الهدوء وراحة البال وهي أوقات اللّيل»[1]؛ غير أنَّ حرصه على دعوتهم لم يزدهم إلاّ إنكارا ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ ؛ ملفوظ وصفي إثباتي؛ نفي استجابتهم لدعوته، بل فرارهم من دعوته و لتأكيد حرصه على دعوة قومه يأتي التوّكيد ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾ إذ يأتي المؤشّر الزّمني ﴿كُلَّمَا﴾ ليؤكّد تكراره و استمراره في دعوتهم مرغّبا إيَّاهم في إتباعه لغفران ذنوبهم غير أنَّ قومه ﴿جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ جملة من الأفعال الكلامية المتتالية التي تثبت رفضهم للدّعوة و مبالغتهم في ذلك؛ إذ جعلوا أصابعهم في آذانهم «للمبالغة في إرادة سدِّ المسامع، بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلّها»[2]، إذ يأتي سدُّ الآذان[3] حائلا أمام وصول الصّوت، و بالتّالي و صول دعوته إلى آذانهم و لتقوية القوّة الإنجازية لرفضهم دعوته ﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ أي وضعوا ثيابهم غطاء على أعينهم حتّى لا يروا إشارته؛ و هذا يحيل إلى معنى متضمّن هو لجوء نوح إلى الإشارة لدعوة قومه بعد أن سدُّوا آذانهم، إذ يحيل هذا السّلوك إلى إصرارهم على قطع التّواصل مع نوح إذ أنَّ «الامتناع عن طريق السّمع و البصر و الجمع بينهمـــــا تأكـيد

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج29، ص 194.

[2] المرجع نفسه، ص 195.

[3] يضع صاحب (العبارة والإشارة) وضع الأصابع في الآذان ضمن الحركات الجسمية المركبة، والتي تصدر عن عضو في علاقته بعضو آخر بحيث لا تكتمل الحركة إلا بعلاقة العضوين معا .ينظر: محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب، ط 1، 2007، القاهرة ص 171.

مضموم إلى تأكيد الإصرار على عدم الاستجابة»[1] و لتقوية القوّة الإنجازية لهذا الرّفض ﴿وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ ؛ استكبارهم على دعوته و لتقوية هذا الحرص والإصرار يأتي التّأكيد بالمصدر ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾.

تحيل الأفعال الكلامية السّابقة إلى معان متضمّنة:

حرص نوح على دعوة قومه و إصرارهم على رفض الدّعوة.

- تناسب الأفعال الكلامية للسّياق سواء من نوح من خلال حرصه على دعوتهم باللّغة والإشارة، و حرصهم – قومه– على رفض الدّعوة وقطع التواصل مع نوح بسدِّ الآذان واستغشاء الثّياب و الإصرار و الاستكبار.
- إنَّ هذه التأّكيدات من نوح لربّه تحيل على إقراره باجتهاده في دعوة قومه حتىّ لم يعد هناك منفذ للتّواصل معهم.

- **مراعاة كيفيات الدّعوة:**

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ مرّة أخرى يقرّ نوح مراعاته كيفيات الدّعوة حسب مراحل الدّعوة وطبيعة المتلقي وهذا يحيل إلى معنى متضمّن هو إقرار نوح حرصه على دعوة قومه؛ إذ بدأ بالدّعوة:

[1] عيد بلبع: سيميائية الكتابة وحتمية الضّابط السّياقي للصّيرورة التأويلية قراءة في الكتابة القرآنية، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب. إشراف د/ حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرّحيم، كنوز المعرفة، ط1، عمان، المملكة الهاشمية الأردنية، 2113، ص 140.

- ﴿جِهَارًا﴾ وهو «عموم الإظهار والمبالغة فيه ... ولا تقول جهرتُ به إلاّ إذا أظهرته للجماعة الكثيرة وأصله رفع الصّوت»[1].
- ﴿أَعْلَنتُ﴾ الإعلان: «الإعلان خلاف الكتمان، وهو إظهار المعنى للنفس ولا يقتضي رفع الصّوت»[2].
- ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الإسرار: أي خفية فيما بينه وبين متلقي الدّعوة، وعادة ما يكون مع الذين يخشون على أنفسهم أذى.

وتحيل هذه الكيفيات على حرص نوح على سلامة من يدعوهم من جهة وكذا استغراق كلّ كيفية لمدّة زمنية حسب طبيعة مراحل الدّعوة؛ يؤكّد ذلك توظيفه ل(ثم) التي تكون للتّراخي فكلّ كيفية تستغرق مدّة زمني

- **التّرغيب في الاستغفار:**

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾

يُرغّب نوح قومه في الاستغفار لما له من منافع أخروية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ « فهو مسبل السّتر على الذّنوب في الدّنيا ومتجاوز عن عقوبتها في الآخرة »[3] إضافة إلى المنافع الدّنيويــة ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ

[1] أبو هلال العسكري: الفروق اللّغوية، تحق :محمد إبراهيم سليم ، دارالعلم و الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ،ص 286.

[2] المرجع نفسه ، ص 286.

[3] نذير حمدان : الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، دار المنارة ، ط 1 ، جدّة ، السّعودية ، 1991، ص 244.

﴿أَنْهَارًا﴾ و كلّ ما يترتّب عن الاستغفار وعد من الله تعالى على لسان نبيه لأنّ الوعد «فضل الله عزّ وجلّ و نعمته » [1]؛ إنزال المطر المدرار والإمداد بالمال والبنين والماء للجنّات والأنهار؛ إنَّ هذه الثّمرات هي نتاج للاستغفار و هي وعد من نوح لقومه ترغيبا لهم في الاستغفار الذي لا يكلّفهم سوى إخلاصهم في طلب المغفرة من ربهّم.

- **التّذكير بآيات الله:**

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾مرّة أخرى يستفهم نوح و تكمن القوّة الإنجازية لهذا الاستفهام في إنكاره وتعجبه من عدم إيمانهم ودلائل وحدانيتة الله تحيط بهم من كلّ جانب وكذا النّعم التي أنعم بها علبهم و كلّها تؤكّد انتظام هذا الخلق لتؤكّد أحقية الله تعالى بالعبادة لذا يأتي الاستفهام وكأنّ نوحا يهيئ قومه لأمر يعرضه عليهم وقد بدأ بنعمة الخلق ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ و هي النّعمة التي تترتّب عنها بقيّة النّعم وهو فعل تقريري إثباتي و صفي مؤكّد تكمن قوّته الإنجازية في تعظيم الخالق من خلال خلقه للإنسان حسب أطوار معلومة يتبع باستفهام إنكاري ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ إنكار عدم رؤيتهم لدلائل عظمة الله تعالى المحكمة المحيطة بهم و يأتي هذا الاستفهام لتأكيد عظمة الله تعالى من خلال خلقه للسّموات السّبع و لتدعيم القوّة الإنجازية

[1] أبو عبد الله ابن أبي زمنين المالكي : رياض الجنّة بتخريج أصول أهل السّنّة ، تحق : عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسن البخاري ، مكتبة الغرباء ط 1، المملكة العربية السّعودية ،1415 هـ ص 256.

وتأكيدها يأتي بالفعل (جعل) [1] ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ تقديم متعلّق المفعول به (لكم) للجملة الفعلية الواقعة خبرا يدلّ على تأكيد جعل الأرض لأجلكم و هذا يدلّ على تكريم الله لكم كما يقدّم الفاعل على الفعل ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ لتأكيد جعل الأرض بساطا أي فعل أنّ فعل (جعل) من اختصاص الله تعالى وبالتّالي الإحالة ضمنا على عجز غير الله – آلهتكم –عن فعل ذلك إنَّ المعنى الضّمني لتعداد هذه النّعم هو إقرار نوح –عليه السّلام –لربّه اجتهاده في دعوة قومه من خلال التّأكيد – لكم– على وحدانية الله تعالى، غير أنَّ هذا الاجتهاد لم يعدِّل سلوك قومه على الرّغم من ملامستهم لهذه الحقائق في أنفسهم وفي محيطهم يؤكّد ذلك لجوءه إلى ربّه ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ يأتي هذا النّداء ليؤكّد لجوء نوح إلى ربّه وتضرُّعه إليه وإقراره بعدم التّأثير في قومه وفي المقابل إتباعهم لمن لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا ولتقوية القوّة الإنجازيــة لعصيانهـــم يــأتي التّأكيد مرّة أخرى ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ لقد عمد نوح إلى القول المنقول عن الملأ الذين كفروا مـــن قومـــه وهو فعل كلام غرضي نهي القوم عن ترك آلهتهم ولتأكيد النّهي تأتي زيادة النون ﴿تَذَرُنَّ﴾ فعل كلام غرضي من أفعال التنفيذ وهو نهي تكمن قوته الإنجازية في نصيحة القوم بعدم ترك عبادة آلهتهم ومن ناحية أخرى فعل كلام تأثيري ذلك أنّ الملأ حاولوا التأثير –بل اثروا – في عقيدة قومهم إذ طلبوا منهم التشبث بالآلـــهة و قد نجحوا في ذلك؛ إنّ هذا الملفوظ يدفعـنا إلـــى

[1] جعل: و هو من أفعال القلوب و التحويل و أصل الجعل حسي نقول جعل الشيء جعلا أي وضعه و جعله صنعه وجعله صيرّه . ينظر: فاضل السّامرائي : معاني النحو ج 2 ، شركة العاتك للطّباعة و النّشر و التّوزيع ط 2 ، القاهرة 2003، ص 26.

البحث عن المقام الذي قيل فيه و الذي يسعى من ورائه المتكلم إلى إقناع الآخر وحمله على الإذعان و بالتالي حمل القوم و إقناعهم بضرورة التمسك بآهتهم وكان يمكن الاكتفاء بقولهمْ ﴿ لَاتَذَرُنَّءَالِهَتَكُمْ﴾ غير أنّ هذا العدول بالزّيادة من خلال ذكر الآلهة كل باسمه ﴿وَدًّاوَلَاسُوَاعًاوَلَايَغُوثَ وَيَعُوقَوَنَسْرًا﴾ لقد عمد نوح إلى القول المنقول عن الملأ له ما يبرره حجاجيا إضافة إلى تحديد كلِّ قوم بآلهتهم؛ إ إضافة إلى مقام التلفظ بالنّسبة إلى نوح بالنّسبة إلى ربه إنَّ المعنى المتضمّن لهذا التأّكيد هو تحريض القوم ضدّ نوح و من جهة ثانية يؤكّد عجز نوح و إقراره بعدم قدرته على مواجهة هذا التّعدد؛ يؤكّد ذلك من خلال نتائج هذا الفعل التّأثيري ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ فعل كلام إثباتي مؤكّد بـ"قد" ولتأكيد القوّة الإنجازية لتأثيرهم في القوم يأتي التّأكيد بـ"كثيرا"؛ ليأتي الدّعاء ﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّاضَلَٰلًا﴾ و هو فعل كلام غرضي تكمن قوّته في زيادة ضلال الظالّمين إمعانا منه في عقابهم.

إنّ الملفوظ السّابق يؤكّد إيمان الكثير من القوم بدعوة نوح مما اضطر الملأ من القوم على تحريض هؤلاء المؤمنين وصدّهم عن الدّعوة بتحريضهم على ضرورة التّمسك بالآلهة وقد نجح هذا الفعل التّأثيري يؤكّد ذلك نجحهم في ارتداد الكثيرين عن دعوة نوح ﴿ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾.

إنَّ كلّ الأفعال الكلامية السّابقة هي تأكيد من نوح -عليه السّلام- لربّه على حرصه على دعوة قومه غير أنّهم كانوا في كلّ مرّة يزدادون في ضلالهم؛ لتكون كلّ تلك الأفعال مبرّرا للدّعاء عليهم بعد أن يئس من إيمانهم ليأتـــي الدّعــاء ﴿ رَّبِّ لَاتَذَرْعَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ

ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴾ تكمن القوّة الإنجازية لهذا الدّعاء في إهلاك قومه بل الإسراع في إهلاكهم، و يأتي الفعل (يذر) الذي « جاء كثيرا في معرض الغضب و النّقمة لأنّه بحركاته المتوالية و حروفه الذّلقة الخفيفة يصوّر السّرعة الخارقة في الأخذ»[1] و يأتي المؤشّر المكاني ﴿عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ ليجعل دعاءه شاملا لكلّ ساكني الأرض، و هذا يحيل إلى معنى متضمّن هو أنَّ ساكني الأرض كانوا قوم نوح ممَّا يعني أنَّ الطّوفان كان شاملا و يأتي تعليل هذا الدّعاء ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ فعل كلام مركّب، إذ أنّ ترك القوم الكافرين دون إهلاكهم يترتّبُ عنه ﴿ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾ في المقابل يأتي الدّعاء الختامي ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾ إذ يأتي هذا التّرتيب «بين المتعاطفين على أساس من فكرة الرتبة في الفضيلة و الشّرف»[2] في المقابل يأتي الدّعاء على الظّالمين ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا﴾ و التّبار هو الهلاك و يؤكّد هذا الملفوظ على الشّحنة الدّلالية و البعد الحجاجي ليؤكّد سوء العاقبة لقومه الظّالمين.

[1] صباح درّاز: أساليب القصر في القرآن الكريم و أسرارها البلاغية ، مطبعة الأمانة ، ط 1، مصر ،1986، ص 69.

[2] عفت الشّرقاوي: بلاغة العطف في القرآن الكريم –دراسة أسلوبية–، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت، 1981، ص204.

II.4.2. المرحلة الرابعة: إنهاء الدّعوة و بداية مرحلة الجزاء:

المقطع الحواري رقم :10 . سورة هود: الآيتان : 37/36.

المقطع الحواري رقم: 10. (الله تعالى/ نوح) .	
01 (الله تعالى): لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾	

التّدخل 01: (الله تعالى):

يأتي الأمر الإلهي – صناعة الفلك– استجابة لدعاء نوح بعد يأسه من دعوة قومه و لعلم الله بما هو كائن و يكون يأتي هذا النّفي المؤكّد بمؤشرات لغوية مع نفي إيمان آخرين بدعوته ليحيل على انتهاء مرحلة الدّعوة و بداية مرحلة الجزاء؛ إذ لم يعد هناك هدف مشترك [1]بين نوح و قومه، إذًا لن يكون هناك دعوة.

﴿لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ فعل خطاب مركّب جزؤه الأوّل ﴿ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ﴾ فعل كلام غرضي تقريري تكمن قوّته الإنجازية في إقرار الله سبحانه و تعالى و جيء ب (لن) لنفي إيمان آخرين في المستقبل يُحيلُ هذا التّأكيد إلى معنى مضمر، فعدم إيمان آخرين يعني في الوقت نفسه عدم ارتداد

[1] «الشّركاء في تفاعل لغوي يتقاسمون في العادة هدفا مشتركا إذا انعدم لن يكون ثمّة سبب للتّواصل، وقد لا يتمّ التّواصل على الأرجح» ينظر: فيليب بلاشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، ، ص 84.

الذين آمنوا بدعوته و يأتي النّهي الإلهي لنبيه بعدم الحزن على ما كان يفعل قومه ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ و هو الجزء الثّاني من الفعل المركب و هو فعل كلام غرضي نهي « نهاه عن أن يحزن حزن مستكين لأنّ الابتئاس حزن في استكانة و البائس المستكين »[1] تكمن القوّة الإنجازية للنّهي في نصحه تعالى لنوح – عليه السّلام – عدم الحزن على ما كان يفعل قومه معه كما أنّه تسلية لنوح حتّى لا يحزن و لا يقع في دائرة النّدم لأنّه اجتهد في دعوة قومه ليؤكّد التّوقف عن دعوة قومه؛ تكمن قوّته الإنجازية في تسلية نوح و طمأنته و كذا رعايته له و استجابته لدعوته كما يفيد عدم تقصير نوح في دعوة قومه و قد ربط بين جزئي الفعل المركّب بالفاء.

إنَّ عدم إيمان قوم نوح لا يعني عدم نجاح الفعل الكلامي[2] –إنذارهم– إنّما هو نتيجة حتمية لعصيانهم و استكبارهم و مكرهم و تأتي مرحلة الجزاء نتيجة العقد المبرم بين الله تعالى و نوح من جهة ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ و بين نوح وقومه من جهة ثانية و قد تمَّ الإنذار (و ما آمن إلا قليل) لذا تأتي المرحلة التّالية – مرحلة الجزاء– و التي تبدأ بالتّكليف بصناعة الفلك ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ ويأتي الأمر – و هو من الأفعال الإنجازية – التي تدفع المخاطب نوح إلى القيام بما أُمِر

[1] محمود السّيد حسن مصطفى : الإعجاز اللّغوي في القصة القرآنية ، تقديم :حسن عون، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ط1،1981، ص 288.

[2] من جهتنا نعتبر الفعل الكلامي قد تحقّق حتّى وإن لم تثبت نتيجته في الواقع؛ إنَّ مجرد إصداره يضفي عليه مشروعيته، بمعنى آخر إنّ الذي يصدر منه فعل كلامي لا ينتظر حتّى تتوفر جميع الشّروط ليقوم بذلك؛ إنَّ مجرد التّلفظ به يعني أنَّ تلك الشّروط قد اجتمعت. ينظر:Dominique Maingueneau pragmatique pour le discours litteraire ,p9

به من سلطة إلهية راعية لهذا التّكليف، و تأتي هذه الرّعاية وعدا من الله تعالى لنبيه ومؤشّرا على استجابته لدعوته و انتصاره و نصره له على قومه، يقول صاحب "نظم الدّرر": «بأعيننا نحفظك أن تزيغ في عملها و جمع مبالغة في الحفظ و الرّعاية على طريق التّمثيل (وَوَحْيِنَا) فنحن نُلهِمُك أصلَحَ ما يكون من عملها و أنت تعلم ما لنا من العظمة التي تغلب كلّ شيء و لا يتعاظمها شيء فلا بكونك لا تعرف صنعها »[1].

يحيل هذا التّكليف إلى معان مضمرة:

- عدم معرفة نوح بصناعة الفلك.
- يؤكّد هذا التّكليف بصناعة الفلك على استجابة الله تعالى لدعاء نوح بإهلاك قومه.

ويأتي النّهي الالهيُّ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ فعل كلام غرضي نهي عن المخاطبة يقول "الطّاهر بن عاشور": « و المخاطبة المنهيُّ عنها المخاطبة التي ترفع عقابهم فتكون لنفعهم كالشفاعة »[2]؛ يأتي التّحذير الإلهي حكما إلهيا تتمثّل قوّته الإنجازية في التّهديد و الوعيد « و الوعيد عقوبته»[3] تعالى للذين ظلموا مؤكّد بجملة من المؤشّرات اللّغوية؛ أداة التّوكيد "إنَّ" و الجملة الاسمية للدّلالة على الثبّات و الاستقرار و كذا اسم المفعول "مغرقون" فهم استحقوا الغرق لظلمهم ﴿ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ ملفوظ وصفي تكمن قوّته الإنجازية في تحديد هذا النوّع من العذاب.

---

[1] البقاعي: نظم الدّرر، ج9، ص 283.

[2] الطّاهر بن عاشور: التّحرير والتنوير، ج12، ص67.

[3] ابن أبي الزّمنين : رياض الجنّة بتخريج أصول السّنة ، ص 256.

يحيل ما تقدَّم من الأفعال الكلامية إلى:

- النّهي عن المخاطبة جوابٌ مسبق من الله تعالى لنوح عن مخاطبته له ﴿فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾فالله تعالى يعلم الذين ظلموا و لا شفاعة لهم عنده وهذا يحيل إلى علم الله المطلق بما هو كائن و يكون.
- أنَّ الله سيهلك الذين ظلموا بالإغراق وينجي الذين آمنوا في الفلك وهذا يقتضي استحقاقهم لذلك العقاب والشّرط المُعَدُّ هو قدرته تعالى على إنزال العذاب بكلّ قومه أي بما ألزم به نفسه ووعد به نبيَّه و توعَّد به الذين ظلموا ﴿أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

المقطع الحواري رقم :11 . سورة المؤمنون: من الآية 27 إلى الآية 29.

المقطع الحواري رقم:11 . (الله تعالى/ نوح) .	
01: (الله تعالى): أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾	

التّدخل 01: (الله تعالى) :

يشتمل تدخّل الله تعالى على متتالية من أفعال الكلام الغرضية، أمر تكمن قوّتها الإنجازية في إعطاء توجيهات لنوح – عليه السّلام- و من آمن بدعوته بداية من الأمر بصناعة الفلك ﴿ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ بوحي إلهي و رعاية ربانية إلى الأمر بتحديد علامات بداية الطوفان و كذا تحديد النّاجين ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ كذا تلقينه دعاء الاستواء على الفلك ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾و أخيرا دعاء النّزول في المكان والاستقرار فيه ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾.

﴿ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ فعل أمر الغرضُ منه إسداء تعليمات عن كيفية صناعة الفلك ﴿بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ ملفوظ إثباتي تقريري قوّته الإنجازية تكمن في الرّعاية الرّبانية لنوح .

تتجلى هذه الرّعاية في هيمنة (نا) و هي واصل يوحي بالعظمة و القدرة الإلهية؛ ثمّ يُعلِمُه بعلامات الطّوفان ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾ فعل كلام مركّب من جملة الشّرط و جواب الشّرط، فنجاح الثّاني ﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾ مرتبط بتحقيق الأوّل ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ كما يرتبط فوران التنّور بمجيء أمر الله

﴿فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾ فعل أمر و هو من الأفعال التّوجيهية؛ إنَّ هذا التّوجيه الذي بمقتضاه يحدّد الله تعالى لنبيّه النّاجين يحيلُ على مضامين مضمرة:

- الرّعاية الرّبانية لصناعة الفلك.
- عدم معرفة نوح صناعة الفلك.
- إنهاء الدّعوة و بداية مرحلة الجزاء.
- من كلّ زوجين اثنين: أي من ذكر و أنثى الذي يقتضي حياة جديدة و نسلا جديدا؛ إذ تبدأ عمارة الأرض من هذين الزّوجين.
- أنَّ الاستثناء و قع من الأهل و هذا يحيل إلى أنَّ المخاطبة يمكن أن تكون فيهم.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ فعل كلام غرضي نهي الله تعالى نبيَّه أن يتشفع له عنده في الذين ظلموا.

﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾تتوالى أفعال الأمر التي تتشكّل في مجملها تعليمات من الله تعالى إلى نوح عليه السّلام ومن معه وهي خطاب مباشر من الله تعالى لنوح إذ يأتي الفعل الكلامي المركّب والذي يحوي الشّرط وجوابه فإذا تحقّق شرط الاستواء -لنوح -عليه السّلام -و المؤمنين بدعوته- على الفلك بتحقّق ما يلي من أفعال:

﴿ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾

و هي أفعال تقتضي الإلزام من السّلطة الإلهية العليا، إذ يتواتر فعل الأمر "قل" لما له من دور في تحريك المتلقي نوح و تتناسب « بنية الخطاب الصّوتي في هذا الإنشاء الطّلبي تتناسب مع وظيفة التنبيه التي يقوم بها الأمر دلاليا و يتناسق ووسيلة التّنشيط التي يحدثها في المتلقي» [1] كما يعطي الأمر «مؤشّرا إمّا على استقطاب سؤال غائب تنبيها بآخر حاضر ... و إمّا مراعاة حال مقدّر ملحوظ في أحوال العباد يحول السّؤال عنه في مسارب النّص الحاضر »[2] و هي تحيل إلى معان مضمرة:

- أنَّ النّجاة إنما تكون برحمة الله وأنَّ الإنزال والبركة بأمره أيضا وهذا ما سيؤكّده نوح مع المؤمنين حين ركوب الفلك ؛لقد جاءت الأفعال الكلامية ملائمة للسّياق؛ ذلك أنَّ التّفصيل إنمّا كان قبل الطّوفان يقول "الطّاهر بن عاشور": « وآية هذه السّورة حكت ما خاطبه الله به من قبل حدوث الطّوفان إنباءً بما يفعله عند حدوث الطوفان، فأمره أنَّه حينئذ يدخِل في السّفينة من عيَّن الله إدخالهم مع ما في ذلك من التفنُّن في حكاية القصّة»[3].

المقطع الحواري رقم :12. سورة هود: الآيتان: 39/38.

المقطع الحواري رقم :12. (نوح / قومه).	
01 :(نوح): إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٩	

[1] مصطفى عليان:معجم الخطاب القرآني في الدّعاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،ط1 ،الكويت،2013،ص 57.

[2] المرجع نفسه ،ص58.

[3] الطّاهر بن عاشور: التّحرير والتّوير، ج18، ص 46.

التدخل 01: (نوح):

بعد ما أوحى الله تعالى إلى نوح عدم إيمان آخرين من قومه أمره بصناعة الفلك بوحي الهي و رعاية ربّانية ؛ ليأتي الفعل العملي لهذا التّكليف لتبدأ مرحلة جديدة بين نوح– عليه السلام– و قومه يشير لى إلى دلك الخطاب المسرود Discours narrativisé ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ملفوظ تقريري وصفي و هو من أفعال الإثبات ، تكمن قوّته الغرضية في تماديهم في تكذيب نوح – عليه السّلام– و هم يرون قرب ما توعّدهم به من عذاب .

إن توقّف الحوار بين نوح و قومه يؤكّد عدم وجود هدف مشترك بينهما ،لذا ينهمك نوح والذين آمنوا بدعوته في صناعة الفلك و يؤكّد الخطاب المسرود مرورهم عليه وسخريتهم منه ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ و هذا يتضمّن أقوالا و أفعالا تؤكّد سخريتهم ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾ ؛ يؤكّد نوح ذلك يقول "الطّاهر بن عاشور" « وجملة" إن تسخروا منّا" حكاية لما يُجيب به سخريتهم أجريت على طريقة فعل القول إذ وقع في سياق المحاورة لأنّ جملة"سخروا" تتضمّن أقوال تبين عن سخريتهم أو تبين عن كلام في نفوسهم» "[1]

﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ملفوظ إثباتي وصفي تكمن قوّته الغرضية كونه يعلل الجملة التي سبقته ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾ أي أنّ سخريتنا منكم بسبب سخريتكم منّا ؛ غير أنّ سخرية الملأ من قومه عن غرور و جهل بما ينتظرهم من عذاب ؛ أمّا سخرية

[1]الطاهر بن عاشور : التحرير و التّنوير ، ج12،ص68.

نوح و الذين آمنوا بدعوته ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾؛ وهو ملفوظ من أفعال القرار التي ترتبط بالحكم تكمن قوّته الغرضية في التّهديد و الوعيد.

المقطع الحواري رقم :13 . سورة هود : الآية:40

المقطع الجواري رقم :13. (الله تعالى /نوح) .	
01: (الله تعالى): ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾	

التّدخل 01: (الله تعالى):

يقول "الطّاهر بن عاشور": « آية سورة هود حكت ما خاطبه الله به عند حدوث الطّوفان، و ذلك وقت ضيّق فأمر بأن يحمل في السّفينة مَن أراد الله إبقاءهم فأسند الأمر إلى نوح تمثيلا للإسراع بإركاب ما عيَّن له في السّفينة حتّى كان حاله في إدخاله إيَّاهم حالَ مَن يحمل شيئا ليضعه في موضع»[1] و هذا ما يؤكّد تلاؤم الأفعال الكلامية مع سياقاتها إذ يأتي الأمر (احمل) الذي يقتضي الإسراع في تنفيذ أمر الله بحمل ﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾.

[1] المرجع نفسه، ج19، ص45.

المقطع الحواري رقم : 14 . سورة :هود : الآية: 41.

المقطع الحواري رقم:14 (نوح /المؤمنون) .	
01: (نوح): ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾	

التّدخل 01: (نوح):

يأتي أمر نوح للمؤمنين ﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾تنفيذا لأمر الله تعالى (احمل فيها)؛ فعل أمر حقيقي ممَّن هو أعلى مرتبة، نوح للمؤمنين بدعوته﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ فعل أمر توجيهي من نوح إلى المؤمنين بدعوته ليأتي دعاء ركوب الفلك الذي يحيلُ على معنى متضمّن مقتضاه أنَّ نجاتهم كانت برحمة من الله.

المقطع الحواري رقم :15. سورة :هود :الآيتان: 43/42.

المقطع الحواري رقم:15 (نوح / ابنه) .	
01: (نوح): يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ **02 : (نوح)** : لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۖ	**01: (ابنه):** سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ
وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾	

التّدخل 01: (نوح):

يأتي هذا المشهد الحواري بعد رحلة دعوية مضنية؛ بل في أوجّ لحظات العذاب ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾يأتي الوصف[1] ليرسم لنا المشهد ماثلا أمامنا ليصوّر لنا الشّخصيات و هي تتفاعل مع العالم الخارجي؛ غير أنَّ الدور التّفاعلي لنوح الرّسول مع الابن الكافر يُلغى في سياق لحظة العذاب و هو يرى ابنه في معزل بين أمواج كالجبال و سفينة النّجاة تجري بنوح و المؤمنين بدعوته و الذين ظلموا مغرقون؛ في هذا السّياق تطغى عاطفة الأبوة و تطفو عاطفة نوح الأب الذي يرى ابنه هالكا و نوح النّبي الذي أعلمه ربُّه ﴿لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾، ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾؛ إنَّه استحضار لوعد الله بنجاة أهله وتغييب للاستثناء ﴿وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ﴾

يبدأ نوح بنداء ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ الذي يعتبر مدخلا للأفعال الكلامية الأخرى ووسيلة لتبليغ التوّجيهات؛ يسعى نوح إلى التّأثير في ابنه علَّه يركب في الفلك فيكون من النّاجين؛ لذا يأتي التّصغير لغاية حجاجية، لتقريب ابنه واستعطافه ويأتي الأمر بالركوب في الفلك ﴿ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ والغرض منه النّصح و الإرشاد و النّهي عن أن يكون مع الكافرين ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ لقد أنتج هذا الفعل ﴿ٱرۡكَب﴾ فئتين: ﴿مَّعَنَا﴾ "معنا" وهي الفئة

[1] « الوصف أحد أهم الأشكال السّردية التّصويرية التي تجسّد إحساسنا و وعينا بالحياة في علاقاتها المكانية و الزّمنية وفي دلالاتها المادية و لمعنوية و في أبعادها المركبة و غير المركبة » ينظر: عثمان بدري :وظيفة اللّغة في الخطاب الرّوائي الواقعي عند نجيب محفوظ ،دراسة تطبيقية ، ط 1 ، بيروت ،2012 ،ص 86.

النّاجية التي تشمل نوحا والمؤمنين بدعوته؛ الذين يركبون الفلك و فئة ﴿مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ و تشمل الذين ظلموا؛ و هي خارج الفلك و هي الفئة المغرقة.

التّدخل 01: (ابن نوح):

﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ فعل كلام غرضي إثباتي تكمن قوّته الإنجازية في عدم استجابة الابن لدعوة نوح أبا و نبيّا- يتضمّن هذا الرّد عدم نجاح الفعل التأثيري نتيجة عدم تعديل الابن لسلوكه كما يحيلُ على معان مضمرة: مدى كفر ابن نوح من خلال إنكاره للعذاب الذي وعد الله به الكافرين الذي يراه ماثلا أمامه.

التّدخل 01: (نوح):

يأتي ردُّ نوح ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ فعل كلام غرضي نفي إمكانية نجاته اليوم؛ و يأتي الاستثناء إلاّ من رحم الله اليوم برحمته و يأتي (ٱلۡيَوۡمَ) و هو من الواصلات الزّمانية إذ من خلالها يتمّ تحديد ما هو(قبل) حيث كان يمكن أخذ الاحتياطات أمّا اليوم فلا مفرّ من قضاء الله إلاّ برحمته.

المقطع الحواري رقم :16. سورة : هود: من الآية: 45 إلى الآية48 .

المقطع الحواري رقم :16. (نوح/الله تعالى) .	
01:(نوح):	**01: (الله تعالى):**
رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾	يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
02(نوح):	**02: الله تعالى:**
رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾	يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ

التّدخل 01: (نوح):

يختلف سياق الحوار بين نوح و ربّه عن بقية الحوارات، فهو حوار حول ابنه الذي كان من المغرقين و كان الله سبحانه و تعالى قد أخبر نبيّه بنجاة أهله ﴿ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ ﴿ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

يبدأ نوح بنداء (رَبِّ) خضوعا لله تعالى﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ فعل كلام غرضي تأكيد بـ"إنَّ"؛ تأكيد أبوّته لابنه الذي غرق؛ فيه استعطافٌ و خضوع و عجز أمام القدرة الإلهية التـــي قضـــت بغرق ابنه و هو من أهله ﴿ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ تذييل يؤكّد مضمون الجملة السّابقة أنّ الحكمة لله تعالى فيما حكم و لتأكيد القوّة الإنجازية قدَّم الضّمير "أنت" إضافة إلى أفعل التّفضيل ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ تذييل و هو عدول بالزّيادة؛ الغرض منه إقرار نوح أنّ الله أحكم الحاكمين فيما حكم به و بالتّالي يصبح التّذييل حكما عامّا في كلّ قضاء و حكم يحكمه الله تعالى؛فالله هو « الحاكم الذي لا رادّ لحكمه و لا معقّب لقضائه ... فالله قدّر المسبب و قدّر له سببه فإذا جرى سببه كان حصول السّبب واجبا بقدر معلوم لا يزيد و لا ينقص»[1] و قد قدّر إغراق ابن نوح فلا معقّب لحكمه ولا رادّ لقضائه.

يحيلُ هذا التّدخل إلى سؤال استفساري مضمر، و هو سؤاله عن عدم نجاة ابنه و هو من أهله مع تأكيده على أنّ الله أحكم الحاكمين فيما حكم.

التّدخل 01: (الله تعالى):

يأتي ردُّه تعالى جوابا لاستفسار نوح المضمر ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ و يأتي النّداء مدخلا للأفعال الكلامية الأخرى و وسيلة لتبليغ التّوجيهات، و هو « صوتٌ للتّنبيه إمَّا يريد تخصيص المخاطب بالكلام الذي يأتي بعد التّنبيه لجعله معنيا به دون غيره، و إمَّا يفيد توكيد المخاطب في حال كون المخاطب يعلم أنّه المعنيُّ بالكلام، و لكن في ندائه زيادة تنبيه و توكيد و إثارة و ربمّا كان ذلك رغبة من المتكلـــّم

[1] عبد الرّحمن الدّوري : العقيدة الإسلامية و مذاهبها ، كتاب ناشرون، ط 2 ، بيروت ، لبنان ، 2012 ، ص334.

في إقناع المخاطب بما سيعلمه من الكلام »[1] إنَّه تخصيص لنوح بالكلام يؤكّد ذلك "أهلك"، ثم يأتي تأكيد النّفي ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ليتبع بتأكيد الإثبات ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ فعل كلام تقريري من أفعال الإثبات و قد جاء التأكيد ب ﴿إِنَّهُۥ﴾ الذي يعود على ابن نوح ليأتي النّهي ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ تكمن قوته الإنجازية في زجر نوح و نهيه عن السّؤال عمَّا ليس له به علم، و هذا يحيلُ على معنى مضمر هو اختصاص الله تعالى وحده بمعرفة حقائق النّفوس و لتأكيد القوّة الإنجازية لهذا النّهي يأتي تأكيد الأمر ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾تكمن قوّته الإنجازية في التّحذير و الوعيد عن الكون، و هو أبلغ من النهّي عن الفعل أو الاتصاف به؛ إذ انتقل من المفرد إلى العموم ﴿مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ليؤكّد العموم؛ لأنَّ فعله -سؤاله ما ليس له به علم- هو ممَّا يشترك فيه مع الجاهلين.

لقد جاء هذا التّفاعل الكلامي نتيجة علم "الله تعالى" بحقيقة الأهل و كذا تصحيح ما انطبع في ذهن المخاطب نوح مِن لُبس في مفهوم الأهل الذي يعني -عنـده- قرابة النّسـب ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ لتبرير ارتباط الأهل بالصّلاح، و مادام ابنه ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ فهو ليـس مـن الأهل، لذا جاء الجواب فعل كلام مقرّرا حكما شرعيا، فالأهل أهل العقيدة لذا يتجاوز الفعل الكلامي كونه إخبارا إلى إنجاز فعل كلامي يتغيّر بموجبه مطابقة القول لواقع نوح بل إنّه يُؤسّسُ لعقيدة التوّحيد التي أكّدتها جميع الرّسالات.

[1] خالد ميلاد: الإنشاء في اللّغة العربية بين التّركيب والدّلالة. دراسة تداولية، ط1، جامعة منوبة، كلية الآداب، المؤسّسة العربية للتّوزيع، تونس، 2001، ص 163.

التّدخل 02: (نوح):

﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ تأتي مناجاة نوح ربّه لتؤكّد نجاح الفعل التأّثيري؛ إذ يأتي النّداء "ربّ" و هو فعل كلام تأثيري الغرضُ منه تأكيد ربوبيته سبحانه تعالى و إقراره بلجوئه إليه ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ و هي أبلغ كلمات النّفي فلا يعوذ بالله إلاّ من أراد التّغلب على أمر عظيم لا يغلبه إلّا الله [1]و إقرارٌ و اعتذار و التزام بالكفِّ عن السّؤال عن ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ وبذلك يتحقّق شرط المطابقة من خلال التزام المتكلّم بالكفِّ عن السّؤال ليتبع ذلك ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ متتالية من الأفعال الكلامية الغرضية تتمثّل قوتّها الإنجازية في إعلان النّدم و الخوف من وعيد الله له ؛إنّ هذا الخطاب الذي هو مناجاة نوح ربه فالنّداء هنا لا يُطلَب لذاته إنمّا جوابه الذي تضمّنه هو المهمّ أي دعاؤه بالمغفرة ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ و هو جواب النّداء الذي يختزل غرضه من النّداء.

ويأتي هذا الفعل الكلامي فعلا كلاميا مركّبا من خلال ارتباط تحقُّق الفعل الأوّل بالثّاني؛ فعدم مغفرة الله له و رحمته به يجعله من الخاسريــن، إذ ينتقل الخـــطاب مـن

[1] قدور عمران : البعد التداولي في الخطاب الموجّه إلى بني اسرائيل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تحليل الخطاب، إشراف: مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، 2009/2008، ص 116

الخاصّ إلى العام، فعدم اشتماله برحمته هو ممَّا يشترك فيه مع الخاسرين؛ إنَّ ما يريد نوح الوصول إليه هو اعترافه بخطئه و لجوءه إلى الله كي يغفر له و يشمله برحمته.

التّدخل 02: (الله تعالى):

يأتي ردُّ الله تعالى استجابة لدعاء نوح يبدأ بنداء لتنبيه المنادى لأهميّة ما يلقى عليه، كما يأتي هذا النّداء مدخلا للأفعال الكلامية التالّية: أولاها الأمر بالهبوط ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ إذ يأتي الأمر فعلا توجيهيا من الله تعالى لنوح و الهبوط « نزول يعقبه إقامة ... و لا يقال هبط الأرض إلاّ إذا استقر فيها »[1]و يأتي ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ﴾ملفوظ وصفي تقريري مؤكّد (منّا) و الغاية الحجاجية لهذا العدول بالزّيادة هي لمزيد من الثّواب و الجزاء لنوح و لهؤلاء المؤمنين بدعوته تأكيدا من الله تعالى على إسناد السّلام و البركات إليه، و لتأكيد القوّة الإنجازية لذلك الاستقرار يأتي – منَّا– يقول" الطّاهر بن عاشور": « أمَّا التّعبير بقوله: "منَّا" فهو تأكيد لتوجيه السّلام إليه؛ لأنَّ "من" ابتدائية بالمعنى بسلام ناشئ من عندنا، و هذا تأكيد يراد به زيادة الصّلة و الإكرام »[2] و يأتي ربط الهبوط بالسّلامة للدلالة على « حصول السّلامة من الآفات و لا يكون ذلك إلاّ مع الامن و سعة الرزق ...ثمّ أردفه بأن وعده بالبركة هي عبارة عن الدّوام و الباء و الثّبات و نيل الأمل»[3].

---

[1] أبو هلال العسكري: الفروق اللّغوية، ص 296.

[2] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، مج 12، ص89.

[3] الرازي: مفاتيح الغيب ج18،ص 06.

يحيلُ هذا القول على معنى مضمر هو رضا الله تعالى و مغفرته لنوح واشتماله برحمته و لتأكيد هذا الرضا يأتي "عليك" و على من حملهم معه في الفلك ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ و يأتي هذا القرار وعدا من الله تعالى تتمثّل قوّته الإنجازية في الرّعاية الرّبانية لنوح و من معه؛ يقابل ذلك الوعدَ وعيدٌ لأمم أخرى ستأتي بعد ذلك ﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ نتيجة خروجهم عن طاعة الله.

خلاصة الفصل :

نخلص في ختام هذا التّحليل إلى ما يلي:

بالنّسبة إلى المشاهد الحوارية تتموضع في السّور المكّية مع ما للقرآن المكّي من دور في هدم معتقدات سائدة و استبدالها بعقيدة التّوحيد و قد لاحظنا من خلال رصدنا لمواقع المتحاورين في قصّة نوح العلاقات التّخاطبية بين الأطراف المتحاورة لذا يمكن أن نستشف مستويين لتلك العلاقات :

- المستوى الخارجي : فالخطاب القرآني موجه للرسول صلى الله عليه و سلم مما يعني وجود مرسل و هو الله تعالى ممّا يؤكّد أنّ القصّة المحكية من الله تعالى إلى الرّسول صلى الله عليه و سلّم هي ضمن سياق سردي يحدّده حدث خارجي في حاضر الرّسول صلى الله عليه و سلم.

- المستوى الدّاخلي: وهو الذي سنتناوله بالدّراسة وهو يشمل العلاقة بين الأطراف المتحاورة في قصّة نوح إذ يمكن أن نستخلص العلاقات التّخاطبية التّالية :

الله تعالى ⟵ نوح .

نوح ⟵ قوم ⟵ المؤمنون .

⟶ الملأ الذين كفروا من قومه .

نوح ⟵ ابنه.

الملأ ⟵ المؤمنون

لذا لاحظنا الطرف الثّابت في كلّ العلاقات و هو نوح .

بالنّسبة إلى أفعال الكلام فإنّ المقام هو الذي أسهم في إيجاد هذه البنى اللّغوية التي ترتبط بمقام إنجازها.

نلاحظ كثرة الأمر في خطاب الله تعالى – السّلطة الالهية العليا- إلى نوح و كذا الأفعال المباشرة من خلال الأمر بإنذار القومأَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١﴾ و كذا الأمر بصنع الفلك ﴿ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ و أمره بحمل من أمره بحمله معه في الفلك ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾.

﴿ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾.

و كذا أمره بدعاء الاستواء على الفلك ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾

و ارتبط الأمر بالدّعاء في حوار نوح مع ربّه دعوة للنّصرة على قومه الذين كذبوه.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨ ﴾

كما خرج الأمر إلى غرض الالتماس في حوار نوح مع قومه في دعوته لهم إلى عقيدة التّوحيد التي تقتضي اللّين و التّلطف ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾

كما خرج الأمر في خطاب الملأ الذين كفروا من قومه مع نوح إلى غرض التّحدي والتّعجيز حين أعجزهم نوح بحججه و قد سُبِق هذا الأمر بفعل كلامي تقريري حيث أقروا جدال نوح لهم فأمروه أن يُنزِل عليهم العذاب الذي توعّدهم به ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣٢ ﴾

أمّا بالنّسبة إلى الاستفهام فإنّه لم يرتبط بأصل الاستفهام ؛ أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل بأداة خاصّة ؛ أي ليس لطلب الحصول على إجابة بل تعدّدت أغراضه حيث ارتبط –خاصّة– بالتّعجب و الإنكار مما يُبرّر استعمال الهمزة التي تكون « للإنكار و التّعجب » [1] و هي « أمّ باب الاستفهام...أنّها وحدها الأداة الأصلية في الاستفهام و لا تستعمل في غيره»[2] و هي التي يُسأل بها عن كلّ شيء في الجملة.

[1] حسن إسماعيل الأوسي :أساليب الطّلب عند النّحويين ،وزارة التّعليم العالي ،جامعة بغداد ،1988 ،ص 337.

[2] المرجع نفسه ، ص 219.

لقد تواتر الاستفهام في حوار نوح مع قومه فكان تقريريا ممهّدا للإنكار﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وسُبِق بالنّفي ليحمل المتلقي على الإقرار بوحدانية الله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾

كما استُعمِل للتّوبيخ ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾

كما أفاد النّفي﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي نفي أن يكون هناك من ينصره من الله إن هو طردهم.

لقد لاحظنا كثرة النّفي للمستقبل ب (لا) أكثر من (لن) و ذلك راجع إلى دخول (لا) على الأفعال و الأسماء و على المعارف و النّكرات ؛ إضافة إلى الجملة المنفية ب (إن) التي جاءت للإنكار أو للتّمهيد له ؛ كما ارتبطت (إن) النّافية ب (إلاّ)[1].

لقد اعتمد نوح على الاستفهام لتحريك أراء المتلقي في مقام يكرّس الشّرك و يجعله منهج حياة ،و يستمد سلطته من سلطة جمعية جماعية لذا يعتمد على الاستفهام لإعطاء مساحة للآخر حتّى يجيب بنفسه عن نفسه حتّى يكون تقبُّل المتلقي للمعتقد الجديد تقبُّلا

[1] وردت (إن) بدون (إلاّ) في ستة شواهد فقط من القرآن وهي : يونس68/ فاطر 41/ الأحقاف 26/الانبياء 109/ الإنسان 111/ الجن 25، ينظر: صلاح رمضان عبد الله : أساليب النّفي في القرآن الكريم ، تركيبها ودلالتها ، مجلة البحر الأحمر ،ع5 ،يونيو 2014.

حسنا مبنيا على الاقتناع و لا أدلّ على ذلك من استفهامه ﴿ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ حيث يؤسّس هذا الاستفهام الإنكاري لأحد أسس العقيدة الإسلامية على مرّ الرسالات إذ حمل تقريرا لقومه و التزاما بعدم إكراههم على إتباع دعوته أو إلزامهم بها الأمر الذي حمّل هذا الاستفهام طاقة حجاجية إقناعية تمنح الآخر حقّ الإجابة عن نفسه بنفسه واحترام معتقده و قد أدّى اختيار الهمزة دورها لأنّ المستفهم لا ينتظر إجابة بل يحمل الاستفهام إجابته في بنيته اللّغوية التي ترتبط بالمقام و هي لا إكراه في الدّين و ما وجود ﴿ وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ إلّا لتأكيد القوّة الإنجازية لعدم الإكراه و في ذلك إحالة إلى إستراتجية قومه المبنية أساسا على الإكراه و الاحتقار و نفي الآخر.

غير أنّنا لاحظنا قلّة النّهي في حوار نوح مع قومه لأنّ المقام يتطلّب النّصح والإرشاد نجده في قوله ﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴿٢٦﴾﴾ إذ نهاهم عن عبادة غير الله وحتّى يُحدث النّهي أثره يبيّن الغاية من عبادة غير الله ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾ إنّ بيان الغاية من العبادة لغير الله أضفى طاقة حجاجية على ما أراد النّهي تقريره في الذّهن.

غير أنّنا نجده – النّهي- يكثر في مناجاة نوح لربه بغرض الدّعاء و عادة ما يُسبَق بفعل كلامي تقريري إثباتي للحال التي آل إليها مع قومه ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ

ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾﴾

﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾ ﴾

كما نجده في حوار الله تعالى مع نوح تسلية له جرّاء ما لاقاه من قومه ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ و تنزيها له عن السّؤال عن ما ليس له به علم﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾

كما لاحظنا كثرة التّكرار (يا قومي) (ما نرى) المحمّلة بطاقة حجاجية فالتّكرار يؤدّي إلى حضور الفكرة في ذهن المتلقي وقد يؤدّي ذلك إلى الاقتناع بالفكرة و تقبلها وقد وقفنا على الأبعاد الحجاجية لهذه التّقنية كاستدراج المتلقي من أجل تقبّل المضمون الذي يأتي بعده.



الفصل الثّالث

البنية الاستدلالية في الحوار الحجاجي في قصّة نوح

-عليه السّلام-

تتأسّسُ دراستنا للبنية الاستدلالية للحوار الحجاجي في قصّة نوح على دراسة بنية الحوار الحجاجي انطلاقا من الآليات المعتمدة للإقناع لذا ستتجاوز دراستنا الدّراسة الإفرادية للحجج إلى دراستها ضمن نظام، أي بناء من خلال استقراء طرق التّدليل و كذا دراسة العلاقات القائمة بين الحجج لأنّ الحجّة لا تؤدّي فاعليتها إلاّ من خلال العلاقات التي تقيمها مع بقية الحجج لأنّ الحوار الحجاجي ينبني في الأساس على عرض الدّعوى و التّدليل عليها وفق تسلسل معيّن أي وفق بناء استدلالي معيّن هدفه الإقناع.

كما يوظف الحوار الحجاجي الرّوابط و العوامل الحجاجية التي تعمل على تماسك أجزائه حتّى يؤدّي وظيفتَه التّأثيرية.

I. البنية الاستدلالية للحوار الحجاجي في قصّة نوح :

I. 1. المرحلة الأولى: مرحلة التّكليف:

تحوي مرحلة التّكليف مقطعا حواريا واحدا ، فيه يتوجّه الله بخطابه مُكلِّفا نوحا بإنذار قومه قبل أن يأتيهم عذاب أليم.

المقطع الحواري رقم:01 .سورة : نوح : الآية: 01.

المقطع الحواري رقم :01 (الله تعالى / نوح).	
01: (الله تعالى): أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾	

التّدخّل 01:(الله تعالى):

يعرض لنا هذا المقطع من سورة "نوح" الحلقة الأولى من حلقات قصّة نوح و التي تبدأ بتكليف الله تعالى نبيّه بإنذار قومه قبل إنزال العذاب.

لقد توجّه الله تعالى بخطابه إلى الرّسول صلى الله عليه و سلم بتحديد مصدر الرّسالة (إنّا)؛ ليخاطب بعدها نوحا ﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ و هو خطاب فيه اصطفاء و تكريم لنوح لذا تأتي هذه القيمة المهيمنة التي تضع نوحا في مرتبة المصطفين /الرّسل/ الذين اختارهم الله تعالى لأداء الرّسالة ؛إضافة إلى إرساله إلى قومه الذين فيهم أهله الأمر الذي يُحفِّزُ نوحا على الاستجابة للأمر الإلهي و لا يمكن أن نتوقّع من هذا المتلقي– نوح – إلّا التّجسيد العملي لهذا التّكليف.

و إذا انتقلنا إلى القيمة المتضمّنة لهذا التّكليف نستشف إقامة لله تعالى الحجّة على عباده بإرسال نوح إلى قومه أوّلا ، و إنذارهم عذاب يوم أليم إن لم يؤمنوا ثانيا لأنّ «الإنذار تخويف مع إعلام »[1]ليكون الإنذار حجّة على القوم ؛و هذا ما كان مع بقيّة الأمم حيث أرسل الله رسله إلى أقوامهم ليكونوا حجّة لله على عباده فإن آمنوا فازوا بجنّته و إن كفروا فلهم عذاب أليم.

ينبني تدخل الله تعالى على الحجّة البراغماتية التي تربط الفعل بنتائجه ؛ إذ يُؤدّي الإنذار إلى ما يلي:

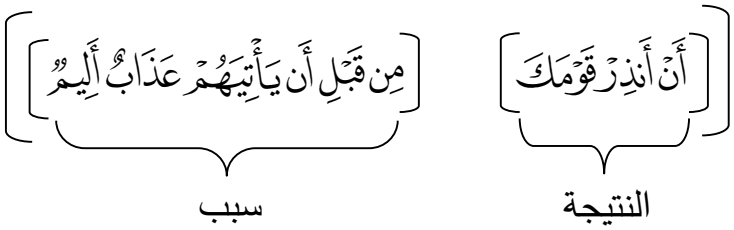
إنذار القوم ⟵ ن 1 : إيمان القوم ⟵ اتقاء عذاب يوم أليم.

⟵ ن2 : عدم إيمان القوم ⟵ عذاب يوم أليم.

[1] أبو هلال العسكري : الفروق اللّغوية ،ص 242.

إذ يرتبط عدم إيمان القوم بنتائجه السّلبية و التي أقرّها الله تعالى ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ لتُحيل على نتيجة مضمرة و التي تربطُ الفعل – استجابتهم للدّعوة– بنتائجه ﴿ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾

ينبني التدخل حجاجيًا كما يلي:



I. 2. المرحلة الثّانية : مرحلة الدّعوة:

بعد تكليف الله تعالى نوحا بإنذار قومه يبدأ نوح مسيرته الدّعوية ليتجسّد التّنفيذ العملي لهذا التّكليف من خلال دعوته إيّاهم إلى عقيدة التّوحيد معتمدا إستراتيجية تهدف إلى الوصول بقومه إلى الإيمان بما يدعوهم إليه وفق بناء استدلالي يراعي طبيعة المتلقي و كذا مقام الدّعوة إضافة إلى زمن الاستجابة .

المقطع الحواري رقم:02 . سورة : نوح: من الآية 02 إلى الآية 04.

المقطع **الحواري رقم :02. (نوح/ قومه) .**	
01: (نوح): يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾	

التّدخّل 01 : (نوح):

يبدأ نوح تدخُّلَهُ متوجِهًا إلى متلقي متعيّن – قومه– جميعًا على اختلاف معتقداتهم قصد إقناعهم بالمعتقد الجديد، الأمر الذي يُحَتّم عَليه امتلاك كفاءَة حوارية عالية لإقناعهم بِمَا يَعْرِضُهُ عليهم من دعوى و هذا المنطلق من "المناقض" كفيل بأن يدفع المتلقي إلى الاعتراض ؛ الأمر الذي ينبئ بحوار حجاجي بامتياز.

استهلُ نوح تدخُّلَهُ بحجّة التّعريف و التي « تُعدُّ مدخلاً للحجاج لأنّنا بحاجة إليه حينما نريد تحديد مفهوم حتّى تكون هناك أرضية تقوم على قواعد مشتركة بين المتخاطبين من أجـــل إقـــناع حسن »[1] ؛﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ يقول"الرّازي": «النّذير كونه مُهدِّدًا للعصاة بالعقاب و من مبين كونَه مُبينًا مَا أعَدَّ الله للمطيعين من الثّواب »[2]؛ لقد انطلق نوح من التّعريف بوظيفتِه الّتي تُعتَبرُ أرضيةً مُهمَّة لنجاح مَا يَعْرضُه على قومِهِ من دعوى و هو بهذا يُعْلِن تَحَمّلَهُ مسؤولية إدْرَاكِهم لواقِعهم و كذا تغييرَه وفق المعتقد الجديد؛ ثمّ يعرض دَعْواه التي تتأَسس على :عبادة الله و تقواه و طاعة رَسُولِه ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ وفق سَلّم حجاجي إذْ تأتي عبادة الله الأساس الأوّل وكذا تقواه « فلا تتحرّكوا حركة و لا تسكنوا سكَنَة إلاّ في طاعته و هذا هو العمل الواقي من كلّ سوء »[3] لذا تتحدّد التّقوى في مراعاة العَبْد ربَّه في كلّ عَمَل و لا يتمُّ ذَلك إلاّ بطاعة رَسوله – نوح – ﴿وَأَطِيعُونِ﴾.

لقد بنى نوح خطابه من خلال رّبط الحججَ بالنّتيجة بعلاقة اقتضاء المحمّلة بطاقة حجاجية عالية إذْ تتَّصِلُ الحجّةُ بالنتّيجة على شكل تلازم، فعبـــــادة الله و تقواه و طاعـة

[1] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نُغَيِر، ص 142 .

[2] الرّازي: مفاتيح الغيب ، مج 9، ص 175.

[3] البقّاعي: نظم الدّرر في تناسب الآيات و السّور، ج20،ص 427.

رسُوله تقتضي النّتيجة ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ ؛ إنّ تحديد الغاية من الفعل بنتائجه العملية –كما يقول"ببرلمان"–« أمْرٌ لا يحتاج إلى مبرّر آخر خارج عَنْهُ ليستقيم و لكن يستطيع المتلقي مع ذلك دَفْعَهَا متى اِحتَجّ بأنّ الحقيقة تستمدُّ قيمتها من ذَاتِهَا ؛هذه القيمة التي تظلُّ ثابتة مهما كانت نتائجها»[1] لِذا تأتي الحجّة البراغماتية لتربط – الفعل– عبادة الله و تقواه و طاعة رَسُوله بنتائجه الإيجابية ﴿ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أي تأخير الأخذ بالعذاب فيكون أخذكم بموتكم كما هو مُسَمّى لكم حين ولادتكم يقول "الطّاهر بن عاشور":« فهو وَعْد بخبر دنيوي يستوي النّاس في رغبته و هو طول البقاء فإنّهُ من النِّعَم العظيمة لأنّ في جِبِلّة الإنسان حبّ البقاء في الحياة على مَا في الحياة من عوارض ومُكَدِّرات »[2]و هو تأخير لهم جميعًا بالأخذ لأنَّهُ نتيجة لكلّ من عبد الله و اتقاه و أطاعَ رَسُولَهُ.

تأتي الحجج وفق السّلم الحجاجي التّالي:

ن: يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ

وَأَطِيعُونِ

أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ

أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ

[1] سامية الدّريدي : الحجاج في الشّعر العربي (بنيته و أساليبه) ، ص 220.

[2] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج 29، ص189 .

ثمّ تأتي النّتيجة السّلبية ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ لترتبط بالفعل المحذوف (فإن لم تعبدوا الله و تتقوه و تطيعون) فإنّ أجل الله – أي الأخذ بالعذاب– لا يُؤخَّر يقول "الطّاهر بن عاشور" ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ « إيماءٌ إلى أنّه ليس الأجل المعتاد بل هو أجَلٌ عَيَّنَه الله للقوم إنذارًا لهم ليؤمنوا بالله »[1] فترتبط النّتيجة السّلبية بالفعل المضمر ارتباط تلازم وفق السّلم الحجاجي التّالي:

ن: إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ

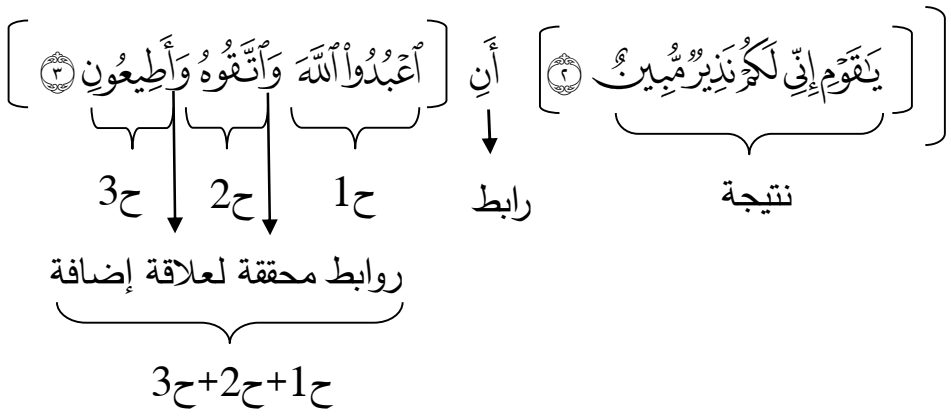
- و لم تطيعون.
- و لم تتّقوه.
- إن لم تعبدوا الله

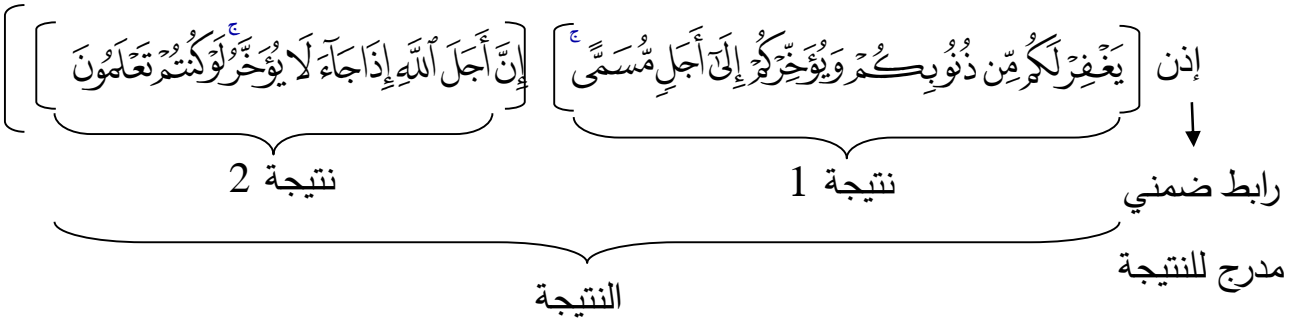
لقد اعتمد نوح على تقديم « المعلومات اللاّزمة و التي يمتلكُهَا عن موضوع الخطاب و عَرَضَهَا لإفادة المخاطب »[2] فلم يُطنب و لم يُحَلِّل و لم يُفَسِّر إنّما ربط المقدِّمات بالنّتائج بعد أن وَضَعَ أرضيةً تُحدّد ماهيتَهُ (نَذِيرٌ مُبِين) فكانت "نَذِير" إنذار للمكذِّبين بالله وَ رَسوله لتكون النّتيجة التّعجيل بالعذاب و كانت "مُبِين" إبانة لِمَا أعدَّه الله من جزاء دنيوي و أخروي للعابدين الموحِّدين المتّقين لله المطيعين لرسوله.

إذًا ينبني تدخل نوح حجاجيّا كما يلي:

[1] المرجع نفسه : ج 29 ، ص191.

[2] Ducrot:dire et ne pas dire: p 204.





المقطع الحواري رقم :03 . سورة :الأعراف: من الآية 59 إلى الآية 63.

المقطع الحواري رقم:03. (نوح / قومه) .	
01:(نوح): يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ **02: (نوح):** يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣	**01:الملأ من قومه:** إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ

التّدخّل 01 : (نوح):

يتوجّه نوح بخطابِهِ إلى متلق خاصّ و مركّب في الوَقْتِ نَفْسِه (قومه) نظراً لتعدّد آلهتهم[1] ؛ إنّ المرسِل يفترض وجود مستقبلين احتماليين من مستويات مختلفة لذلك عليه مراعاة ذلك الاختلاف خاصّة و أنّ دعوى نوح تنبني على عقيدة التّوحيد إلى متلقي تتعدّد آلهته لذلك عليه أن يُنتج خطابًا يُؤثر بِهِ في هذا المتلقي.

مرّة أخرى يبدأ نوح بحجّة التّعريف من خلال تعريفِهِ بالإله الذي يَدْعُوهم لعبادته «فكان العِلم بالتوّحيد شَرطًا للعِلم بحسن العبادة »[2]﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ ثمّ ربط الفعل– عَدم استجابتهم لدَعوته – توحيد الله و عبادته – بالنّتيجة السّلبية ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ ؛ لقد انطلق نوح من المعرفة المسبقة بقومه ليؤسّس لعلاقة جديدة بينه و بين قومه ؛كونه مصطفى من رَبّه ممَّا يوجب عليهم طاعتَه والامتثال لأوامِرِهِ و نواهيه المُستمدَّة من هذا الإله الذي يدعوهم إلى توحيده ؛كما يُؤسّس لعلاقة جديدة بين قومِهِ و الإله الذي يدْعُوهم إلى توحيده وعبادته؛ إنّ هذه الدّعوى كفيلة بزعزعة سُلَّم القيّم الاجتماعية و العقائدية للمتلقي – قومه – فهو الفرد من عامّة النّاس و هم الجماعة – بما فيهم المَلأ – على اختلاف عقائِدهِم ؛الأمر الذي يؤُكّد اعتراض المتلقي على الدّعوى.

---

[1] وردَ ذلك في سورة "نوح" كانوا يعبدون الأصنام الخمسة ؛ ودّ و سواع و يغوث و يعوق و نسرا و كان حول هذه الأصنام ألف و سبعمائة صنم وكانت لهذه الأصنام بيوت من الرخام وكراسي من ذهب فيها أفخر الجواهر و كان لها خدّام يخدمونها باللّيل و النّهار و عيد معلوم في السّنة يجتمعون فيه . يُنظر: محمد بن إيّاس الحنفي القاهري : قصص الأنبياء ، الدّار العالمية للكتب و النّشر ،الجيزة ، جمهورية مصر العربية ، ص 34 و ما بعدها.

[2] الرّازي : مفاتيح الغيب ، مج 7، ص 133 .

لقد بنى نوح خطابَهُ من خلال احتواء متلقيه – قومه – بإعلان انتمائِهِ إليهم ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ و كذا خوفِه عليهم[1] من عذاب يوم عظيم إنْ لَمْ يؤمنوا بالإله الذي يدعوهم لتوحيده و عبادتِه الأمر الذي – من المفترض– أن يدفع المتلقي –انطلاقا من هذا الإعلان و الخوف– إلى التّعامل بإيجابية مع دعوى نوح .

لقد اعتمد نوح على إثبات وحدانية الله تعالى باعتبار النّفي و الإثبات المقتضي للحصر ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾«لأنّ الإثبات المجرّد قد يتطرّق إليه الاحتمال»[2]؛ ثم ربط الفعل– أي عدم توحيدهم لله الذي يدعوهم إلى عبادته – بنتائجه السّلبية ؛أي ما يترتّب عنه من عذاب أليم و هو يوم الحساب يوم يُجازى المرء عن ما فعل و هو «أقوى ما يدفع الإنسان إلى الكمال و الرُّقي في حياته الدنيا ليحوز المكانة السّامية عند الله في الدّار الآخرة» [3]؛غير أنّ هذه النّتيجة – الخوف عليهم من عذاب يوم أليم– لم يكن بالقوّة الحجاجية الكافية المؤثِّرة في المتلقّي لأنّ هذه النتّيجة التي أثارها نوح يوم الحساب أي يوم البعث– لم يكن يؤمن به المتلقي لذا فإنّ فاعلية هذه النّتيجة مرتبطة بالمتلقي ومدى استعداده لفكِّ شفرات دعوة نوح الذي يُؤسِّس لمنظومة عقائدية جديدة لهذا المتلقي الأمر الذي يُفقد هذه الحجّة فاعليتها.

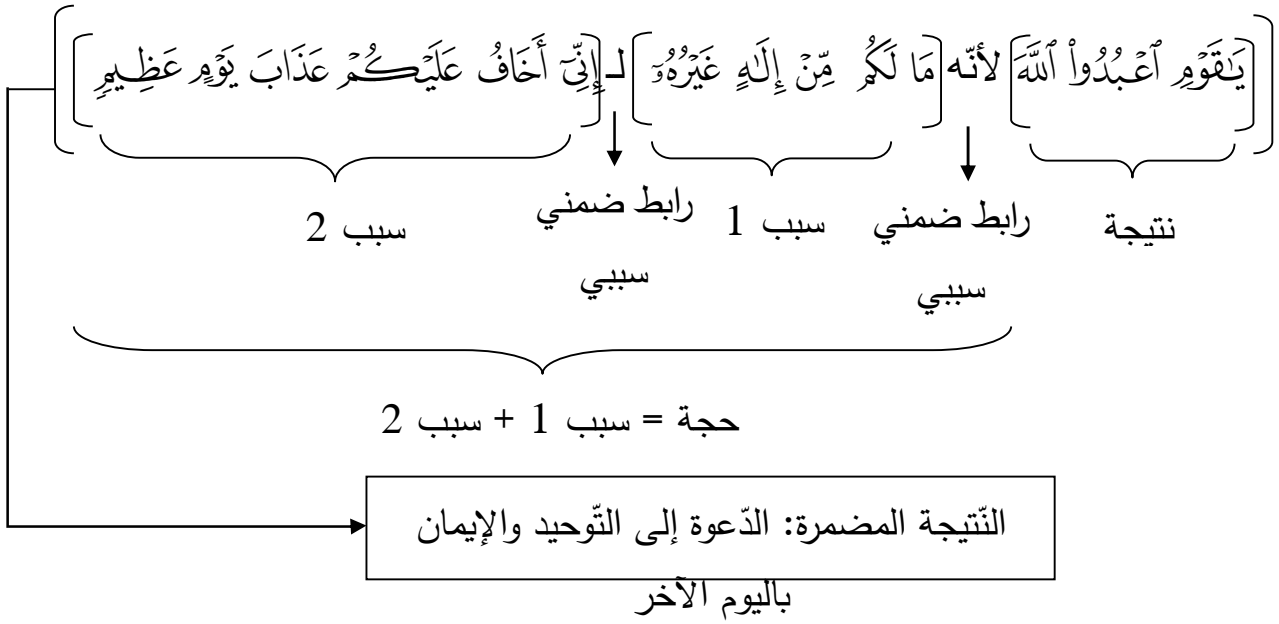
ينبني تدخل نوح حجاجيا كما يلي:

---

[1] و هذا ما يسمّى بمبدأ المشاركة الذي يعدّ أوّل خصائص التّواصل فهي التيّ تُفعِّلُ إرادة القول لدى أطراف الحوار و هي المؤطِّرة لعناصر التّفاعل بين ا ممثلي لخطاب و لولاها ما انتظم أيُّ تواصل فعّال بين عناصر التّواصل يثظر : محمّد نظيف : الحوار و خصائص التّفاعل التّواصلي ،دراسة تطبيقية في اللّسانيات التّداولية ،ص 16 ؛كما أنّ « الشّركاء في تفاعل لغوي يتقاسمون في العادة هدفا مشتركا إذا انعدم لن يكون ثمّة سبب للتوّاصل و قد لا يتمّ التّواصل على الأرجح » ينظر: فيليب بلانشيه: التّداولية من أوستن إلى غوفمان، ص 84.

[2] أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطحاوي : أصول العقيدة الطحاوية ، دار النشر للثقافة و العلوم ، ط 1 ،طنطا ، 1999 ، ص 24.

[3] محمود شلتوت : الإسلام عقيدة و شريعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط18 ، 2001 ، ص42.

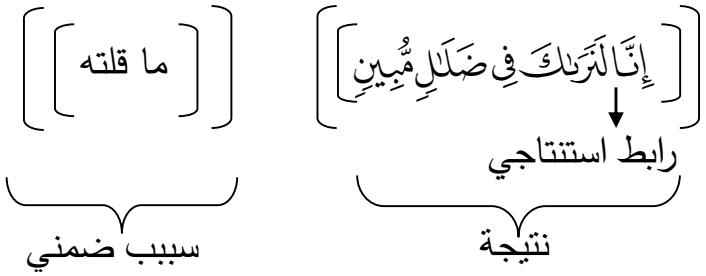


التّدخّل 01 :(الملأ من قومِهِ):

يُحدّد السّردُ المضطلعين بالرّدِ على نوح و هم الملأ من قومه كبراء القوم و سادتهم وهم الفئة التي بدأت مع بداية الرّسالات و درجت مع بقيّة الأنبياء على الكفر والتّكذيب والكيد و الاستكبار و هي محكومة بمنظومة فكرية تستندُ على تضخيم الذّات و تحقير الآخر و تعجيزه و ازدرائه و إلغائه و على مَرِّ الرّسالات كانت هي المنوطة بمحاورة الأنبياء لذا يتحدّدُ الملأ من القوم كوضع اجتماعـــي أي مـن خلال مكانتهم الاجتماعية[1] ممّا يؤكّد هيمنة الرّؤية الاجتماعية و الجماعية التي أنتجت هذا النّوع من الخطاب من خلال رؤية هؤلاء الملأ لنوح كونُه لا يملك المؤهلات و لا السّلطة التي تُخَوّلُ له أمرهم بما تقدّم ذِكْرَهُ ؛ إنّ السّلطة الجماعية ذات المكانة العالية هي التي أنتجت هذا الخطاب ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ و لا وجود للمرسل إليه – نوح – خارج هذه السّلطة لذا تأتي النّتيجة الضّمنية لتُحِيلَ إلى الربّط الضّمني بين دعوى نوح و النّتيجة المضمرة: إنّنا لا نؤمن بك لأنّ ما تقوله يؤكّد ضلالك المبين؛إذ لا يمكننا إتّباع ضال.

[1] عالية محمود صالح : البناء السّردي في روايات إلياس خوري، أزمنة للنّشر و التوّزيع،ط1 الأردن، 200 ،ص، 128.

إنّ دعوى نوح تفترض في هؤلاء المستقبلين (قومه) عند الاستماع إلى الدّعوى تشغيل كلّ كفاءاتهم من أجل الاستيعاب الإيجابي لمضامين الدّعوى غير أنّ ردّهم تضمّن مغالطة ناشئة عن تجاهل المطلوب إذ تحوّل المعترض– الملأ– من إقامة الحجّة على الدّعوى إلى الطّعن في شخص[1] نوح أي التّشكيك في معارض ما بدرجة تجعله يرفض تحمل النّتيجة التي تقتضيها المقدّمات التّي يزعم إيمانه بها ؛الأمر الذي يُنَبِئ بحوارٍ حجاجي يسعى فيه نوح إلى إثبات دعواه: أي وحدانية الله و أحقيّته بالعبادة و إلى ردّ الملأ من قومه الذي تأسّس منذ البداية على المغالطة كونه لا يعترض على الدّعوى بل على المدّعي و بالتّالي يفتقد الحوار منذ البداية لضوابط تسيرُ بالحوار قُدُمًا نحو فكّ شفرات المضمون يقول "الطّاهر بن عاشور" معلِّقا على ردّ الملأ :« إذ نفى الإلهية عن آلهتهم فهذه مخالفة أيضا و إن كان العذاب الذي توعّدهم به عذاب الآخرة فقد أخبرهم بأمر محال عندهم و هو البعث فهي مخالفة أخرى فضلاله عندهم مبين » [2] إنّ هذا التّقويم السّلبي لنوح من شأنه التّأثير في متلقيه إذا كان ينتصر لنفسه . ينبني تدخل الملأ حجاجيًا كما يلي:



[1] ينظر فيليب بروتون، جيل جوتييه : تاريخ نظريات الحجاج تر: محمد صالح ناحي الغامدي ، ص 7.

[2] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج8 ،ص 191.

التّدخّل 01 :(نوح):

يأتي تدخل نوح اعتراضًا على مضمون الدّعوى "رميَهُ بالضّلال المبين" من طرف المدّعي "الملأ من قومه".

إنّ إعلان الانتماء إلى قومه بعد أن رَمَوْهُ بالضّلال المبين يمكن أن يجعل المتلقي – قومه – يقتنع أو على الأقل يحاول فكّ شفرات دعوى نوح و بالتّالي التّعامل معها بإيجابية خاصّة و أنّ اعتراض الملأ و رميه بالضّلال المبين يمهّد لمواجهة غير متكافئة؛ فهم الجماعة و هم الملأ و هو الفرد من عامّة النّاس.

لقد التزم نوح بدفع الاعتراض بإبطال السّند – رميه بالضّلال المبين – إذ يأتي الردّ تأسيسًا على دعواهم مراعيًا في ذلك قواعد التّداول الحجاجي التي من أهمّ أسسها مناقشة القضية محلّ الحوار؛ إذ ارتقى بنفيه عن نفسه أدنى الضّلال ناهيك عن الضّلال المبين إذ « جعلوا الضّلال مُتمكّنا منه فنفى هو أن يكون الضّلال متلبس به»[1]

تلعب "لكن" دورًا مهمًّا في توجيه الخطاب و يؤكّد "عبد الله صولة " على أهميّة هذا الرّابط إذ «لا نغالي في شأنه إن قلنا إنّه مفتاح لغوي هام »[2]إذ يكون « الدّليل الذي يردّ بعد لكن يكون أقوى من الدّليل الذي يردّ قبلها و تكون له الغلبة بحيث يتمكّن من توجيه القول بمجمله »[3] حيث نفى الضّلالة عن نفسه بالإيجاب ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ليكون الاستدراك بلكن إثباتا لما بعدها أي إثبات كونه رسولاً من ربّ العالمين لتكون تلك الحجّة أقوى من اِتهامه بالضّلال المبين و هو إنسان عادي فهو يُعرِّف نفسه وفقّ الوضع الجديد.

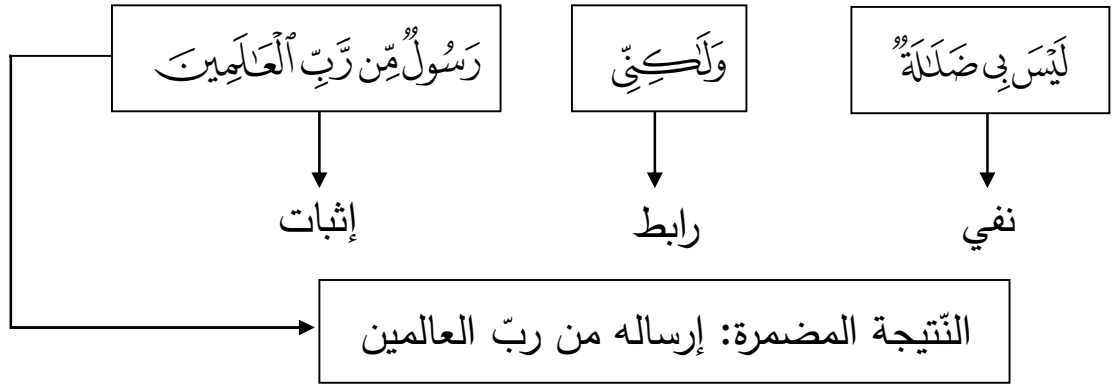
---

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج8 ، ص 182.

[2] عبد الله صولة : في نظرية الحجاج . دراسات و تطبيقات ، ص 148.

[3] أبو بكر العزّاوي: الخطاب و الحجاج ، ص 46.

إنّ نظرة متأنيّة للرّابط "لكن" المتمركز بين الحجّتين توحي بثبوت الحجّة و قوّتها إذ غاير الرّابط بالإثبات ﴿ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ بالنّفي﴿ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾ فجعل إرساله من رب العالمين حجّة قويّة بعد أن نفى عن نفسه أدنى الضّلال ليبقى المتلقى متطلّعا لمعرفة من يكون هذا الذي ليس به أدنى الضّلال ليستدرك ب "لكن" ليتبيّن أنّه الرّسول الذي اصطفاه رب العالمين لتبليغ رسالته لذا تُوجِّه "لكن " القول برمّته لتبني واقعا جديدا فتؤدّي– بذلك– وظيفة الموجِّه الإثباتي الإلزامي لذلك الواقع الجديد نبوّته بعد نفي الضّلالة عنه :



يقول نوح:

- ﴿ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ ﴾ ←

- ﴿ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ← ح 1
- ﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾ ← ح 2
- ﴿ وَأَنصَحُ لَكُمۡ ﴾ ← ح3
- ﴿ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ← ح 4

ح1+ح2+ح3+ح4

﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ :

تؤكّد الحجّة الأولى نبوّة نوح و إثبات الربوبية لله تعالى و نفيِها عمّن سواه، و يأتي ملفوظ ﴿رَسُولٌ﴾ ليوجّه القول وجهة حجاجية كون الرّسول يقتضي الطّاعة فهو « يحيلُ على معنى في المسمّى به و هو أنّه مرسلٌ و هذا المعنى له بدوره مقتضى هو وجود رسالة و مُرْسَل إليه هم البشر و مُرْسِل هو الله و هو ما يجعل متلقي الرسّالة ملزمين بوجهٍ من الوجوه بقبول هذه الرّسالة و الإيمان بصاحبها »[1]؛ لقد تضمّنت الحجّة بيانا لوظيفته الرّسالة إضافة إلى نفي الألوهية عن الآلهة التي يعبدونها و أنّ الإله الحقّ الأحقّ بالعبادة هو ﴿ رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ و" الرّب " في الأصل «التّربية و هو إنشاء الشّيء حالا فحالا إلى حدّ التّمام» [2] فهو « المربّي جميع عباده ،بالتّدبير و أصناف النّعم»[3] فهو الذي خلق العالمين جميعا لذا تأتي هذه الصّفة – ربّ العالمين– لتُبطل الضّلالة عنه من جهة و لتؤكِّد أنّ كلّ الموجودات بما فيها نوح –عليه السّلام– و قومه ضمن العالمين الذين تتأكّد ربوبية –**رَبِّ الْعَالَمِينَ**– عليهم و هو ربّ نوح الذي أرسله و الذي يدعوهم لعبادته: إذًا فالله الذي أرسله هو:

رب العالمين ⟵ الكلّ .

وأنتم من العالمين ⟵ جزء.

النّتيجة: ربي هو ربّكم.

[1] عبد الله صولة : الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية ، ص 78.

[2] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ،ص184 .

[3] سعد بن علي بن وهب القحطاني : شرح أسماء الله الحسنى على ضوء الكتاب و السّنة بتوضيح و بيان ، دار الإيمان للطّبع و النّشر و التّوزيع،الإسكندرية ،1997 ، ص169.

لقد بدأ نوح بتأكيد الربوبية لرب العالمين و هو بهذا « يفيد الإقرار بأمرين: أنّ الله مالك العالمين و أنهّ يُربيهم بما يصلح لكلّ فرد منهم و يمدُّ كلاًّ منهم بما ينفعهم»[1] لقد أرسل الله رُسلا لتبليغ رسالته و « من هنا كانت حتمية الرّسل بشرا اختارهم الله سبحانه و تعالى و أوحى إليهم بما يريده من منهــج العبادة في الأرض .و أن يبلّغ عباده كيف يتقرّبون إليه على نعمه ...و يؤدّون حقّ الألوهية »[2]؛لذا يأتي تكليف الله تعالى نبيّه منهج عبادته الذي اختاره الله تعالى لقوم نوح .

ثم تأتي الحجج الأخرى لتُعرِّف بنوح الرّسول– و وظائفه ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ؛لقد كان قوم نوح « لا يسمعون بقوم حلّ بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي»[3] و هي بذلك تشكّل أرضيةً لبناء حوار بينه و بين قومه وفق الوضع الجديد.

لقد اعتمد نوح حجّة التّعريف و التي تشكِّل مدخلا مُهمّا إلى الحجاج لأنهّا الأرضية التي ينبني عليها الحوار إذ تحُدِّد الوظائف حتىّ يعرف المتكلّم ما له و ما عليه.

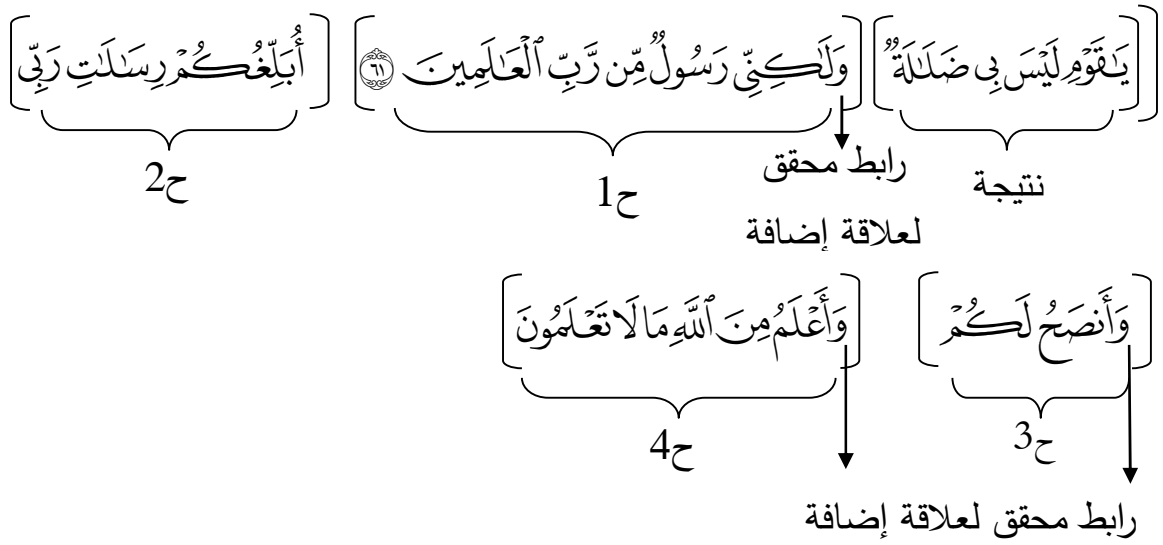
لقد استهل نوح تدخُّلَه بنفي الضّلالة عن نفسه ثم ارتقى بحجاجه درجة أي إثباته النُّبوّة لنفسه لذا جاءت "لكن " لتحيل إلى نتيجة معارضة للنتيجة التي قبلها الأمر الذي جعل الحجّة الثّانية أقوى إذ لا يمكن لأي إنسان نفي الضّلالة عن نفسه تأكيد النُبوّة لنفسه لذا تأتي لكن لتُؤكِّد نبوّته و بالتّالي ترفع عنه توهّمهم حين خالف دينهم فهو رسول من ربّ العالمين مع ما تقتضيه وظيفته الرّسالية من التبّليغ و النّصح. يمكن التّمثيل حجاجيًا لما سبق كما يلي:

---

[1] أبو الفضل عبد الله محمد الصّديق الغماري الحسني :جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة ،ص 17.

[2] محمد متولي الشّعراوي : معجزة القرآن ، ج1 ،مكتبة رحاب ، الجزائر ، ص 18.

[3] أبو السّعود بن محمد العمّادي الحنفي : تفسير أبي السّعود ،ج 5 ، ص 354.



ن = ح1+ح2+ح3+ح4

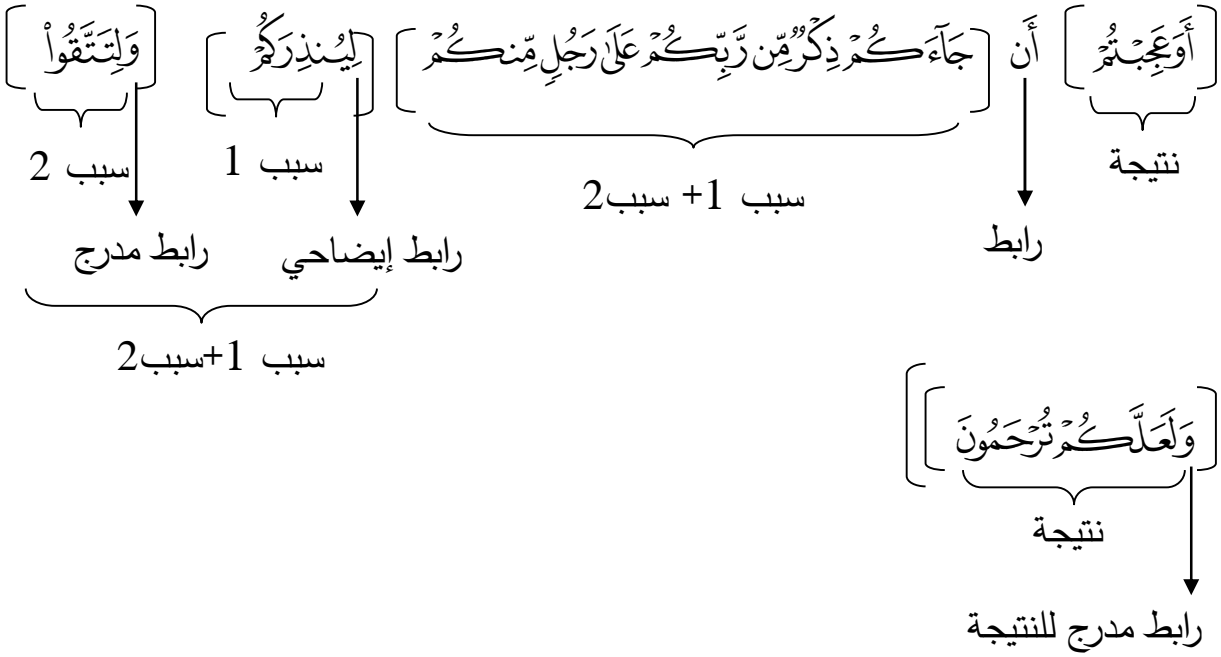
﴿أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ تأتي الحجّة الثّانية التي تُعرَّف بوظائف نوح الرِّسالية إذ وضّح العلل التي من أجلها جاء الذّكر على رجل منهم « أولاها لينذركم و ثانيتها لتتقوا و ثالثتها لعلكم ترحمون و هو ترتيب حسن بالغ موقعه من الإجادة و الحسن »[1] يقول"الرّازي": معلقًّا على هذا التّدرج فهو :« في غاية الحسن فإنّ المقصود من البعثة الإنذار والمقصود من الإنذار التّقوى على كلّ مالا ينبغي و المقصود من التّقوى الفوز بالرّحمة في الآخرة»[2] لقد« رتّب الجمل على ترتيب حصول مضمونها في الوجود فإنّ الإنـــذار مقدّم لأنّه حـمل عـــلى

[1] محي الدّين الدّرويش : إعراب القرآن الكريم و بيانه ، مج3 ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ،حمص ، سوريا.دار بن كثير للطّباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ، سوريا ، دار اليمامة للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، دمشق سوريا ، ط3 ، 1995، ص 375 .

[2] الرّازي : مفاتيح الغيب ، مج7، ص 136.

الإقلاع عمّا هم عليه من الشرّك أو الوثنية ثم يحصل بعدها العمل الصّلح فترجى منه الرّحمة »[1].

يمكن التّمثيل حجاجيا لما سبق كما يلي :



المقطع الحواري رقم :04. سورة : يونس : الآيتان: 72/71.

المقطع الحواري رقم: 04 (نوح/ قومه) .	
01:(نوح): يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾	

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التنّوير، ج8 ، القسم الثّاني ص 196.

التّدخل 01 : (نوح):

ترصد سورة "يونس" مشهدًا آخر من مشاهد المواجهة بين نوح و قومه يقول "الطّاهر بن عاشور" معلّقًا على هذا الموقف :« هو أعظم موقف وقفه نوح مع قومه و كان هو الموقف الفاصل الذي أعقبه العذاب بالغرق »[1].

مرّة أخرى ينطلق نوح من المعرفة المشتركة بينه و بين قومه ليكون تدخّله حجّةً عملية لما يدعوهم إليه فيكون توكّله على الله ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ القيمة الإيمانية المهيمنة لأنّه يمارسها على مستوى الواقع؛﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ يقول "الطّاهر بن عاشور":« و الفاء في (فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ) للتّفريع على جملة (فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) فللجملة المفرعة حكم جواب الشّرط لأنّها مفرعة على جملة الجواب »[2]؛ إنّ هذا البناء الاستدلالي – يُؤكِّد هيمنة قيمة إيمانية كان قد أكّدها صراحة – و هي توكُّلُهُ على الله– عبر مسيرته الدّعوية المضنية:

ن: ﴿ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾

- ﴿. وَلَا تُنظِرُونِ﴾

- ﴿. غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾

- ﴿ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾

- ﴿ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التنّوير، ج 11، ص 235.

[2] المرجع نفسه ، ج11، ص 238.

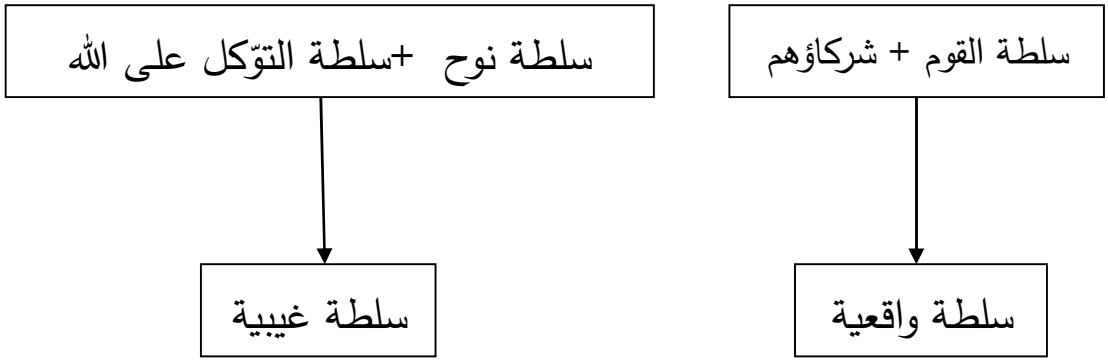
يقول صاحب "التّحرير و التّنوير" معلّقًا على هذا البناء الحجاجي: « فإنّ رتبة إنفاذ الرّأي بما يزعمون عليه من أداة أقوى من تدبير ذلك و من رتبة الإجماع عليه فهو ارتقاء من الشّيء إلى الأعلى منه فعطف بـ "ثم" التي تفيدُ التّراخي في الرُّتبة في عطفها الجمل »[1] ؛ ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ أي إن أعرضتم عن دعوتي فما أخذت أجرًا مقابل ذلك ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فالأجر يطلبه من صاحب العمل؛ إنّ هذه الحجّة تؤكّد انسجام دعوته فقد وعد منذ بداية دعوته لهم عدم أخذ أجر مقابل ذلك لأنّ أجره على الله و ها هو رغم طول مكوثه بينهم – و هو يدعوهم إلى عقيدة التّوحيد مع ما يتكبّده منهم و هم يعلمون ذلك – يؤكّد التزامه بما وعد؛ إنّه ينطلق من معرفة مشتركة بينه و بين قومه ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ يقول "الرّازي": «مأمورٌ بالاستسلام لكلّ ما يصل إلي لأجل هذه الدّعوة و هذا الوجه أليَقُ بهذا الوضع»[2] و يعلّق صاحب "الدّرر": « و الحاصل أنّه لم يكن بدعائه إياهم في موضع تهمة لا يسألهم غرضًا دنيويًا يزيده إن قبلوا و لا ينقصه إن أدبروا و لا أتى بشيء من عند نفسه ليظنّ أنّه أخطأ فيه و لا يسلَك مسلكًا يظنّ به استعادته إياهم في إتباعه بل أعْلَمَهُم أنّه أوّل مؤتمِر به مستسلِم لما دعاهم إليه و لكلّ ما يصيبه في الله »[3]

ينتج عن هذا التّدخل سلطتان:

[1] المرجع نفسه، ص 240.

[2] الرّازي: مفاتيح الغيب ، مج 5، ص 118.

[3] البقاعي: نظم الدّرر، ج9، ص 165.



- سلطة الملأ الذين كفروا من قومه و شركاؤهم و هي سلطة جماعية، مادية، واقعية.
- سلطة يؤمن بها نوح و هي سلطة فردية، غيبية يستندُ عليها نوح و يتوكّل عليها وهي قيمة مضافة إلى نوح و الفئة المستضعفة التي آمنت بدعوته كما أنهّا تنفصل عن المنافع الدّنيوية التي يُرسِّخها قومُه، يقول صاحب "المفاتيح": « بيّن نوح أنّه لا يخاف منهم بوجهٍ من الوجوه و ذلك لأنّ الخوف إنمّا يحصل بأحد الشّيئين: إمّا بإيصال الشّر أو قطع المنافع فبيّن فيما تقدّم أنّه لا يخاف شرّهم و بيّن بهذه الآية أنّه لا يخاف منهم بسبب أن يقطعوا عنه خيرًا لأنّه ما أخذ منهم شيئًا فكان يخاف أن يقطعوا عنه خيرًا»[1]؛ إن نوحًا ينُجز واقعا مغايرًا لواقع قومه و يبني بالفعل قبل القول واقعًا جديدًا من القيم أساسُه التوكّل على الله الذي يعبُدُه و الذي يدعوهم لتوحيده و عبادته.

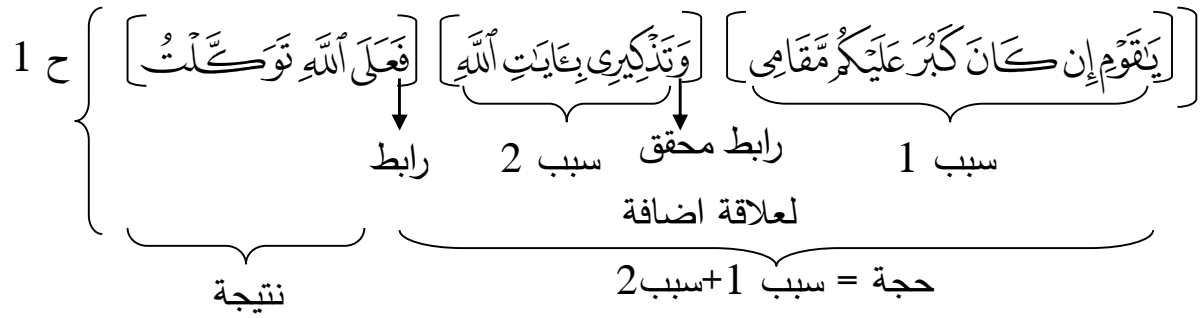
لقد انطلق نوح من الواقع و قد ارتقى ليصل إلى أقصى درجات الصّدق نتيجة مطابقة الفعل القول و كذا مُضِيّهِ في دعوتِهِ، يقول صاحب "المنار" مُعلِّ قا على هذه الآية : « هذه الآية من أبلغ آيات القرآن عبارة و أجمعها على إيجازها للمعاني من علم النّفس و درجة إيمان الأنبياء المرسلين و ثقتهم بالله عزّ و جلّ و شجاعتـــهم و احـتقارهم

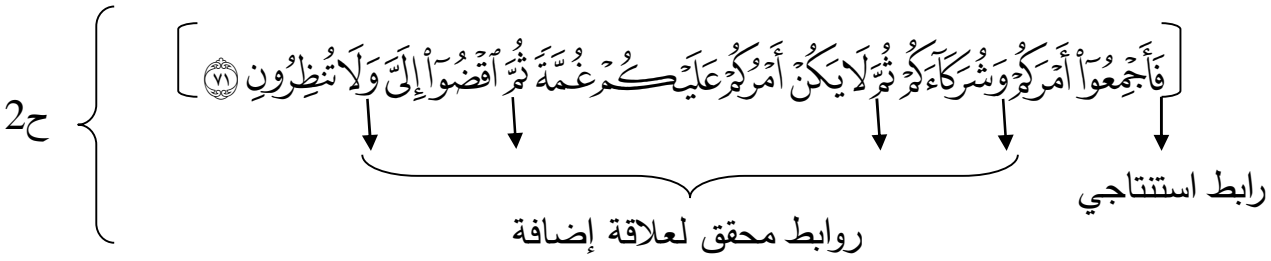
[1] الرّازي: مفاتيح الغيب ، مج 4، ص ،118.

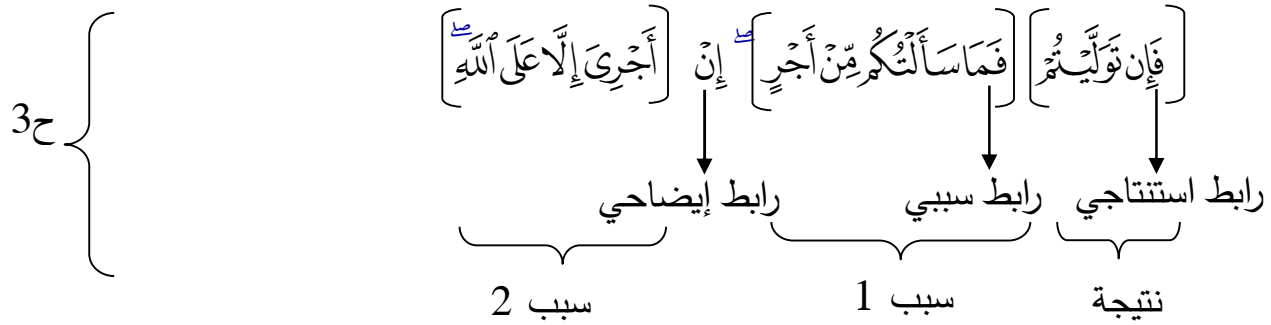
لكلّ ما في الحياة من أسباب الخوف من غيره و الرّجاء فيما سواه و بيان خاتمتهم لسنّته تعالى فيهم و في أقوامهم و حسن وعظه لهم بوحي ربّه تعالى »[1].

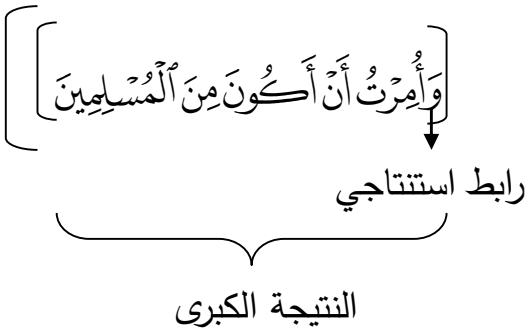
لقد جرّد نوح من نفسه ذاتا ثانية نزّلها منزلة المعترض عن دعواه كأنّه هو أوّل متلقي للدّعوى إذ بنى احتمالات التّلقي و إمكانات تقبُّلِها و مدى اقتناع المتلقي بها وبالتّالي فهو يقوم بإقامة حوار بينه و بين نفسه مراعيا كلّ مستلزمات العملية التّواصلية؛ ينبني التدخل حجاجيا كما يلي:

[1]محمد رشيد رضا:: تفسير القرآن الحكيم (الشّهير بتفسير المنار)، مج11،دار المعرفة للطّباعة والنّشر، بيروت، لبنان ،ص 460.


ح 1
يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي
وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ
سبب 1
سبب 2
رابط محقق
رابط
لعلاقة اضافة
حجة = سبب 1+سبب2
نتيجة


ح2
فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١
رابط استنتاجي
روابط محقق لعلاقة إضافة


ح3
فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ
فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ
إِنۡ
أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ
رابط استنتاجي
رابط سببي
رابط إيضاحي
نتيجة
سبب 1
سبب 2


وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ
رابط استنتاجي
النتيجة الكبرى

المقطع الحواري رقم: 05. سورة: هود : من الآية 25 إلى الآية 34.

المقطع الحواري رقم :05. (نوح / قومه).	
01 (نوح): إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ **02 (نوح) :** يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ **03(نوح):** إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾	**01 (الملأ الذين كفروا من قومه) :** مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ **02:(الملأ الذين كفروا من قومه):** يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾

التّدخّل 01 (نوح):

تحوي سورة "هود" أطول المشاهد الحوارية كما أنهّا تحوي كلّ مراحل الدّعوة إذا اعتبرنا الخطاب المسرود ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ يمثل مرحلة التكّليف.

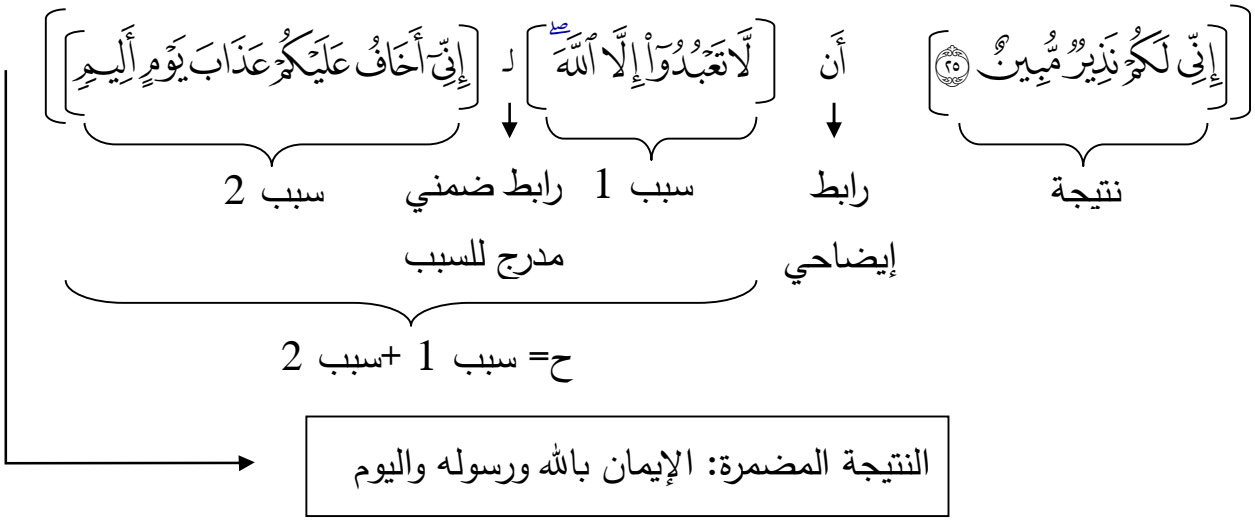
يبدأ نوح بعرض دعواه إذ يضع أرضية للحوار مع قومه معتمدًا حجّة التّعريف ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ حتّى يتسنّى للمتلقي التّعامل معه وفق هذا الوضع الجديد فهو نذيرٌ للمُكذِّبين لما أعدّ الله لهم من عذاب و ما أعدّ للمصدّقين المؤمنين بدعوته من نعيم ؛ تُعَد هذه الحجّة التي بنى عليها نوح تدخُله منطلق دعوتِه كون التّصديق بنبوّتِه سيُحِيلُ حتمًا إلى التّصديق بمضمون دعوته ؛ يلي ذلك ربط الفعل بنتائجه ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ فعدم عبادتهم لله الواحد ستكون نتيجتها عذاب أليم؛ لذا يدلُّ لفظ "الله "« على القهر و الهيبة »[1] أي قدرته تعالى على إنزال العقاب بالمكذّبين.

لقد بدأ نوح بعرض دعواه معتقدًا صدق ما يدعو إليه و سعى إلى حمل المتلقي على تصديق دعواه، إنّ نوحا – بإعلانه خوفِه عليهم– يحيلُ إلى إمكانية تكذيبه من طرف قومه ممّا يعني انطلاقه من المعرفة المشتركة التي تربطُه بهم لذا سيعتمد على إثبات دعواه –عبادة الله المشروطة بوحدانيته– بالأدلّة عبر مسار دعوته لهم.

لقد بنى نوح تدخُّله بناءً محكمًا حيث حدّد ماهيته كونه مرسلً من ربِّه و حدّد وظيفتيه: ﴿ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ ثم عرض فحوى رسالته: عبادة الله المشروطة بوحدانيته و ربطها بنتيجتها السّلبية وفق علاقة اقتضاء ؛ فعدم الإيمان بوحدانية الله تستلزم العذاب الأليم.

ينبني تدخل نوح وفق البنية التّالية:

[1] السّيّد أحمد عبد الغفّار: النّص القرآني و ضرورة التّفسير، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 2003 ،ص 168.



إنّ هذه البنية تحيلُ على بنية مضمرة هي كما يلي:

- التّصديق بنبوته ح1.
- إيمان نوح بوحدانية الله و عبادته ح2.
- الخوف من يوم الحساب ح 3.

فكلّ هذه الحجج تؤكّد ركائز الإيمان التي أقرتها كلّ الرّسالات: الإيمان بالله و رسله و اليوم الآخر؛ يمثِّل هذا التّدخل نموذجًا لمبدأ "التّعاون" الذي أقره "غرايس" فهو لم يُطنِب إنمّا عرض دعواه بقدر حاجة المتلقي – قومه – و السّياق الذي هو فيه فهو في سياق عرض الدّعوة لذا حدّد ماهيته التي وِفقها يتعاملُ مع قومه ثم عرض دعواه و بيّن الضّرر النّاجم عن اعتراضهم عن دعواه ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾تخويفا لهم حتّى يؤمنوا و هو من جهة أخرى يعتقدُ صدق دعواه دليل ذلك إيمانه بما يدعوهم إليه حيث صدّق فِعلُه قَولَه و سيتحمّل هو – اعتمادا على وظيفته الرّسالية– عبء إثبات وحدانية الله التي من أولها قدرته على إنزال العذاب الأليم بالمكذِّبين.

التّدخّل 01 (الملأ من قومه) :

يأتي ردّ الملأ من قومه خرقا لقواعد التّخاطب من خلال تحويل مسار الحوار حول مضمون الدّعوى "الدّعوة إلى عبادة الله و توحيده" إلى الطّعن في شخص نوح و الذين آمنوا بدعوته.

التّوجيه بـ" ما نرى":

يأتي هذا الفعل ليُقيّم نوحا و الذين آمنوا بدعوته لينفي تفضّلهم ،الأمر الذي يؤكّد هيمنة قيّم اجتماعية تُقيّم الأشخاص حسب المكانة الاجتماعية.

لقد بنى الملأ الذين كفروا من قومه قولهم بناءً استدلاليا مستندين على مجموعة من الحجج تنطلق من مقدّمات يؤمن بها القوم.

﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾:

استهل الملأ الذين كفروا قولهم معتمدين حجّة التّعريف بالمقارنة « تعريف الشّيء بقرينه أو تمييزه عن الأشياء الأخرى المحيطة به عن طريق اختيار قرين له بسيط معروف جيدا »[1] ويتمثّل هذا القرين في (بشر مثلنا) كون (نوح / الملأ من قومه) ينتميان إلى نظام واحد "بشر" فكونه بشر مثلهم لا يتفضّل عليهم في شيء فبشريته تنفي نبوّته لأنّه أخرج نفسه من أن يكون بشرا كونه ادّعى النبوّة ؛غير أنّ "مثلنا" توجّه القول برمّته توجيها حجاجيا لتُحيل ضمنيا أنهّم – و هم البشر مثله– أحقّ بالنبّوة منه بدليل قولهم بعد ذلك ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ ﴾ لأنّهم يتفضّلون عنه كونهم عليّة القوم؛ لقد ماثل الملأ بينهم و بين نوح كونهما بشر و الحال أنّنا لو دقّقنا في هذه المماثلة لانتهينا إلى فروق عديدة ؛إنّ هذه المقارنة مغالِطة في الأساس كونها لا تُحدّد عناصر المقارنة

[1] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص 147.

التي يمكن أن تميّز نوحا عن قومه– الملأ– و التي أدّت إلى اصطفائه لأداء الرّسالة دون قومه ؛ إنّ هذا القول مقنع في ظاهره كونه يحتكم إلى مبدأ منطقي هو التّبادلية أي « معاملة طرفين متماثلين المعاملة ذاتها و لكن يكفي أن يشكِّك المرء في هذا التّماثل لتنهار الحجّة »[1] و هذا ما سيعتمده نوح في ردّه عن دعواهم فهو لم ينف مماثلته لهم في البشرية لكنّه يختلف عنهم في كونه مصطفى لأداء الرّسالة و الله أعلم حيث يضع رسالاته.

إنّ قضية بشرية الرّسول قضيّة حتمية فرسالة الله منهج حياة لابدّ أن تطبّق أمام النّاس حتّى يتبعوه و إذا رأيت منهجا يتحمّل صاحبُه المشقّة من أجله –دون أن يتميّز عن متّبعيه– فاعلم انّه منهج حـقّ[2] ؛ لقد أرسل الله رُسلا لتبليغ رسالته و « من هنا كانت حتمية الرّسل بشرا اختارهم الله سبحانه و تعالى و أوحى إليهم بما يريده من منهج العبادة في الأرض ...و أن يبلّغ عباده كيف يتقرّبون إليه على نعمه ...و يؤدّون حقّ الألوهية »[3]؛لذا يأتي تكليف الله تعالى نبيّه منهج عبادته الذي اختاره الله تعالى لقوم نوح.

﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾:

تأتي الحجّة الثّانية تعليلا لعدم تفضُّل نوح ؛إيمان أراذل القوم دون روية وتدبّر يقول "السّيد قطب" معلِّقا على استجابة هؤلاء المستضعفين لدعوة الأنبياء حيث : « تكون استجابتهم على مرّ العصور لدعوة الأنبياء سريعة لأنّ فطرتهم لم يفسدها البطر و التّرف و لم تُعوِّقها المصالح و المظاهر عن الاستجابة و لأنهّم لا يخافون في العقيدة في الله أن

[1] سامية الدّريدي: الحجاج في الشّعر العربي (بنيته و أساليبه)، ص 202.

[2] ينظر : محمد متولي الشّعراوي : معجزة القرآن ،ج01 ، ص 50.

[3] المرجع نفسه ، ص 18.

تُضيّع عليهم المكانة »[1] لذا اعتمد الملأ من القوم الحجّة السبّبية حيث جعلوا سبب عدم تفضُّل نوح و عدم صدق نبوّته إيمان الأراذل به دون رويّة و تدبّر لذا تبدو هذه الحجّة أكثر إقناعا كونها تنطلق من الواقع لذا فهي كفيلة بأن تؤثّر في المتلقي– قومه–.

لقد لعبت الصّفة "أراذل" دورا حجاجيا حيث وجّهت القول إذ يحمل هذا الانتقاء تقويما سلبيا للمؤمنين بدعوة نوح خاصّة إذا ارتبط موقعهم الاجتماعي المتدني بسرعة استجابتهم لدعوته أي دون روية و تدبّر إنّ « التّشكيك في المعارض بسبب عدم التّماسك المفترض بين موقفه المعلن و بعض السّمات في شخصه أو بيئته»[2] يشكّل أحد المغالطات التي اعتمدها الملأ لنفي عدم تفضُّل نوح و بالتّالي نفي اصطفائه و هذا التّشكيك في– بشريته و إيمان الأراذل بدعوته– إنّما كان « عندما تغيب العلل الحقيقية أو اللّجوء إلى الأسباب البعيدة التي تُفسِّر على الأقل و بصورة مباشرة ما تنوي تعليله »[3] كما أنّ هذا الحجاج غير صحيح من وجهة نظر استنباطية فإذا كان المؤمنون بدعوة نوح من الأراذل أمرا مقبولا و يمكن تلمُسَه و رؤيته على مستوى الواقع ؛فإنّ إيمانهم جميعا دون روية و تدبّر لا يمكن الجزم به إذ هناك إمكانية إيمان بعضهم عن روية و تدبّر أي عن اقتناع و هذا المتوقع قد أُبعِد من الاستنتاج و تلك مغالطة.

﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾:

مرّة أخرى ينطلق الملأ من القوم من المقارنة من خلال إثبات التّعارض لإثبات التّفضل و بالتّالي أحقيّتهم بالنّبوّة و نفيها عن نوح ؛ إنّ موطن المغالطة هنا « الخلط بين أنواع مختلفة من المجاميع»[4] نوح و الأراذل و من جهة أخرى فإنّ البشريــة لا تعنــي

[1] سيد قطب : الّظلال ،ج7 ، ص 187.

[2] فيليب بروتون و جيل جوتيه : تاريخ نظريات الحجاج ،تر: محمد صالح ناجي الغامدي ، ص ، ص 80 ،81.

[3] الباهي حسان : الحوار و منهجية التّفكير النّقدي ، إفريقيا الشّرق ، المغرب ، 2004، .ص 180.

[4] المرجع نفسه ، ص 186.

التّماثل التّام بينه و بينهم فتلك أيضا مغالطة« فمتى اتفق عنصران في صفة أو أوصاف معيّنة عمد المغالط إلى تعميم الحكم ليُوهِم المخاطب بأنهّما يتّفقان في أوصاف أخرى »[1] فالاتفاق في البشرية لا يعني الاتفاق في كلّ شيء.

إنّ هذا الاستدلال الذي ينطلق من الواقع يظلُ رأيا خاصّا كونه يؤسّس لرؤية طرف في المجتمع الذي يرى التّفضُّل المادي مقياسا للتّفضّل و من جهة ثانية يؤكّدُ مبدأ أساسيا من مبادئ السّلامة المنطقية و هو التّناقض ففي الحجّة الأولى نفى الملأ نبوّة نوح لأنّه بشرا و في الحجّة الثّانية يقرون تفضّلهم ليثبتوا – و هم البشر– أحقيتهم بالنّبوّة.

﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾:

« بل حرف إضراب ...ثم تارة يكون معنى الإضراب الإبطال لما قبلها ...و تارة يكون معناه الانتقال **من** غرض إلى آخر »[2] أي إبطال ما قبلها و « الحجّة التي ترد بعد "بل" تكون أقوى من الحجج التي ترد قبلها بحيث توجّه القول أو الخطاب بمجمله »[3] لذا يأتي الرّبط هنا بين أجزاء دعوى الملأ لتتأكّد أنّ قيمة الرّابط «لا تكمن في الرّابط لكنّها كامنة في العلاقات التي تربطه بملفوظات أخرى تعمل على جعله مقبولا »[4] و هي– بل– بهذا لم تبطل ما سبق بل تؤكّده و تُوجّهه إذ تقيم علاقة حجاجية مركّبة من علاقتين حجاجيتين ترتبطان بالنّتيجة إذّ يصوّر الإضراب الانتقالي – أي الانتقال من غرض إلى غرض مع عدم إبطال الكلام الأوّل– الدّلالة الحجاجية لأنّه ينتقل من حجّة إلى حجّة أقوى لذا أسهمت "بل" في تحقيق نوع من التّواصل من خلال إشراك المـتلقي باستثـارة ردّ

[1] المرجع نفسه ، ص186.

[2] جلال الدّين عبد الرّحمن السّيوطي: الإتقان في علوم القرآن،ج1 ، دار بن كثير للطّباعة و النّشر و التوّزيع ، بيروت ،ط5، 2006، ص 505.

[3] أبو بكر العزاوي: الخطاب و الحجاج، ص،ص 23، 24.

[4] عبد السّلام عشير : عندما نتواصل نغيّر ، ص 82 .

فعله حول إثبات أو نفي التّكذيب و قد تأكّد هذا الإشراك من خـــلال الفعل "نظنّكم" كما عزّز هذا الرّابط الدّلالة الحجاجية لهذا التّكذيب لما تضمّنته الجمل السّابقة من ادعاء نوح للنبوّة و إيمان الأراذل بدعوته دون رويّة و تدبّر إذ يفضي هذا المسار الحجاجي إلى التّكذيب فالرّابط – بل– لم يبطل ما قبله و لكن أكّده أو بالأحرى وسمه أي أعطى له مسمّى – بل نظنّكم كاذبين– يقول صاحب "المنار" عن حجاجية تأخير هذه الحجّة :« و هذا هو المرجّح الأقوى لردِّ الدّعوة و قد أخّروه في الذّكر لأنهّم لو قدّموه لما بقي لذكر تلك العلل الأخرى وجه »[1].

لقد عمد الملأ إلى استمالة المتلقي و محاولة إقناعه انطلاقا من الواقع بتكذيب نوح و المؤمنين بدعوته بحجّة تحوي الفعل "ظن" و الظّن « يفيد في الخبر الرجحان و اليقين و الغالب كونها للرجحان» [2]و « يقال شكٌ و يقين إلاّ أنّه ليس يقين عيان بل يقين تدبر»[3] لينتقل تأكيد الظّن و تقويته ليصير يقينا أو نفيه و إضعافه ليصير وهما[4] إلى نوح و المؤمنين بدعوته ؛إنّ هذا الحكم – بل نظنكم كاذبين– ليس قطعيا أو مُلزما حتىّ لا يقع الملأ في صراع مع المتلقي –نوح – و المؤمنين بدعوته– لذا تُخفِّفُ "بل" من حدّة الخطاب إلى أن يثبُتَ العكس؛ إنّ موطن المغالطة هنا تكذيب نوح – عليه السّلام– والمؤمنين بدعوته فكانت المغالطة حين الجمع بينهما إذ سعى الملأ إلى « تضليل المخاطب لينتج بأنّ الخاصّية التي تتمتّع بها فئة ما أو مجموعة ما تتمتّع بها كلّ عناصرها»[5].

---

[1] محمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مج 12 ، ص 62.

[2] إميل بديع يعقوب : معجم الإملاء و الإعراب ، ص 267.

[3] حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النّقدي ، ص 64.

[4] يُنظر: المرجع نفسه ، ص 65.

[5] المرجع نفسه ، ص 186 .

لقد رفع الرّابط "بل" من قيمة الدّخول في صراع مع المتلقي بفعل الإضراب الانتقالي الذي أحال على إمكانية كذبهم الذي سيحاولون نفيه فيما بعد.

لقد بنى الملأ قولهم وفق السّلم الحجاجي التّالي:

ن إنكار نبوة نوح.

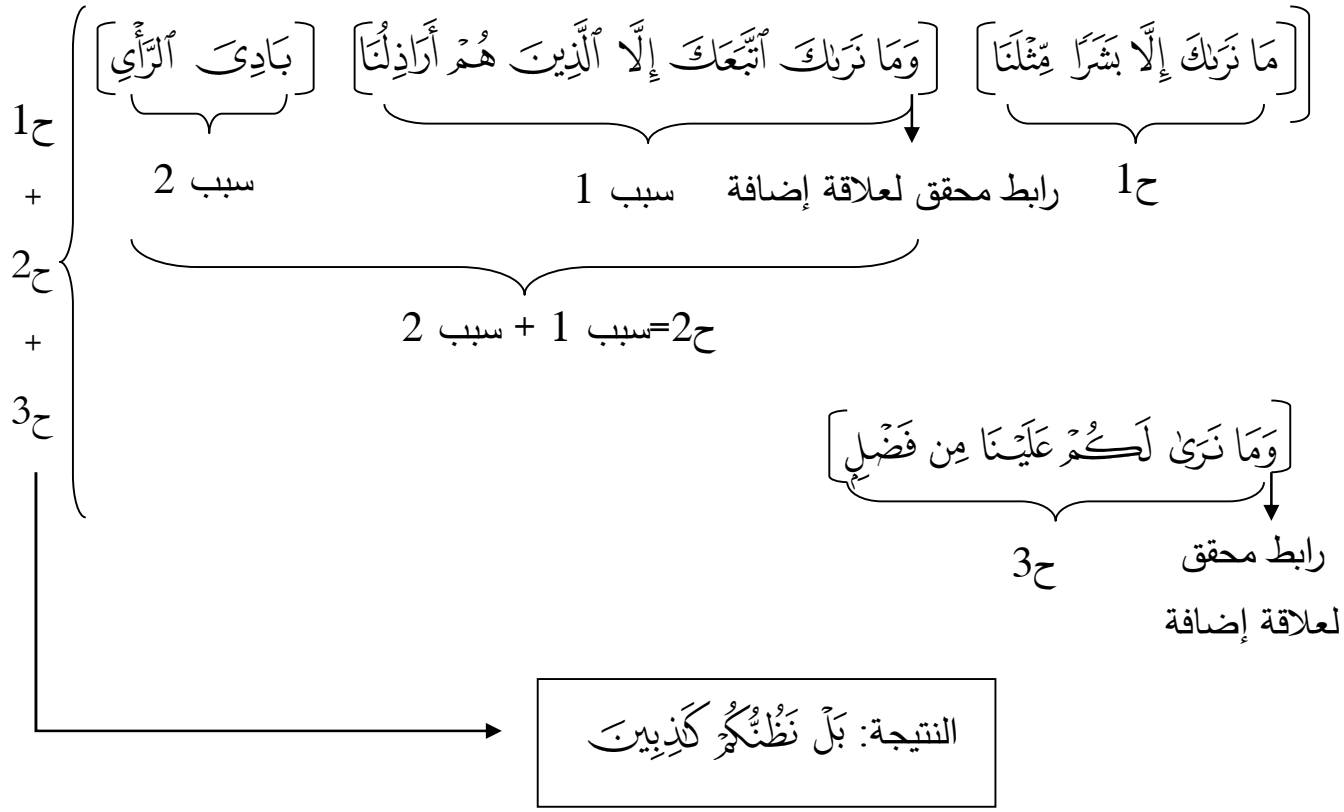
- ﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴾

- ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾

- ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾

-﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾

ينبني تدخُّل الملأ حجاجيا كما يلي:



التّدخّل 02 (نوح):

يأتي ردّ نوح اعتراضًا – منعًا مسندًا– عن قضية مستلزمة عن دعوى المدّعي – الملأ الذين كفروا من قومه – إذ يبدأ بنداء « لاستدراج المخاطب و التّلطّف في استمالته بالتّحبّب إليه فيناديه المتكلّم نداء المشفق المتودّد » [1] ثمّ سعى إلى إبطال السّند – على الحجج المدلّلة– ببيان مواطن الاعتراض فيها من خلال اعتماده حجّة المعارضة بالقلب (ما نرى/ أرأيتم) ﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ مضمون الحجّة أنّه إذا كنتُ ذا برهانٍ واضحٍ بيّنٍ واصطفاني الله بالرّسالة من عنده فلم تروها لحائلٍ حَالَ دون رؤيتكم لها فهل أَلْزِمُكُم أنا ومن اتبعني بها و أنتم لها كارهون ؟؟ لقد اعتمد نوح – عليه السّلام – على شدّ قومه بتكرار لفظ يا قومي بتكراره مع بداية كلّ حجّة .

إنّ تشكيك نوح في التّماثل بينه و بينهم كفيلُ بانهيار الحجّة ؛ إنّه لا ينفي تماثله في البشرية معهم لكنّه يختلف عنهم في تكريم الله له بالرّسالة إنّ النّتيجة الضّمنية: أنّ نبوّته واضحة و تفضُّلَه عنهم واضح لكنّه لا يُكرههم على إتباعه و الإيمان بدعوته ؛ إنّ الهدف من دعوته ليس الإكراه و الغلبة إنّما الاقتناع و تلك سبيل كلّ الأنبياء ممّا يؤكّد أنّ مصدر الرّسالات واحد .

[1] عزّ الدّين السّيد : التّكرير بين المثير و التأثير ،عالم الكتب ،ط2 ، 1986 ، ص 191.

إنّ هذه العقيدة التي رسّخها الخطاب القرآني على مرّ الرّسالات تُعتبر الأساس الذي أرست عليه الدّراســات الحديثة قواعـد التّواصــل[1] بدءًا من "غرايس" و"لاكوف" ووصولا إلى "ليفنسون" إذ تنبني على التّأدب في الحوار دون طعن أو تجريح أو إكراه أو إلزام ؛إنّ دعوة نوح لا تكتسب « لا صبغة الإكراه و لا تدرج على منهج القمع و إنمّا تتّبِعُ في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوّعة تجرُّ الغير جرًا إلى الاقتناع برأي المحاور»[2] إنّ نوحًا يُؤسِّس أرضية للحوار مع الآخر أساسها (لا إكراه في الدّين) ليكون كلّ ما بعدها تحصيل حاصل لأنّه يُعطي الآخر حقّه في التّعبير و الاعتراض و يعترف بوجوده لتكون الحجج التي تلي تلك الأرضية قضايا جزئية يُكمِّل بعضها بعضًا لتُشكِّل في مجملها دعوة نوح .

يقول نوح لقومه:

- وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ← ح 1.
- وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ← ح 2.

النتيجة: وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ .

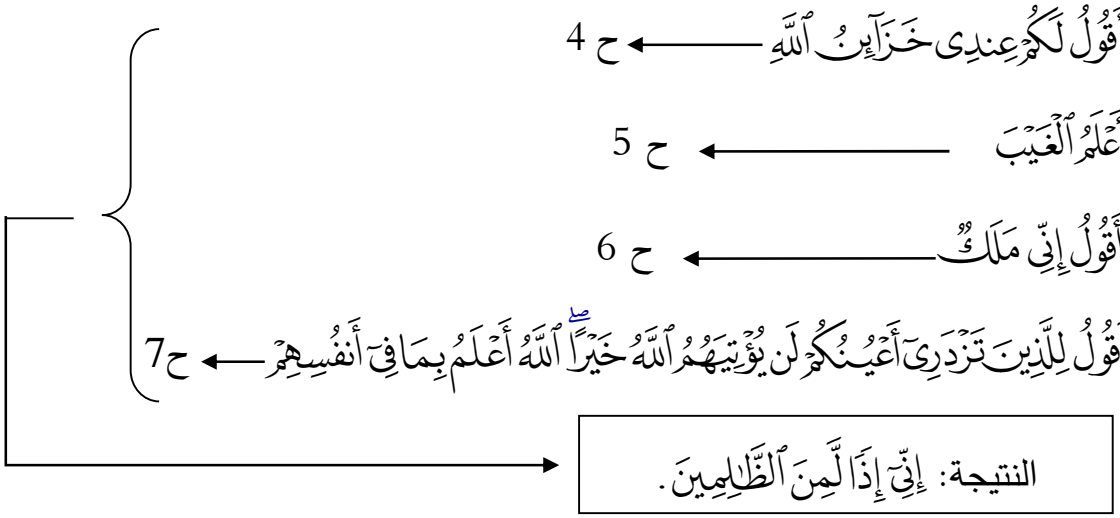
وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ← ح 3

النتيجة: أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

[1] أقرّت " لاكوف" في مؤلفها "كن واضحا كن مؤدبا"قاعدتين متلازمتين يتحكم فيهما سياق التلفظ :كن واضحا كن مؤدبا ،إذ وضعت ثلاث قواعد لمبدأ التأدب سمتها قواعد تهذيب الخطاب وهي : قاعدة التعفف: لا تفرض نفسك على المرسل أي تجنب الإلحاح أو الإكراه المرسل على فعل ما و يتحقق ذلك من خلال استعمال الخطاب الذي يبقي على البعد بين طرفي الخطاب. قاعدة التخيير : لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه و دع خياراته مفتوحة وتتمثل هذه القاعدة في اتخاذ القرارات المناسبة أو التلفظ بأساليب الشك عند المرسل بدلا من أساليب الجزم.

قاعدة التودد: أي لتظهر للمرسل إليه الود أي كن صديقا إذ من خلال ذلك يشعر المرسل إليه بالتساوي مع المرسل . ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب ، ص99.

[2] طه عبد الرحمن: في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 33 .



تُمثِّل هذه الحجج قضايا جزئية تشكِّل بعض معالم دعوة نوح إذ ينشئ عقدًا مع قومه من خلال ردّه على دعواهم كونه بشرًا مثلهم اِتبعه الأرذلون كما يجيب على بعض دعواهم كطلبهم إياه طرد المؤمنين بدعوته و ازدرائهم إيّاهم و كذا بعض القيم المهيمنة كون الرّسول لا يكون إلاّ ملكًا أمينًا على خزائن الله و يعلم الغيب.

لقد اعتمد نوح على النّفي « في المواجهة الإقناعية لقلب اعتقاد الخصم و القطع مع ادعائه » [1] بل إنّه أبطل الدّعوى و أقرّ أخرى ؛إنّ طاقة ردّه الإقناعية « تتدخّل لكشف التّوهم و المغالطة و منازعة الخصم أطروحته أو فتح ثغرات في البناء الإقناعي الذي يستند إليه » [2] إنّ نوحًا و هو يدفع عن نفسه طرد المؤمنين بدعوته يكون قد أنشأ مفارقة بين مبدأ أو فكرة و نتائجها « العملية أي متى ما أراد المتكلِّم دفع مبدأ معيّن أنشأ مفارقة بينه و بين نتائجه السّلبية إن طُبِّق و أضحى واقعا »[3] لذا يُبرِّر عدم طرده للمؤمنين بدعوته بما يترتّب عن ذلك من نتائج.

[1] عبد اللّطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات الاختلاف،الجزائر، منشورات ،ضفاف ،ط1، بيروت ، لبنان ، 2013،ص 224

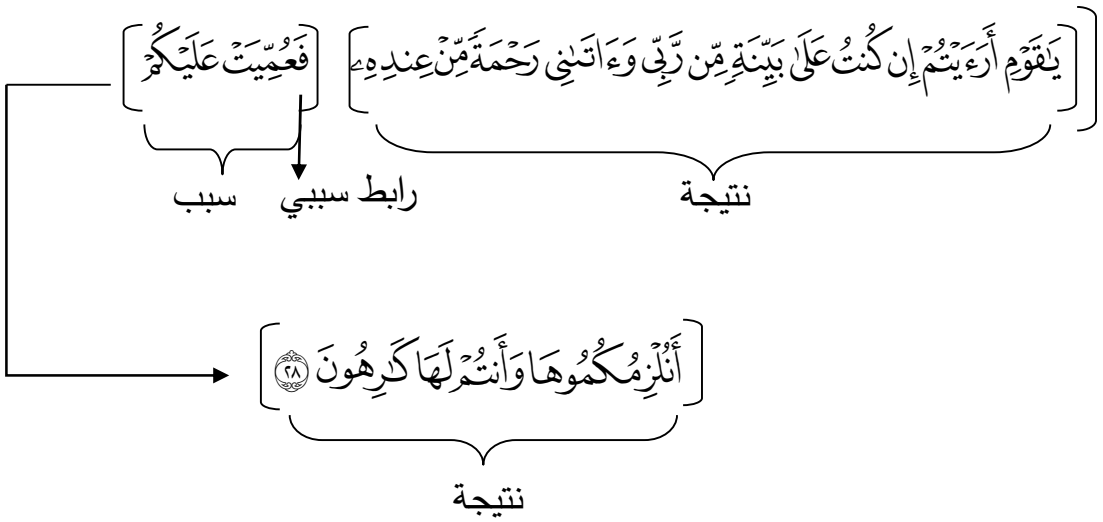
[2] المرجع نفسه ، ص227.

[3] سامية الدّريدي : الحجاج في الشّعر العربي (بنيته و أساليبه)، ص 194.

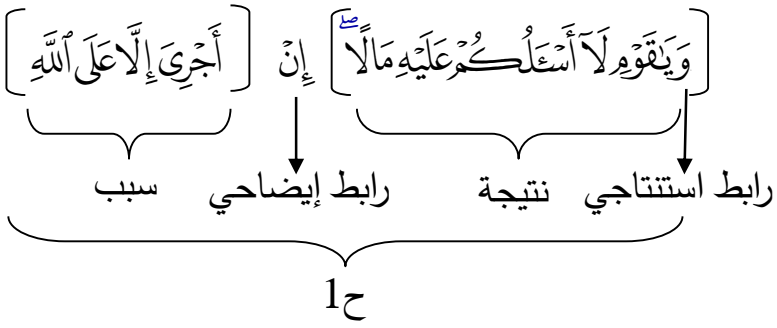
ترِدُ الحجج متراصة مترابطة لتؤكِّد بشرية نوح التي لا يتفضّل فيها عن قومه إلاّ بما أتاه الله من نبوّة و التي لا تتعارض مع بشريته و بالتّالي تؤسِّس هذه الحجج – خاصّة في اِرتباطها بالفعل المضارع– لدعوة نوح انطلاقا من قيّم مهيمنة تنطلق من الواقع و في الوقت ذاته تؤسّس لواقع جديد وبالتّالي فإنّ درجة الاستقطاب و ضمان تفاعل قومه مع دعوته يبقى مرهونًا بمدى وعي قومه بخطابه.

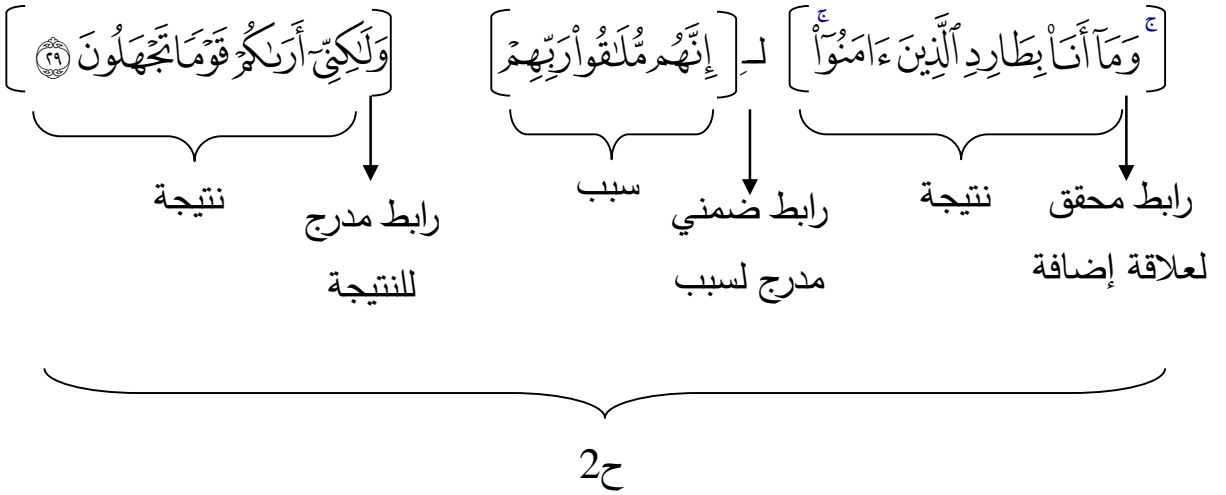
لقد انتقى نوح في كلماته و خطاباته ما يثير رغبة في محدِّثِه و ينَشُدُه إلى تقبُّل الحقّ و يدفعُه إلى الالتزام به و ذلك بنداءات ليِّنة و مخاطبات تشويقية لها إيحاءاتها المؤثِّرة على المشاعر» [1] كما أنّه لم يكتف ببيان بطلان ما ادّعى قومُه بتقديم الاعتراض عن الدّعوى بل حاول بناء نظام جديد.

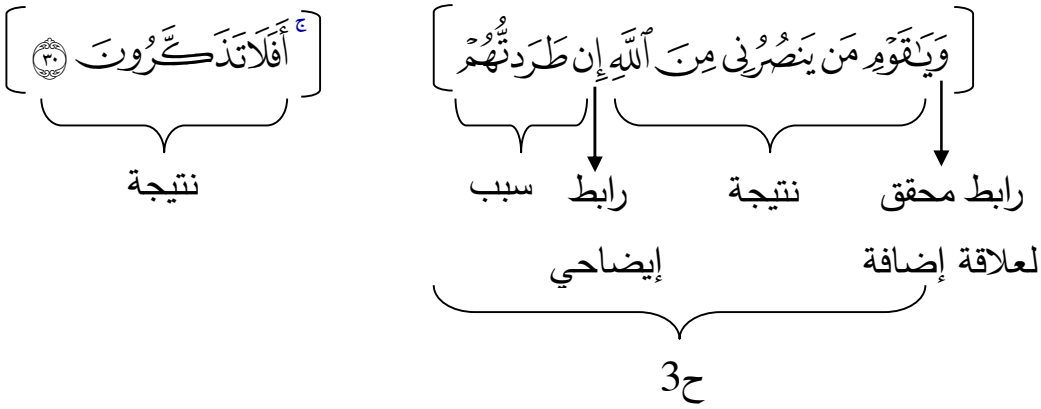
إذن ينبني تدخل نوح – حجاجيًا كما يلي:

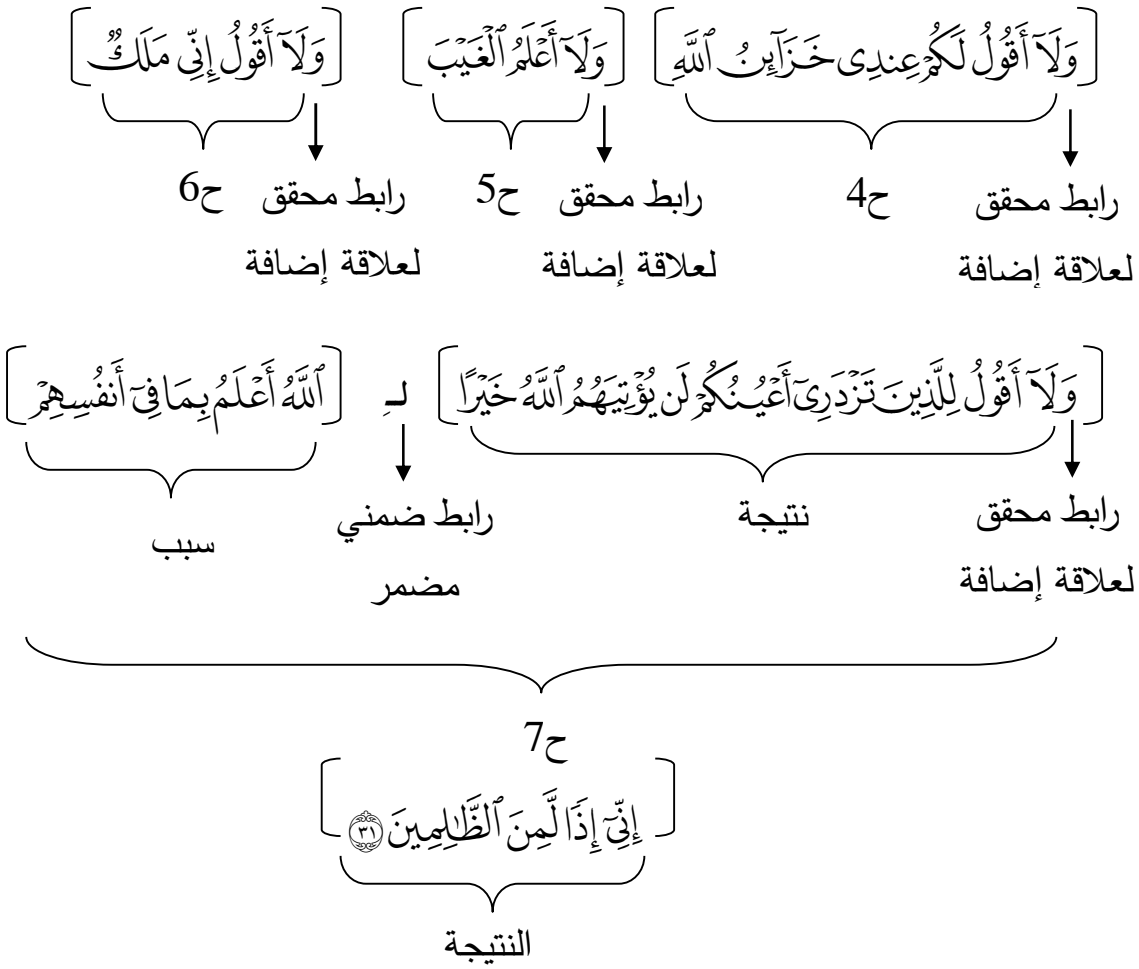


[1] محمود عثمان ضمرة : الحوار في القرآن الكريم ، إشراف ك محمد حاقظ الشّريدة ، رسالة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير في أصول الدّين بكلية الدّراسات العليا ، جامعة النّجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين ، 2005 ، ص 163.


وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ
إِنۡ
أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ
رابط استنتاجي
نتيجة
رابط إيضاحي
سبب
ح1


وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
لَـٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ٢٩
إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ
لـ
رابط محقق
لعلاقة إضافة
نتيجة
رابط ضمني
مدرج لسبب
سبب
رابط مدرج
للنتيجة
نتيجة
ح2


وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣٠
رابط محقق
لعلاقة إضافة
نتيجة
رابط
إيضاحي
سبب
نتيجة
ح3



التّدخل 02 (الملأ الذين كفروا من قومه):

﴿ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

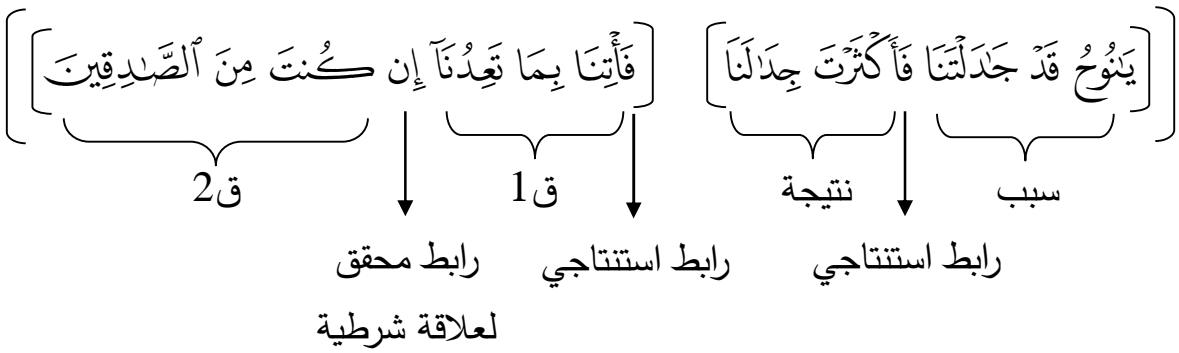
يقول "الطاهر بن عاشور" معلّقا على هذا الطّلب « و قد تبادر إلى أذهان قومه عذاب الدّنيا لأنّهم لا يؤمنون بالبعث فلذلك قالوا في كلامهم الآتي « آتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين»[1] إنّ طلبا من هذا القبيل يؤكّد انتقال الملأ الذين كفروا من مستوى الخطاب إلى مستوى الفعل و من المجرد إلى المحسوس بحيث حاولوا إبطال الدّعوى باعتماد حجّة قلب البرهان باعتماد حجّة الخصم – نوح و جوهر هذا القلــب أنّ صِــدقَ

[1] الطّاهر بن عاشور : التّحرير و التّنوير ، ج12 ، ص45.

النبوّة مرتبط بالإتيان بما توعّدهم به أي إنزال العذاب ؛إضافة إلى عدم توفُّرهم على الحجـــج الكافية للاعتراض ؛ تأتي هذه الحجّة محمّلة بطاقة حجاجية كبيرة كوّنها تستند على دعوى المدّعي نوح لتنفيذ دعواه ؛ لعلم المعترض بعجز المدّعي عن إثبات الدّعوى ؛أي « تعليق الأمر على مستحيل»[1] استحالة إنزاله العذاب لأنّه ليس من اختصاصه .

إنّ حجّة من هذا القبيل كفيلة بأن توصد أبواب الحوار بين نوح و قومه لأنّ هذا الأخير عمد إلى تجاهل المطلوب أي ما يجب البرهنة عليه و تلك مغالطة لأنّنا «نبرهن على شيء آخر مموِّهين أنّنا أجبنا عن المطلوب بمعنى أنّها حاصلة عن تجاهل المطلوب إثباته و إثبات شيء آخر مع إدعائنا أنّنا قد أتينا المطلوب »[2] فالبرهنة على صدق النبوّة مغالطة لأنّ إنزال العذاب من أمر الله ؛إنّ هذا التّعجيز المعلن يؤكّد الصّراع بين الطّرفين طرف لا يتحرّكُ إلاّ في فضاء الاختلاف غير أنّه يستمدُّ سلطته من الله الذي يُوحِّدُه و يعبدُه و الذي أرسله و وعده بإنزال العذاب إن لم يؤمنوا ؛ وطرف ثان يستمدُّ سلطته من المشترك و من القيم التي ورثها.

ينبني تدخل الملأ الذين كفروا من قومه حجاجيا كما يلي:



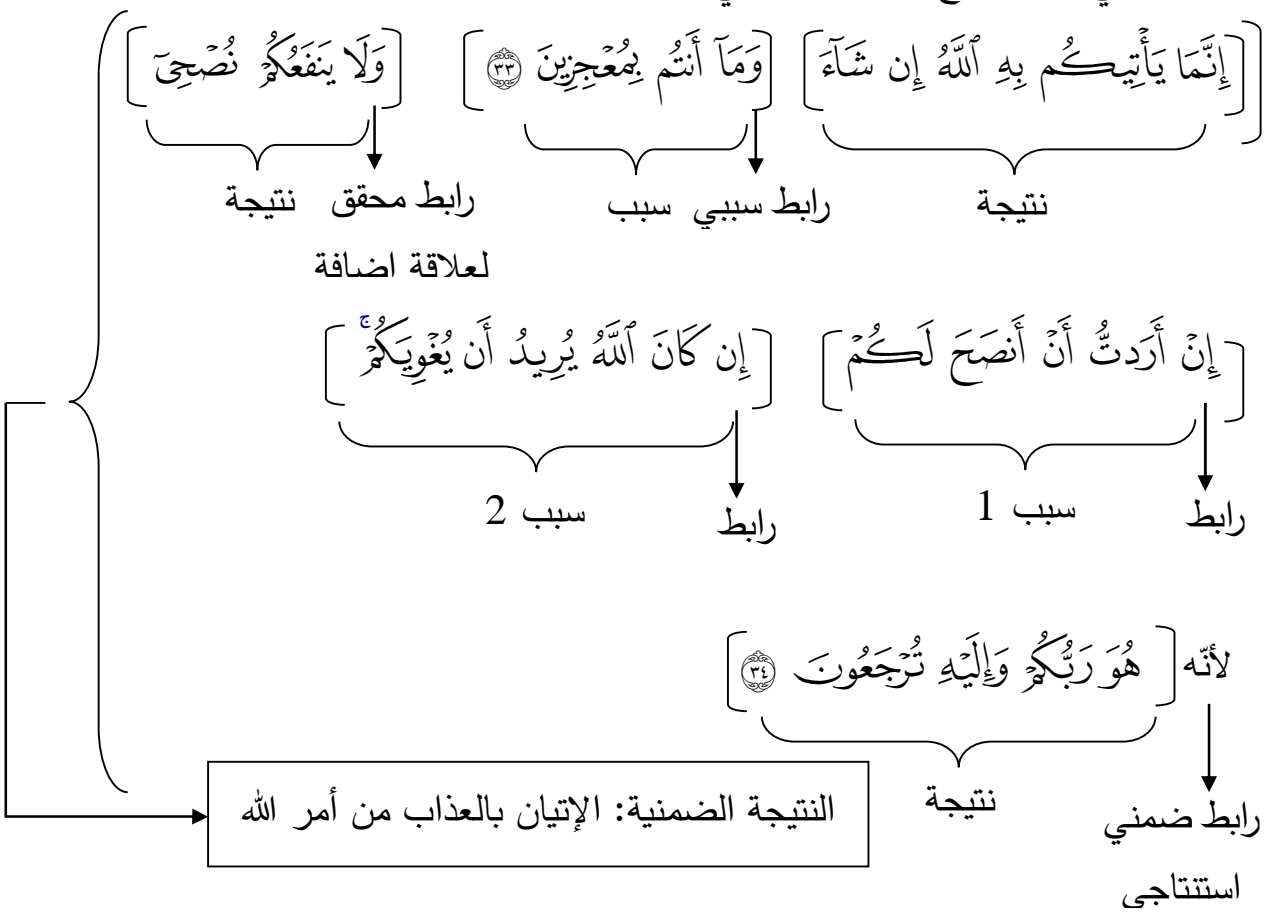
[1] مجاهد محمود أحمد ناصر: منهج القرآن الكريم في إقامة الدّليل و الحجّة ، إشراف : محسن سميح الخالدي ، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدّين بكلية الدّراسات العليا ،جامعة النّجاح الوطنية ،نابلس ، فلسطين ،2003 ، ص 200.

[2] حسان الباهي : الحوار و منهجية التّفكير النّقدي ، ص176.

التّدخل 03 (نوح):

يأتي ردّ نوح ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾﴾ و لو قال: يأتكم به الله لما صلح أن يكون جوابا لأنّه يثبت الإتيان بالعذاب لله و لا ينفيه عن نفسه و هو إنمّا يريـــد أن يقول إنّ إنزال العذاب من أمر الله و لا أحد سواه و ليس من اختصاصي أنا؛ لذا يأتي توظيف العامل "إنمّا " الذي يحمل طاقة حجاجية عالية لذا نلاحظ عدول نوح عن توظيف النّفياً و الإثبات إلى اعتماد القصر ب "إنّما " لوظيفتها الحجاجية إذ «تجيء لخبر لا يجهله المخاطب و لا يدفع صحته أو لما ينزّل هذه المنزلة ؛أمّا النّفي والإثبات ... فيكون للأمر ينكره المخاطب و يشكّ فيه » [1] لذا يأتي الإثبات ب "إنّما" لأنّها البؤرة أو الأصل الّذي تنبني عليه عقيدة التّوحيد.

ينبني تدخّل نوح حجاجيا كما يلي:



[1] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن مجمد الجرجاني : دلائل الإعجاز ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ص 332.

المقطع الحواري رقم :06 . سورة :المؤمنون: من الآية 23 إلى الآية 25.

المقطع الحواري رقم :06 .(نوح /قومه).	
01(نوح):	**01 (الملأ الذين كفروا من قومه):**
يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾	مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗۖ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٢٥﴾
قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾	

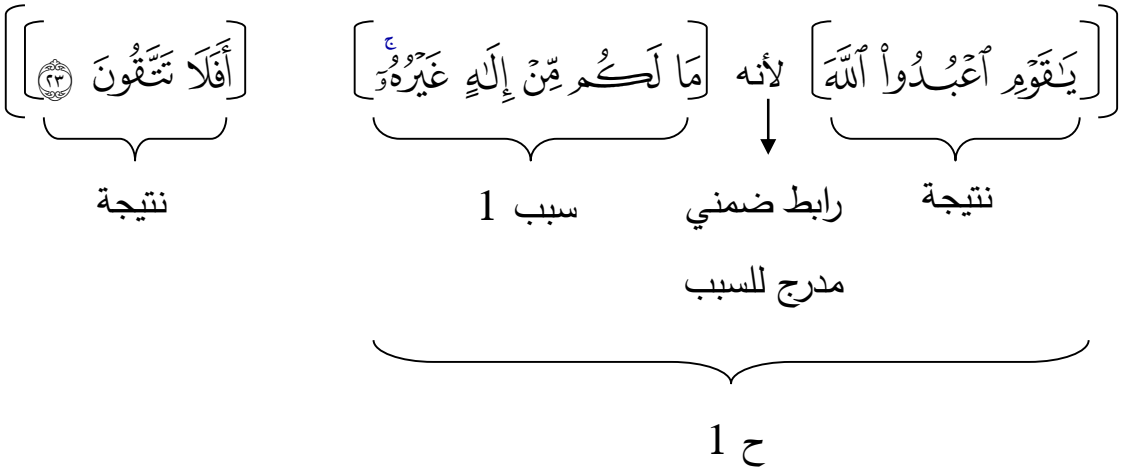
التّدخل 01 (نوح):

تعرض سورة "المؤمنون" مشهدا حواريا لنوح مع قومه غير أنّ ما يميّزُ هذا المشهد حضور الأطراف الثلّاثة : نوح المؤمنون بدعوته و الملأ الذين كفروا من قومه.

مرّة أخرى يتوجّه نوح إلى قومه معلنا انتماءه إليهم (يا قومي) إنّ هذا الاحتواء من شأنه دفع قومه إلى التّعامل بإيجابية مع الدّعوى التي يطرحها: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ لقد حدّد معالم دعوته : عبادة الله المشروطة بوحدانيته وكذا تقواه، يقول "الطّاهر بن عاشور":« ما كانوا ينكرون وجود الله و لذلك عقّب

كلامه بقوله مالكم من آله غيره فجملة ما لكم من آله غيره في موقع التّعليل للأمر بعبادته و هو تعليل أخصّ من المعلّل» [1] .

ينبني تدخل نوح حجاجيا كما يلي:



التّدخل01 (الملأ الذين كفرا من قومه):

ينطلق الملأ الذين كفروا من قومه من مقدّمات تشكّل في مجموعها حقائق يعرفها كلّ القوم قصد التّأثير في المؤمنين بدعوة نوح .

يحيل السّياق إلى وجود الأطراف الثّلاثة في هذا المشهد الحواري الملأ الذين كفروا من قومه و نوح و المؤمنين بدعوته إذ يؤكّد المشهد الحواري التّقارب بين نوح والمستضعفين من جهة و كذا التّباعد بينه و بين الملأ من جهة ثانية و محاولة تقارب الملأ من المستضعفين من جهة ثالثة باعتماد الحجاج الجماهيري الذي حاولوا من خلاله إلهاب حماس المتلقين – المستضعفين – و إثارة عواطفهم .

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج18، ص 41.

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾:

يأتي اعتماد المقارنة بين نوح و المؤمنين بدعوته في مرحلة تّالية بعد أن كذّبوه لبشريته و أنّه لا يتفضّل عليهم ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثۡلَنَا﴾ ليؤكّدوا تفضلّهم عليه وبالتّالي أحقيتهم بالنّبوّة ؛ و يأتي الخطاب هنا موجّها إلى الذين آمنوا بدعوته من المستضعفين لحملهم على تكذيبه و قد عمدوا إلى إدخال هؤلاء المستضعفين في دائرة الحوار لعلمهم أنّ القوّة ستدخلهم معهم في صراع لأنّ « القلوب إذا اتجهت إلى الحقّ و تفتّحت بمعرفته فإنّ ذالك نذير انهيار الباطل و أهله و سلطانه و مصالحه و معتقداته و زيفه فهو خطر يأتي على الباطل من الأساس»[1] لذا عمدوا إلى صّدهم عن الدّعوة بملامسة عواطفهم وإلهابها دون الدّخول معهم في صراع و تأتي "مثلكم"إ ضافة إلى النّفي والاستثناء (ما ...إلاّ) لتوجّه القول برمّته فبالإضافة إلى بشريته التي تنفي نبوّته فهو "مثلكم " من الطّبقة المستضعفة من أراذل القوم الأمر الذي يتطلّب من المتلقي – المستضعفين – تأويلا خاصّا ينطلق من الواقع ليؤكّد – فعلا – استقطابه للفئة المستضعفة ليتأكّد عدم الاتفاق لأنّ النّبوّة لا تتّفق – إضافة إلى بشريته– مع وضعه الاجتماعي المتدنّي الأمر الذي يؤدّي إلى الهزء[2] le réducule حسب "بيرلمان" نتيجة تعارض المقال –القول بالنبوّة – مع المقام – وضع نوح الاجتماعي المتدني– و يأتي تبرير هذا الإّدعاء– النُّبوّة – "ليتفضّل عليكم" و هو "مثلكم" و في ذلك حمل للمستضعفين على تكذيب نوح لأنّ رجـــلا بشـــرا

[1] أسماء عبد العزيز : الحوار في دعوة موسى عليه السّلام في ضوء الكتاب و السّنة ،إشراف : عبد الله بن محمد الرّشيد ، قسم الدّعوة و الاحتساب ، كليّة الدّعوة و الإعلام ، جامعة محمد بن سعود السّلامية ، الريّاض ، المملكة السّعودية ، العام الجامعي ، 1418/ 1419 ص 379.

[2] ذلك أن موضوع الهزء هو ذلك القول الذي يتعارض بدون مبرّر مع الرّأي السّائد وتقوم هذه الحجّة على التّبرير ، ينظر : عبد الله صوله : الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته ، ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص 326.

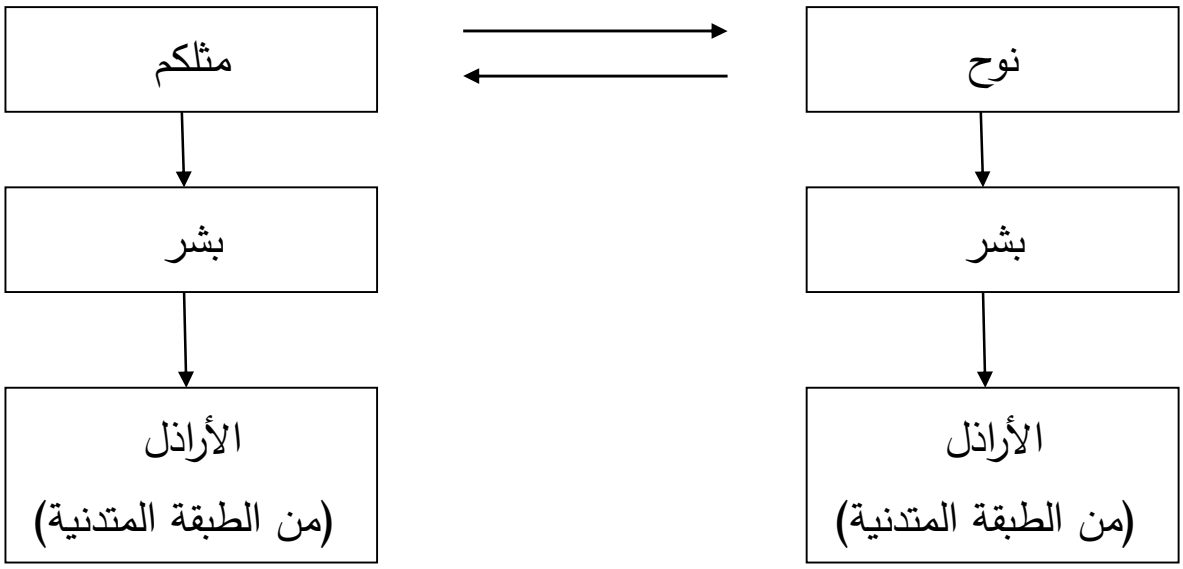
مثلكم يدّعي النُّبوّة و تؤمنوا به هو طعن في رجاحة عقولكم لأنّ مقاليد أمركم ستصير بيد من هو مثلكم.

لقد عمد الملأ إلى زعزعة العلاقة بين نوح و المستضعفين المؤمنين بدعوته باعتماد النّفي و القصر ؛ إنّ هذا النّوع من الحجاج سيؤدّي حتما إلى نتيجة حتمية "لا تتبعوه"إذ لا خيار أمام المستضعفين – وفق هذا البناء الاستدلالي للحجّة– سوى عدم إتباعه لأنّنا لو حذفنا العامل"ما ...إلاّ" و قالوا: "هذا بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم " لكان أمام المستضعفين خيارات أخرى من قبيل : اتبعوه ، لا تتبعوه ، لا يفيدكم في شيء لأنّه مثلكم لكن اعتماد القصر و النّفي يضع المتلقي – المستضعفين– أمام خيار واحد و هو لا تتبعوه ؛ إضافة إلى ذلك تكشف لنا هذه الحجّة مظهرين لمعطى واحد –نوح-:

- مظهر زائف ⟵ أنّه مرسل من رّبه.
- مظهر حقيقي ⟵ رجل مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم.

إنّ طريقة الفصل هذه لا تؤدّي بالمتلقي – المستضعفين– إلى« تمثُّل حقيقة الأشياء فحسب بل هي تدعوه بإلحاح إلى معانقتها فهي الحقيقة و إلى ترك غيرها فهو زيف »[1] ؛إنّ قيمة الحجّة تكمن في سياقها الذي قيلت فيه إضافة إلى بنيتها حيث استصغروه باسم الإشارة "هذا" و "مثلكم" التي وجّهت القول برمّته إضافة إلى انطلاقهم من الواقع الذي يؤكِّد عدم تناقضهم فهو فعلا من المستضعفين ؛لقد خلقت هذه الحجّة مقارنة بين نوح والمستضعفين:

[1] عبد الله صولة :الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته ،ضمن كتاب: أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية ، ص 346



إلاّ أنّه يريد التّفضّل عليكم ؛إنهّا حجّة تخاطب المشاعر و تحرّك خيال المستضعفين و تستغلُّ نقاط ضعفهم ؛إنّ المغالطة هنا تكمن في « متى اتفق عنصران في وصف أو أوصاف معيّنة عمد المغالط إلى تعميم الحكم ليُوهِم المخاطب بأنّهما يتّفقان في أوصاف أخرى »[1] إنّ خطورة هذا النوّع من الحجاج تكمن في كونه غاية و وسيلة في الوقت ذاته « غاية لأنّ الحجّة الجماهيرية إنمّا تجري إليه و وسيله لأنّه يستر غياب المحاجّة عند غيابها و يغطّي غياب العلاقة في المضامين عندما تبني الحجج بنية قضوية »[2]؛ إنّ هذه المفارقة بين الفكرة و نتائجها العملية

[1] حسان الباهي : الحوار و منهجية التّفكير النّقدي ،ص 186 .

[2] محمد النّويري:الأساليب المغالطية ،مدخلا لنقد الحجاج ،ضمن كتاب:أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية، ص 433.

السّلبية يهدف الملأ من ورائها إلى دفع المؤمنين بدعوة نوح إلى تكذيبه من خلال إنشاء مفارقة بين هذا الإيمان و نتائجه السّلبية إن هو طُبِّق وأضحى واقعا فهم يبرّرون ضرورة الارتداد عن دعوته و عدم الإيمان به بنتائجه السّلبية ففي ذلك استخفاف بعقولهم وقصور في تقديرهم لأنّ هدفه هو التفضّل عليهم و هو منهم؛ إنّ الأراذل متي ما آمنوا بنوح واتبعوه تأكّد تفضّله عليهم و في ذلك قصور فيهم لأنّ النبوّة لا تتفق و الوضع المتدني لنوح ؛ إنّ عدم الاتفاق بين النبوّة و بين الوضع الاجتماعي المتدني لنوح لا يبدو منطقيا خالصا و إنمّا يضعه الملأ كمبرر لإقناع المستضعفين لصدِّهم عن دعوته ؛ إنّ الطّاقة الحجاجية لهذه الحجّة تكمن في انطلاقها من السّائد الذي يؤمن به هؤلاء فهم لا ينكرون إرسال الرّسول ولكن ينكرون أن يكون بشرا و من الأراذل .

لقد لجأ الملأ إلى صدّ المستضعفين عن دعوة نوح دون اللّجوء إلى العنف لأنّ «المعنّف لابد أن ينتهي به الأمر إلى أن يَهلَك أو ينشق أو يتآمر و في كلّ واحدة من هذه الأقوال الثّلاثة يتسبّبُ في خلخلة الجماعة »[1] و الملأ لا يريدون زعزعة الجماعة إنمّا يريدون صدّ المؤمنين بدعوة نوح و كسب ثقتهم.

[1] طه عبد الرّحمن : الحقّ العربي في الاختلاف ، ص 34.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾:

مرّة أخرى يلجأ الملأ إلى المغالطة التي تنبني على« إجراء ما بالعرض مجرى ما بالذّات »[1] إذ عمدوا إلى إيهام المستضعفين المؤمنين بدعوة نوح عدم إنكارهم للرّسول لكنّهم يختلفون حول طبيعته إذ يجب أن يكون من الملائكة و كانوا قد أقروا أحقيتهم هم الملأ بالنُّبُوّة في موضع سابق .

﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾:

يختم الملأ الذين كفروا من قومه هذا البناء الاستدلالي بحجّة محمّلة بطاقة حجاجية لا تقبل المناقشة أو الاعتراض و قد عدّها « بيرلمان من أقوى الحجج التي لا تكون عرضة للدّحض »[2] لأنّها تستمدُّ قوّتها من قيمة صاحبها :﴿ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾

لقد انطلق الملأ من مقدّمات و حقائق تزيد من هيمنة تلك السّلطة التي لا تُردّ لأنّها ضمن المشترك السّائد لذا عمد الملأ إلى إثارة هذا المشترك لما له من دور في التّأثير على المتلقي– قومه–خاصة المستضعفين من خلال التّركيز على « نقاط الاتفاق ذلك لأنّه بإسناد الخطاب إلى بادئ جمهوره يكون بإمكان الخطيب أن يضمن انخراط مخاطبه»[3] .

[1] حسان الباهي: الحوار و منهجية التّفكير النّقدي ،ص190.

[2] عبد الرّحيم وهابي : البناء الحجاجي في رسائل الجاحظ ، رسالة (مناقب الترك) نموذجا ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع1 ، 2012، ص 128.

[3] حسن المودن : بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصوّر نسقي لبلاغة الخطاب ، كنوز المعرفة للنّشر و التّوزيع ، ط 1 ،عمّان ، الأردن ، 2014 ، ص 332.

لقد جعلوا « انتفاء علمهم بالشّيء حجّة على بطلان ذلك الشّيء»[1] إذ باتفاق عدم سماعنا – (نحن الملأ و أنتم المستضعفون) بـــــهذا (أي إرســـــال رســـــول من المستضعفين) من (آبائنا الأوّلين) يضمن الملأ انخراط المستضعفين معهم في الخطاب أي في مضمون الدّعوى ؛ لقد اجتهد الملأ في إثبات الدّعوى « بالاستناد إلى أقوى المقدّمات المشتركة... و على قدر ما تكون الوقائع و القيم المأخوذ بها أعلى رتبة وأوسع نطاقا يكون الإقناع بها أضمن و تكون نهاية الاختلاف أيقن »[2] و لا يوجد من هو أعلى مرتبة ممّا يعتقده الآباء الأوّلون. تحيلنا هذه الحجّة على حوارين :

- حوار بين الملأ الذين كفروا من قومه و المستضعفين حيث يمتلك الطّرفان نفس المعرفة ؛ أي وفق علاقة مساواة يتأكّد ذلك من خلال ضمير الجمع: (ما سمعنا – آبائنا) .
- حوار بين المستضعفين و آبائنا الأولين حيث يلعب هذا الأخير دور المرسل الذي لا يُردُّ رأيه ، فالعلاقة بينهما ليست علاقة مساواة بل علاقة تراتبية يأخذ فيها (آباؤنا الأولون) المكانة العليا فهم المرجع و الأصل الأمر الذي يسم قولهم بالصّدق لذا تتبني هذه الحجّة كما يلي:

س ⟵ كلّ ما يقوله صحيح .

س ⟵ يقول بعدم (ق) .

إذا | النتيجة: عدم (ق) صحيح |

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج18 ، ص 43 .

[2] طه عبد الرّحمن: الحقّ العربي في الاختلاف ، ص،ص39، 40.

(س) ⟵ آباؤنا الأولون .

عدم (ق) ⟵ عدم وجود رسول بشر من الأراذل .

إذا | النتيجة: عدم وجود رسول من الأراذل

لقد اعتمد الملأ حجّة السّلطة ؛سلطة (آبائنا الأولين) نظرا لما تتمتّع به من «كفاءة عالية في مجال تخصّصها بحيث يمكن أن تتفوّق من حيث سلامة تقديراتها في موضوع متعلّق بميدان خبرتها تفوقا يتجاوز ذلك المتاح لشخص عادي تجاوزا دالاً »[1]لذا تأتي هذه الحجّة في أعلى درجات السّلم الحجاجي فهي « مكمِّلة لحجاج يكون غنيّا بحجج أخرى غير حجّة السّلطة » [2] الأمر الذي يبرّر موقعها في ختام الحجج لأنّ الحديث بعدها تحصيل حاصل ؛ لذا فإنّ هذه الأحكام المشتركة تختصّ« بنجاعة حجاجية فائقة نظـرا إلى ارتباطهـــا بالمشهور المتداول يسري بين النّاس اعتقادا راسخا و حقائق مطلقة ... وجعل الخطاب الحجاجي خطابا موسوما بالضّمان الأدنى حتّى يتمكّن و يستقرّ و يرسخ و يتوطّن »[3].

[1] ينظر :محمد النّويري :الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج ،ضمن كتاب : أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية، ص422.

[2] عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته ، ضمن كتاب، أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد العربية ، ص 335.

[3] علي بن عبد العزيز الشّبعان:الحجاج و الحقيقة و آفاق التّأويل ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان، 2010 ، ص، ص 391 ،392

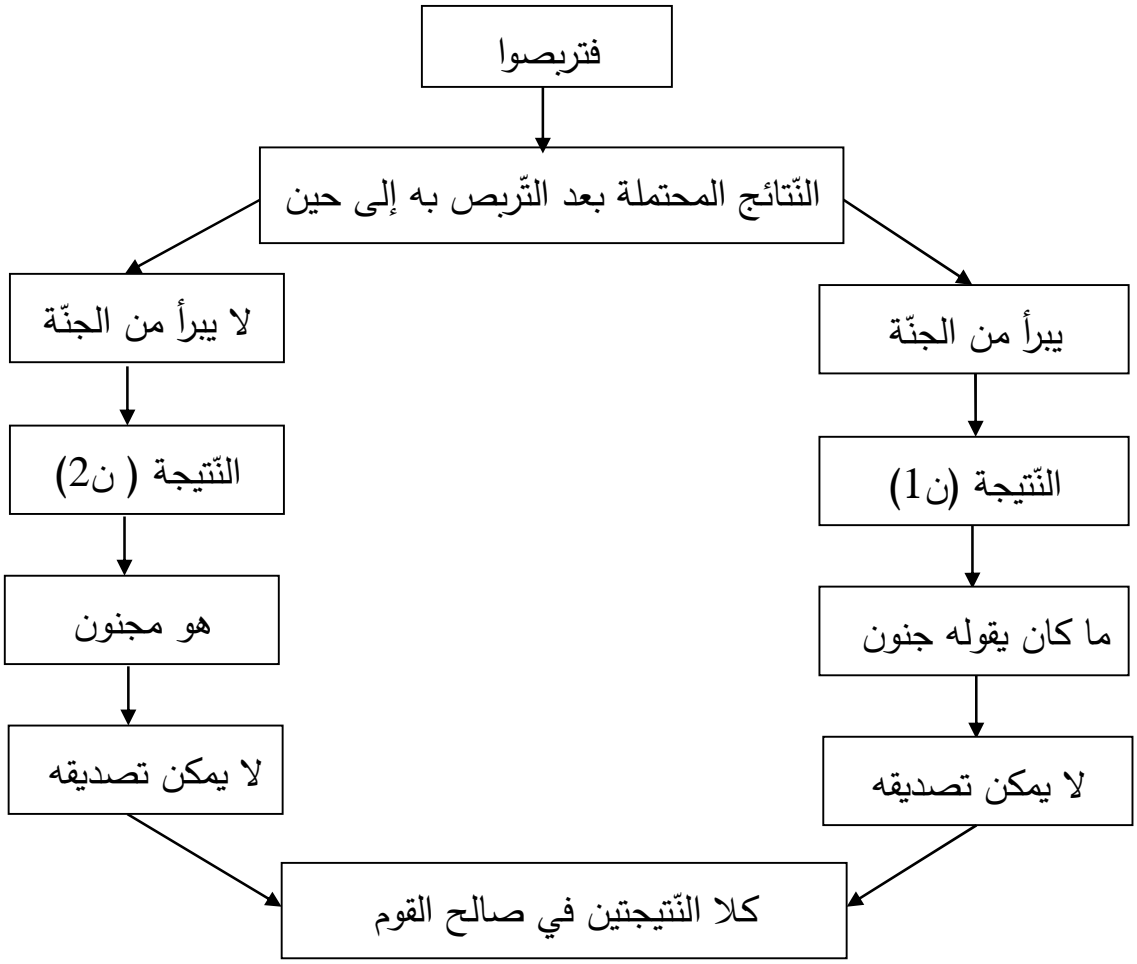
لقد سعى الملأ الذين كفروا من قومه إلى استدراج المستضعفين بملامسة مشاعرهم لأنّ « عامّة النّاس يتأثرون بمشاعرهم أكثر ممّا يتأثرون بعقولهم فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجّة فلا يكفي إذا أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقوله كما ينبغي»[1]؛ إنّ مكمن المغالطة في حجّة السّلطة أنّها تنبني على الاحتمال لأنهّا تستمدّ صدقها من أهميّة الشّخص فعدم سماع – آبائنا الأوّلين – بعدم وجود نبي من الأراذل لا يعني صدقهم بالضّرورة إذ قد يكون عدم السّماع لقصور في معرفتهم كما أنّ إيمان هؤلاء الملأ بما يؤمن به الآباء يؤكّد جمود تفكيرهم و تحجُّره وعدم تطوّره ؛ إضافة إلى أنّ عدم وجود رسول في زمانهم قد يكون لعدم الحاجة للرّسول ؛ غير أنّ كلّ تلك المغالطات لا تنفي دورها الحجاجي– التّأثيري في المستضعفين .

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾

تأتي هذه الحجّة نتيجة لما سبق فرجل من المستضعفين يدّعي النبوّة و قد نفى الآباء مثل هذا الادّعاء لا بدّ أنّ به جنّة أي « متلبس بشيء من الجنون و هذا اقتصاد منهم في حالة احترزوا من أن يورّطوا أنفسهم في وصفه بالخبال» [2]لذا دعا الملأُ المستضعفين إلى إمهاله حتّى يتبيّنوا حالته ليكون احتمال ما بعد التّربص به، التّأكّد من جنونه.لقد عمد الملأ إلى المغالطة من خلال إيهام المستضعفين أنّ طلب التربّص به سيؤدّي حتما إلى التّأكُّد من أنّ به جنّة ليتأكّدوا أنّ ما يقوله جنون ؛الأمر الذي سيؤدّي بهم إلى تكذيبه و الارتداد عن الإيمان بدعوته ؛ إنّ مكمن المغالطة في هذا الإيهام أو في هذا المعنى الظّاهر و الذي سيؤدي إلى ما يلي:

[1] محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص97.

[2] الطّاهر بن عاشور : التّحرير و التّنوير ، ج18 ، ص 44 .



و في الحالتين طعن في سلامة عقل نوح و تهيئة المتلقي–في حال لم يتوقف عن الدّعوة– إلى مرحلة تالية تكون صفة الجنون هي الملائمة لنوح .

لقد اعتمد الملأ حجّة البرهان ذي الحدّين dilèmme[1] و يسمّى عند المنطقيين قياس الإحراج وهو شكل يتناول فرضيتين «لينتج سواء وقع الاختيار على الأوّل أو الثّاني نصل إلى الفكرة نفسها »[2] لذا تتلاءمُ هذه الحجّة سياق تأليب الملأ– خاصّة المؤمنين بدعوة نوح عليه السّلام– لصدّهم و ردّهم عن دعوته فسواء أكان به جنّة أو لم

[1] Voir : Denis Baril Techniques de 1 expression ecrite et orale , 10 edition, campus dalloz, paris, 2002, p 106

[2] سامية الدّريدي : الحجاج في الشّعر العربي (بنيته و أساليبه) ، ص 209 .

يكن به جنّة ففي الحالتين سيثبت جنونه و لا يمكن تصديقه ؛ إنّ هذا النوّع من الحجـــج « يلائم بشكل كبير سياق اليأس و التّردد و الشّعور بالعجز عن الحسم[1]» يأس قومه و عجزهم عن إيقافه عن دعوته.

لقد بنى الملأ الذين كفروا من قومه حججهم وفق السّلم الحجاجي التّالي :

ن : التشكيك في سلامة عقله.

- ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾

- ﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾

- ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾

- ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾

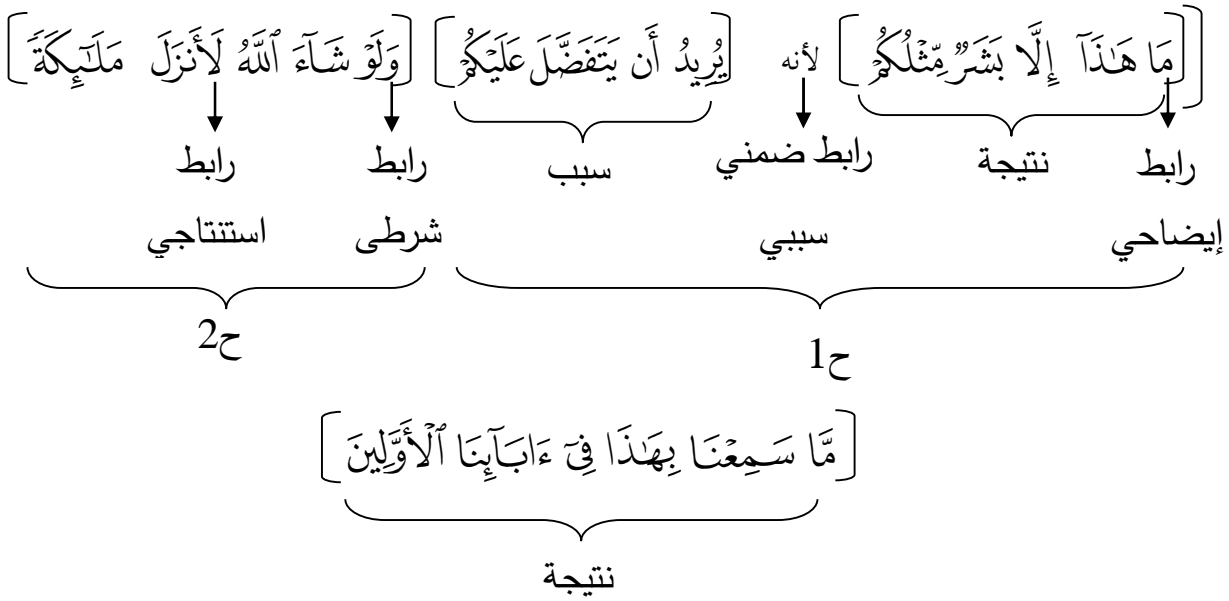
لقد عمد الملأ الذين كفروا من قومه إلى ترتيب أفكارهم وفق سلّم حجاجي ينطلق من مقدّمات أو مسلّمات يؤمن بها المتلقي –المستضعفون –تفضي في الأخير إلى إثبات أنّ ما به جنّة و بالتّالي تكذيبه دون المساس بشخصهم كطرف ظاهر في الصّراع لذا فإنّ «نجاعة العرض شرط ضروري لكلّ محاجّة هدفها التّأثير في جمهور السّامعين بتهيئتهم للعمل المباشر سلوكا و بتوجيه أذهانهم وجهة معيّنة فكرا »[2] إنّ هذا البـناء الاستـــدلالي

[1] المرجع نفسه ، ص 210.

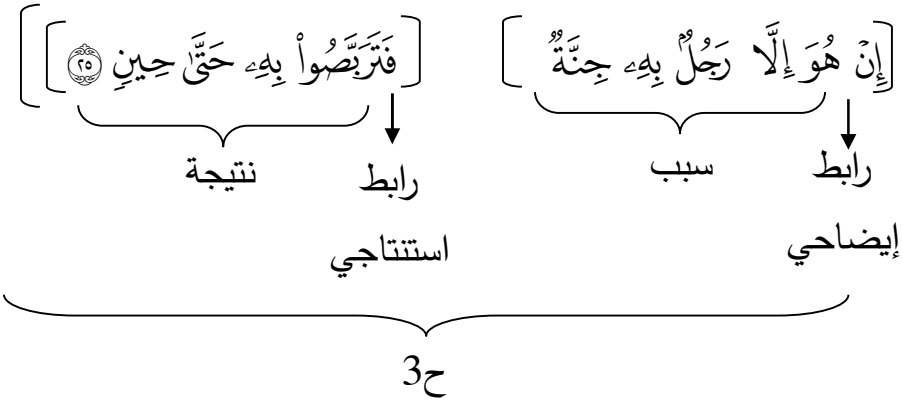
[2] عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته ، ضمن كتاب : أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية ،ص ص 316 ، 317.

يحيل على كفاءة حوارية عالية لدى الملأ كفاءة تستبطن مكامن التّأثير و الضّعف لدى المتلقي و تذكيتها قصد استمالته والتّأثير فيه و توجيهه الوجهة التي يريد و هذا باعتماد الحجاج الجماهيري الذي لا يهتم إلاّ بالنّتيجة أي تكذيب نوح –عليه السّلام – و بالتّالي صدّ القوم عن الإيمان بدعوته و لا يهمّ إن كانت بنية القول مؤسّسة منطقيا إذ لا يشترط صحّة المقدّمات بل إنهّا لا تتناسب و النّتيجة [1] و هــذا مــا يؤكّــد فاعلية هذه الحجّة في المتلقي –المستضعفين – المؤمنين بدعوة نوح يؤكّد ذلك إقرار نوح – عليه السّلام – تكذيب قومه له و لجوءه إلى الله طالبا النّصرة ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾

ينبني تدخل الملأ الذين كفروا من قومه حجاجيا كما يلي:



[1] و هو شرط مهمّ لقيام الحجّة الجماهيرية ...لأنّ الهدف هو التأثير في جمهور معين و حمله على فكرة معينة أما الاهتمام بالمحاجة في حد ذاتها فانه ضئيل. ينظر : محمد النّويري : الأساليب المغالطية ، مدخلا لنقد الحجاج ، ضمن كتاب أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية ، ص 432.



إنّ هذا البناء الاستدلالي– و إن كان مغالطا – فأنّه يؤكّد الكفاءة الحوارية العالية للملأ فاختلافهم في الرّأي مع المستضعفين « لا يندفع أبدا بواسطة القمع بل إنّ ممارسة القمع قد تزيد في حـدّة هـذا الاختـلاف حتّى لا سبيل إلى الخروج منه نظرا لأنّ الطّريق الموصل إلى هذا الخروج إنمّا هو طريق الإقناع »[1] حتّى يضمنوا اندماجهم معهم و وقوفهم جميعا صفّا واحدا لإيقاف مدّ دعوة نوح .

المقطع الحواري رقم:07 . سورة: الشّعراء: من الآية 106 إلى الآية 116.

المقطع الحواري رقم:07 (نوح /قومه).	
01(نوح): أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾	**01 (الملأ الذين كفروا من قومه) :** قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

[1] طه عبد الرّحمن :الحقّ العربي في الاختلاف ، ص 34.

02 (نوح):	02 (الملأ الذين كفروا من قومه):
وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ	لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾
رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾	

التّدخّل 01 (نوح):

تأتي سورة "الشّعراء" حلقة أخرى من حلقات المواجهة بين نوح و قومه حول تقوى الله و طاعة رسوله ؛ غير أنّ هذه المرّة يَعْدِل نوح عن مناداتهم (يا قومي) ممّا يؤكّد وصوله معهم إلى مرحلة اليأس من استجابتهم لدعوته في المقابل ينطلق من مقدّمات تُشَكِّل حججا تنطلق من واقعٍ يعيشه مع قومه حيث يضع أرضية ملائمة لاستدراج المتلقي – قومه – و جعله يتعامل بإيجابية مع دعواه.

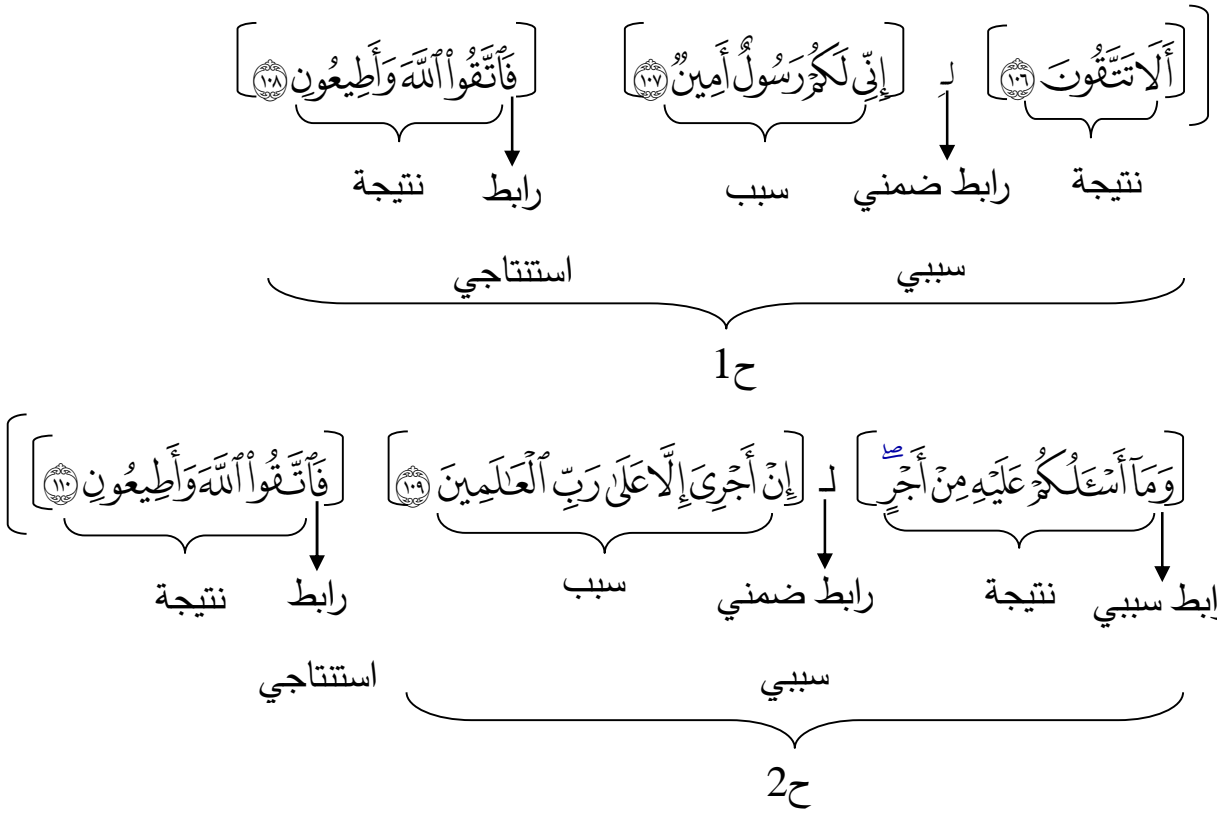
يبدأ نوح استنكاره عدم تقواهم و هي النّتيجة التي يُؤسِّس لها من خلال الحجج التي سيوردها إذ انطلق من مقدّمات تشكّل حججا ؛ بدأ بحجّة التّعريف ﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾ فهــو أمــينٌ بينهم يعرفون أمانته و صدقه الأمر الذي يحتّمُ عليهم تصديقه –هذه المرّة أيضا– فيما يدعوهم إليه ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾

أمّا المقدّمة الثّانية ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ و هم أيضا يعرفون أنّه لم يطلب أجرًا مقابل دعوته لهم مع ما يتكبّده معهم من عناء في دعوته و هو ليس زاهدًا في ذلك الأجر لأنّ أجره من صاحب العمل ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾يقول "الرّازي" تعليقًا عل تكرار الأمر بتّقوى الله

و طاعة رسوله :« لأنّه في الأوّل أراد ألا تتقون مخالفين و أنا رسول الله و في الثّاني ألا تتقون مخالفين و لست آخذ منكم أجرا فهو في المعنى مختلف و لا تكرار فيه...و قد قدّم الأمر بطاعة الله تعالى على الأمر بطاعته لأنّ تقوى الله علّة لطاعته فقدّم العلّة على المعلول»[1].

لقد اعتمد نوح حجّة التّعريف منطلقًا من واقع و معرفة مشتركة بينه و بين قومه وفق سلّم حجاجي يضع النّتيجة ثمّ يقدّم الحجج؛ إذ يُقِرُّ أمانته التي تقتضي تصديقه هذه المرّة كونه أمينا فيما ينقل عن ربّه و بالتّالي تقوى الله و طاعة رسوله ثم يُقرّ عدم أخذه أجرا مقابل دعوته الأمر الذي يحتِّم أيضا تقوى الله و طاعة رسوله ؛ لقد بنى نوح قوله بناء حجاجيا محكما يؤسِّس للنّتيجة التي أنكرها أي استنكاره عدم تقواهم لله تعالى و طاعة رسوله ثم يقدّم الحجج.

ينبني تدخل نوح حجاجيا كما يلي:



[1] الرّازي : مفاتيح الغيب ، مج 12، ص 134.

التّدخّل01(الملأ الذين كفروا من قومه):

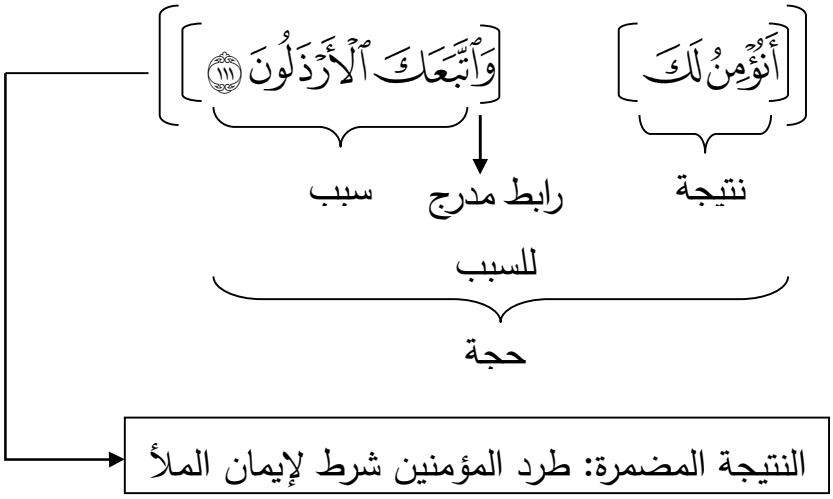
﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾:

مرّة أخرى يوجّه الملأ الذين كفروا من قومه الحوار نحو الطّعن في المؤمنين بدعوة نوحو تجريدهم من المصداقية كونهم امنوا لرذالتهم دون روية و تدبّر؛ بعد أن تمكنّ الإيمان من المستضعفين ليتذرعوا بعدم إيمانهم نتيجة إيمان المستضعفين به، إنّ الاعتراض هَنا بسبب مساواتهم بهؤلاء – الأراذل– و هو ما لا يرجونه.

إنّ بؤرة المواجهة تكمن في المحافظة على المكانة الاجتماعية التي يستمدُّون منها سلطانهم و قوّتهم لذا فهم يشترطون إتباع نوح بعد طرد الأراذل المؤمنين به لأنّهم إن آمنوا به و اتبعوه كانوا و الأراذل سواء لذ اعتمد الملأ حجّة الاتجاه من خلال نبذ السّير في اتجاه معيّن لأنّه قد يوصل إلى غير ما يرجو المحتجّ .

تقوم هذه الحجّة في جوهرها على نبذ الملأ الذين كفروا من قومه الإيمان بنوح لأنّ إيمانهم سيوصلهم إلى مساواتهم بالأراذل و هو ما لا يرجونه ؛ تفتقد هذه الحجّة لضوابط التّداول الحجاجي خاصّة حين انحسار الاهتمام بوصف الأراذل و تقييمهم تقييما سلبيا وهي رؤية تستمدُّ جذورها من القيم الاجتماعية المهيمنة.

ينبني تدخل الملأ الذين كفروا من قومه حجاجيا كما يلي:



التّدخّل 02 (نوح):

يأتي ردُّ نوح بناءً على اعتراض الملأ الذين كفروا من قومه ردًا على الخطاب المضمر الذي جاء يتمثّلُ في طرد الأراذل المؤمنين بدعوته كشرط لإيمانهم ﴿ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٢ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ ﴾

لقد جاء الردّ على المضمر صريحا:

ح 1
- ﴿ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ. ﴾ ⟵ ن
- ﴿ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴾. ⟵ سبب

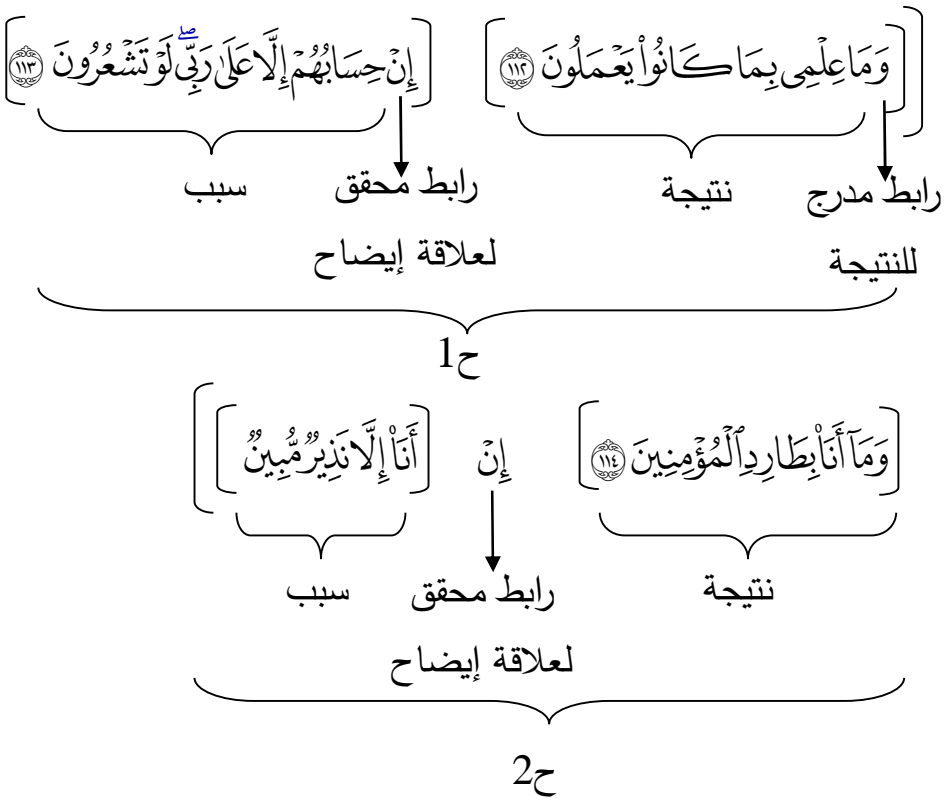
ح 2
- ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾. ⟵ ن
- ﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ. ﴾ ⟵ سبب

إنّ جوهر المواجهة بين الطّرفين نوح و الملأ الذين كفروا من قومه تكمن في الأساس في تحديد طبيعة الأشياء: الإيمان بالله و تقواه و طاعة رسوله التي تشكِّلُ معالم دعوة نوح – عليه السّلام– و بين عدم معرفة حقيقة هذه المعالم بالنّسبة إلى لملأ أو تظاهرهم بعدم معرفتها و الذين يضعون شرط إيمانهم طرد الأراذل المؤمنين بدعوة نوح لذا يأتي ردّ نوح ليدحض دعوى الملأ من خلال تصحيح مفهوم النُّبوّة و تحديد وظيفته الدّعوية وفق بناء حجاجي يربط السّبب بالنتّيجة معتمد (إن...إلاّ)، إذ يقصر الوظيفة على صاحبها:

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ⟵ الحساب (الله تعالى).

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ⟵ نذير مبين (نوح).

لقد تأسّس تدخل نوح حجاجيا كما يلي:



التّدخّل 02 : (الملأ الذين كفروا من قومه):

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾:

لقد عدل الملأ عن التّشكيك في شخص نوح إلى تهديده بالرّجم إن لم يتوقّف عن الدّعوة و بدل الاعتراض عن دعواه باعتماد قوّة الحجّة لجاءوا إلى حجّة القوّة كشكل «من أشكال التّهديد يرمي إلى الحصول على منفعة من المخاطب بالإكراه »[1] إذ يأتي التّهديد بالرّجم لحمل المخاطب – نوح– على الانتهاء عن الدّعوة أو الرّجم في السّاحات العامّة مع المرجومين و يؤكّد هذا على سلطتهم التي يستمدُّونها من موقعهم الاجتماعي؛ كما يحيلُ على كفاءة حوارية عالية خاصّة من خلال بنية هذه الحجّة التي تنبني وفق علاقة تتابعية كما يلي :

ك V ب .

ليس ك .

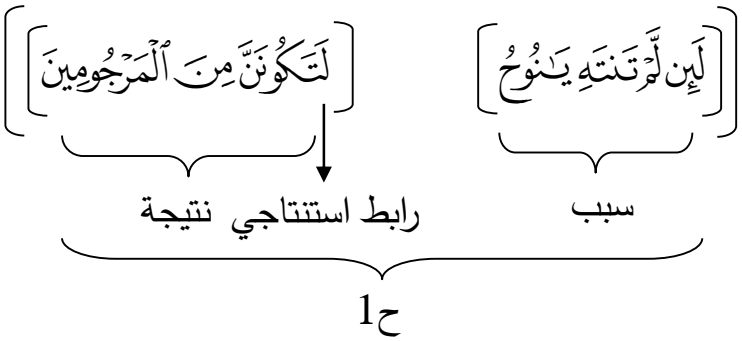
إ ذّ ن : ب .

القضية ك : الانتهاء عن الدّعوة .

القضية ب: لتكونّن من المرجومين.

[1] كريستيان بلانتان : الحجاج ، تر : عبد القادر المهيري ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، 2008 ، ص 129.

و إذا كانت (ك غير مرغوب فيها فإنّ (ب) أيضا غير مرغوب فيها ؛ لذا يأتي خيار القوّة في الاحتمالين اعتمادا على السّلطة التي يمارسها الملأ على المستضعفين و التي تعتبر امتيازا شخصيا لإيقاف مدّ الدّعوة لأنّه السّبيل الوحيد لتكييف سلوك نوح وفق ما يريده الملأ ،دون محاولة فكّ شفرات دعوى نوح لذا جاءت البنية الحجاجية لتدخل نوح وفق علاقة سببية يمكن توضيحها كما يلي:



ويأتي دعاء نوح ربّه ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾حاملا لطاقة حجاجية كبيرة كونه يحيل على أزمة التوّاصل بينه و بين قومه و استغلاق كلّ منافذ الحوار معهم ؛ يقول "الرّازي" :« و من المراد من هذا الحكم إنزال العقوبة عليهم لأنّه قال عقبه (نجني) و لولا أنّ المراد إنزال العقوبة لما كان لذكر النّجاة بعد معنى » [1] لتأتي استجابة الله تعالى لدعاء نوح بأن فتح عليه ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

[1] الرّزي : مفاتيح الغيب ، مج 12 ، ص 114 .

المقطع الحواري رقم:08. سورة القمر: الآية : 09.

المقطع الحواري رقم :08 (نوح /قومه).	
1 (قوم نوح): مَجۡنُونٞ	
أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٥ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ١٦	

التّدخّل 01 (الملأ الذين كفروا من قومه) :

يأتي الطّعن في سلامة عقل نوح بعد أن تربصوا به إلى حين ؛ لذا تأتي هذه الحجّة المغالطة – محمّلة بطاقة حجاجية بناء على ما سبق من الحجج ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلُۢ بِهِۦ جِنَّةٞ فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٖ﴾؛ و لأنّه لم ينته عن دعوته تطوّر اتهامهم له بالجنّة إلى اتهامه بالجنون و بالتّالي التّشكيك في قدراته العقلية ممّا يعني أنّ ما يقوله جنون و أنّ الذين آمنوا بما يدعي آمنوا بمجنون لذا يصبح تعامل الملأ الذين كفروا مع نوح – المجنون – مبررا و هذا ما يحيل إليه السّرد (وازدجر).

I.3. المرحلة الثّالثة: يأس نوح من إيمان قومه:

مكث نوح في قومِهِ ألف سنة إلاّ خمسين عامًا يدعوهم إلى عبادة الله المشروطة بالتّوحيد ؛ لم يَدّخر سبيلاً مُوصِلاً إلى هدايتهم إلاّ سَلكَه غير أنهّم آذَوْهُ و اتهموه بالضّلال المبين و بالجّنّة و الجنون و بالرّجم إن لم ينته عن د عوته.

و تأتي سورة " نوح" تقريرًا نهائيًا يَضَعُهُ نوح بين يَدَي رَبّه يختزلُ مسيرَتَه الدّعوية المضنية: يشكو رَبَهُ عصيانهم دعْوَته بل تضليلهم لِمَنْ آمن به؛ إنّ سورة " نوح" « نفثة محزون يبين نوح خلالها بلوغ الجهد منه غايته و نفاذ ما في يديه من الوسائل دون جدوى و آن لعدالة السّماء أن تتدخّل لتحسم الموقف المرير الطّويل »[1]لِذا يُشكّل هذا التّقرير – السّورة– حجّة أمَامَ الله على قوْمِهِ و إقرارٌ منِه بيأسِهِ من إيمان قومه.

المقطع الحواري رقم : 09 . سورة نوح : من الآية 05 إلى الآية 24 .

المقطع الحواري رقم: 09 . (نوح /الله تعالى) .
01 (نوح):
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

[1] عبد الصّمد عبد الله محمّد : خطاب الأنبياء في القرآن الكريم ، خصائصه التّركيبية و صوره البيانية ، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه في البلاغة و النّقد ، تحت إشراف : عبد اللّطيف خليف ، قسم الدّراسات العليا العربية فرع الأدب كليّة اللغة العربية ، المملكة العربية السّعودية ، 1995 ، ص 16.

يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ﴿١٩﴾ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٞ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴿٢٣﴾ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴿٢٤﴾

02 (نوح):

رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾

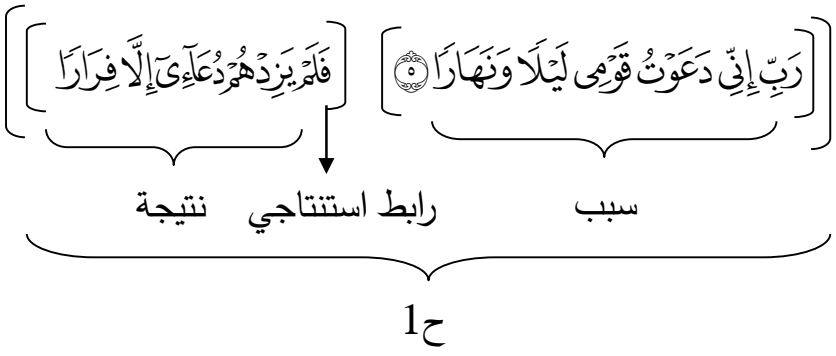
التّدخّل 01 (نوح):

يضع نوح بين يدي ربّه مجموعة من الحجج تشكّل في مجموعها بنية حجاجية تؤكّد يأسَهُ من إيمان قومه و هي في الوقت نَفْسِه حجّة أمَام الله عَلى قومِهِ حيث لم يّدخِر جهدًا في دعوتهم.

﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾:

ينطلق نوح من وَاقِع عَايَشَه مع قومِهِ و يَعْلَمُه الله تعالى، إذْ يؤكّد فيه لله تعالى حِرْصَهُ على دَعْوَة قومِهِ و عَدَم تقصيره في ذلك، إذْ لم يتوقّف عن دعْوتهم ليلاً و نهاراً

وهذا يؤكّد حِرْصَه من جهة و من جهة ثانية كفاءَتَهُ الحوارية إذْ أنَّهُ كان يتخيَّر أوقات استجابتهم لدعوته، يقول "الطّاهر بن عاشور": « وَ جَعَلَ دَعْوَتَه مظروفه في زمني اللّيل و النّهار للدّلالة على عَدَمِ الهوادة في حِرْصِهِ على إرشادهم و إنّهُ يترصَّد الوقت الذي يتوسّم فيه أنّهم أقْرَب إلى فَهْمِ دَعْوَتِهِ منهم في غيره من أوقات النّهار و من أوقات الهدوء و راحة البال و هي أوقات اللّيل»[1] إنّ هذا الحِرص من المفترض أن يؤدّي إلى استجابة قومِهِ لدعوته غير أنّ النّتيجة كانت غير ذلك ﴿ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴾ .



ح1

﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴾:

مرّة أخرى يعتمد نوح حجّة التّعارض بين مَا قَدَّمَه لقومِهِ و بين النّتيجة المترتّبة عن ذلك الحرص، إذْ تؤكّد "كلّما" تكراره دَعْوتهم بالإقبال على الله تعالى طلباً لمغفرة ذنوبهم غير أنّ النّتيجة هذه المرّة كانت من خلال اعتراضهم باعتماد الحوار غير اللّغوي أي السّلوك الحركي و الذي يُعَدُ « مستوى من المستويات الشّكلية ذَات المكانة الخاصّة في عملية التفّاعل الكلامي»[2] و يمكن أَنْ يُحْدِثَ تأثيرًا أشَدّ و أعْمَق من اللّغة و تتمثّل

[1] الطّاهر بن عاشور: التّحرير و التّنوير، ج29 ، ص ، 194.

[2] محمد العبد: العبارة و الإشارة، دراسة في نظرية الاتصال ، مكتبة الآداب، ط 01، ، القاهرة، 2007 ، ص 133.

وظيفَته الحجاجية انطلاقًا من السّياق التّواصلي الذي وُظِّفَ فيه، إذْ نكتشف من الآية السّابعة من سورة "نوح"حرص نوح على دَعْوَتهم و عَدَم توقّفِهِ عن ذلك و استنفاذ قومه لكلّ سُبُل الاعتراض عن الدّعوة الأمر الذي جَعَلهم يلجأون إلى تلك السّلوكيات كإستراتيجية لقطع التّواصل مَعَهُ كما نلاحظ تقديم تعطيل السّمع ﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ و الرّؤية ﴿ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ لأنّ السّمع هو منفذ تزويد العقل بالمعارف وهو أكثر الحواس ارتباطًا بالعالم الخارجي كمَا يتمُّ من خلاله تلقي المعلومة من الجهات السّت لِذا يأتي وضع الأصابع في الآذان لقطع التّواصل مع نوح ثم يأتي تعطيل الرّؤية الأمر الذي يؤُكِّد سّد كلّ منافذ التّواصل مع نوح لقد « جمع القول المحكي عن نوح عليه السّلام بين الامتناع عن استقبال الدّعوة عن طريق السّمع و البصر و في الجمع بينهما تأكيد مضموم إلى تأكيد الإصرار على عدم الاستجابة »[1] ؛ إنَّ هذه السّلوكيات تؤكّد حرص نوح على دعوة قومِهِ من جهة و من جهة ثانية تؤكّد عنادهم و إصرارهم على كفرهم و قطع سُبُل التّواصل مع نوح بسدّ الآذان و حجب الرّؤية كإستراتيجية لِدَفْعِهِ إلى التّوقف عن دَعْوَتِهِ .

تتبنى الحجّة كما يلي:

ح2

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ فـ

نتيجة رابط سبب رابط استنتاجي

سببي ضمني

﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾

نتيجة

[1] عيد بلبع : دلائل الإحكام مقدمة في نظرية الإعجاز و البلاغة القرآنية دار النّابغة للنّشر و التّوزيع ، طنطا ، ط 1، 2019 ، ص 310.

﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾:

مرّة أخرى يعتمد نوح حجّة التّعارض من خلال حِرصِه على كيفيات الدّعوة حسب المتلقي من جهة و طبيعة مرحلة الدعّوة من جهة أخرى يقول صاحب "الدّرر":« والظّاهر من حَالِهِ و من هذا التّرتيب مِمَّا صَرَّحَ بِهِ من الاجتهاد أنّهّ سّارّ فيه على مقتضى الحكمة فدعا أوّلا أقرب النّاس إليه و أشدّهم به إِلْفًا ثم انتقل إلى من بعدهم حتّى عمّهم الدّعاء وكانت هذه الدّعوة سِرًا كلّ وَاحِد منهم على حِدَتِهِ ليعلموا نُصْحَه و لا يَحْمل أحدً منهم على تبكيت و لا على تقريع ؛ جهرًا ليعلموا أنّه ملجأ من الله إلى ذلك و أنّها عزمة إن قصّروا فيها عن الإجابة عوقبوا فَلَمّا أصَرُّوا جمع بين السِّر و العلن فلما تمادوا و طال الأذى شكا»[1] و تتأكّد الطّاقة الحجاجية لهذه الحجّة في وظيفة الرّابط "ثم" الذي يربط بين الحجج ترتيبًا يراعي ذلك التّراخي الزّمني بين كيفية و أخرى لقد «ساعدت ثم بما أفادته من مطّ الزّمن بين مراحل الدّعوة على إعذار نبي الله نوح نفاذ صبره مع قومه بعد نفاذ جميع وسائله للدّعوة »[2] إذْ في الوقت الذي تتدرّج فيه الحجج تترتّب و إن كانت كلّ كيفية من كيفيات الدّعوة تستغرق مدّة زمنية طويلة فقد أعطاهم مهلة كافية كي يؤمنوا و بهذا تصبح حجّته عليهم مستحكمة و يعجزهم عن معارضته ؛لقد استمدّ الرّابط فاعليته من المقام الذي قيل فيه « أي مجموع الشّروط الطّبيعية و الاجتماعية و الثّقافية التّي يتحدّد بها ملفوظ أو خطاب منها المعطيات المشتركة للمرسل و المتلقي حول الحالة الثّقافية والنّفسية و الخبرات و المعارف لكلّ واحد منها »[3]؛ لقد تنوّعت الرّوابط بين هـذه الآيـات

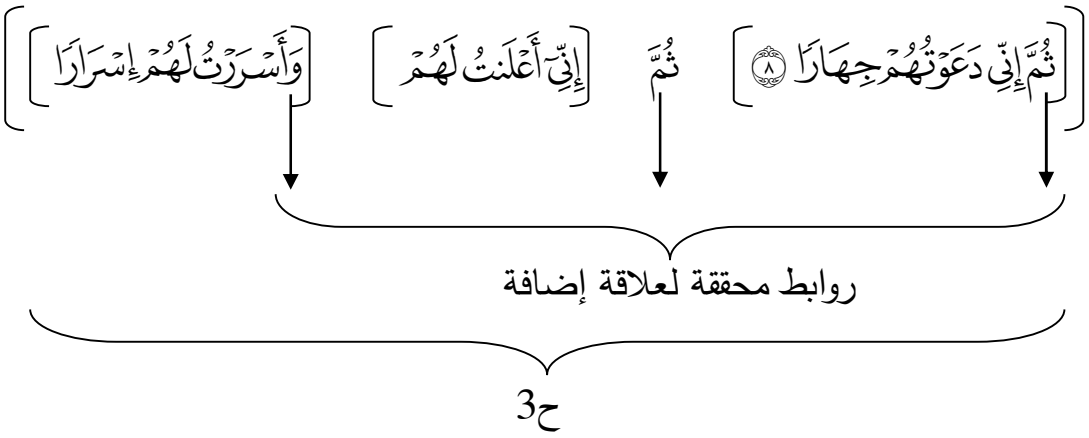
[1] البقاعي: نظم الدّرر، ج 20، ص ،ص 436،437.

[2] عبد الصّمد عبد الله محمد : خطاب الأنبياء في القرآن الكريم ، خصائصه التّركيبية و صوره البيانية ، ص 234.

[3] Jean Dubois / Mathee Giacomo / Louis Guespin/ Christiane Marcellesi / Jean – Baptiste Marcellesi /Jean – Pierre Mevel /Dictionnaire De Linguistique Et Des Science s premiere edition Larouse Bordas CANADA 1999 P 16.

وهذا « يعكس تنوُّع وسائل نوح في دعوته و إصراره على تبليغ هذه الدّعوة بهذه الوسائل فقد كانت في اللّيل و النّهار و في الإعلان و الإسرار و أيضا كانت متتابعة أحيانا و متلازمة أحيانا أخرى»[1]إنّ هذه الكيفيات تستلزم نتيجة وَاحِدة هي الاستجابة لدَعوتِه غير أنَّ النّتيجة تناقض ذلك .

إذن تبنى هذه الحجّة كما يلي:

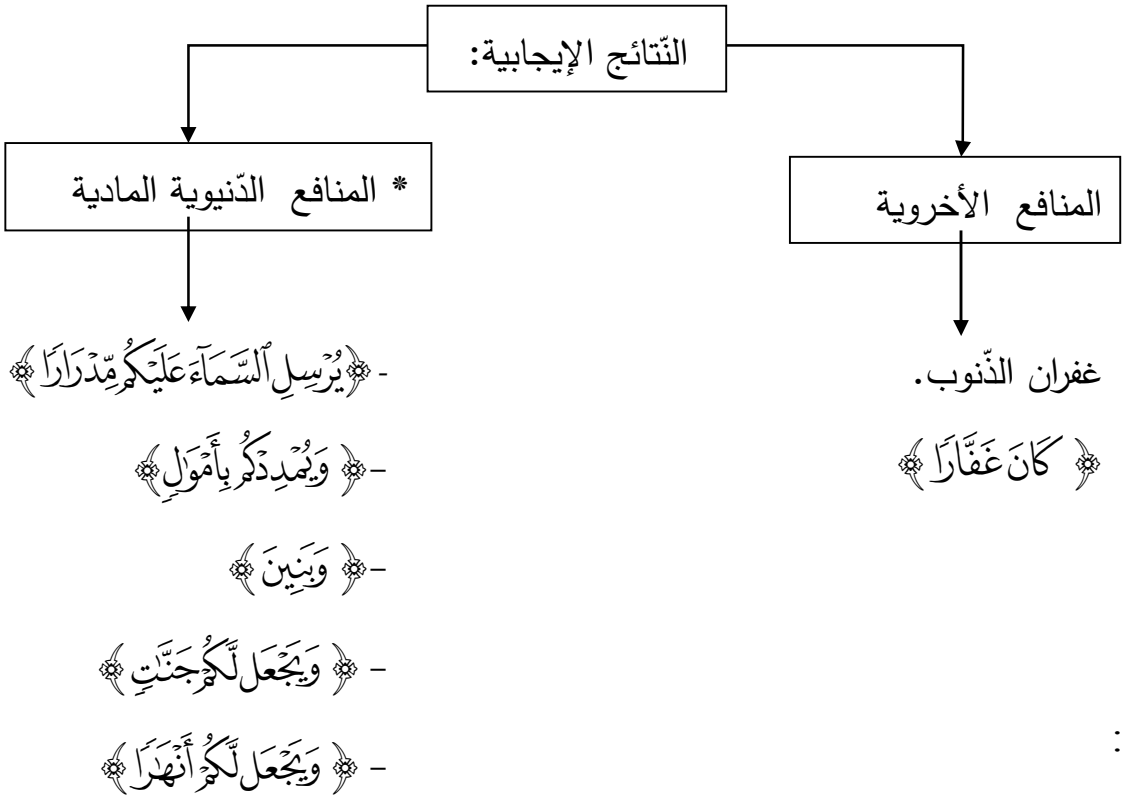


﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾:

اعتمد نوح الحجّة البراغماتية من خلال ربط الفعل (الاستغفار) بنتائجه الإيجابية:

الفعل: (الاستغفار) ⟵ النتائج الإيجابية

[1]صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النّصي بين النّظرية و التّطبيق دراسة تطبيقية على السّور المكية ،ج1 ، دار قباء للطباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ،ط1 ، 2000 ، ص335.



:

يرتبط الاستغفار بسَعادة الدّارين: غفران الذّنوب و بخيرات مادية ملموسة في الحياة الدّنيا، يقول صاحب "الدّرر":« فقال مقدِّما لطلب الغفران بالتّوبة عن الكفر ليطهروا فيكونوا قابلين للتّحلية بالمحاسن الدّينية بعْدَ التّخلية عن الأخلاق الدّنِيَة »[1] لِذا بنى نوح خطابه بناءً استدلاليّا محكَمًا إذْ يتمّ الدّعوة للاستغفار الذي يترتّب عنه غفران الذّنوب والذي يترتّب عنه سعادة الدّنيا من إنزال المطر و إمداد بالمال و البنين و ما يترتّب عن إنزال المطر من جنّات و أنهار.

إنّ مطلب الاستغفار في كلّ أحواله سَعادَة الدّارين منفذها اللّجوء إلى الله وَ طلب مغفرته و سعادة في الدّنيا تتحقّق بما يمنحه الله لعباده المستغفريـــن، غـــير أنّ الـــقوم

[1] البقاعي: نظم الدّرر، ج 20، ص 437 .

استكبروا و عَصَوا فَحُرِمُوا سعادة الدّنيا و الآخرة[1]؛ إنّ الاستغفار لا يعدو أن يكون وسيلة لغاية أسمى فتصبح قيمته مرتبطة بالغاية التي يكون لها وسيلة.

- **الحجج غير اللّغوية:**

« وهي تلك العلامات غير اللّغوية سَوَاء كانت مصاحبة للتلفّظ أم لا مثل الأدّلة المادية »[2] لذا يَضَع نوح – عليه السّلام – إستراتيجيته – مع قومه– بين يدي رَبِّهِ باعتماد الحجج غير اللّغوية و يتمثّل هذا النّوع من الحجاج في «كثرة الاسّتدلال وتوظيف آيات الأنفس و الآفاق و الدّعوة إلى إعْمَال العقل في الكون و مظاهره»[3] بهدف الوصول إلى نتيجة حتمية و هي وحدانية الله و بالتّالي عبادته بالنّظر إلى مَوجوداته.

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾:

يقول "الطّاهر بن عاشور" مُعَلِقًا على استنكارِهِ عدَم توقير قومِهِ لله تعالى :« و هذا يقتضي أن يكون الكلام كناية تلويحية عن حَثِّهم على الإيمان بالله الذي يستلزم رجَاءَ ثوابه و خوف عِقابِه لأنّ من رَجَاء ثوابه و خوف عقابه من رجَاء تعظيم الله إياه آمن بِهِ و عبدَه و عَمِلَ الصّالحات »[4] إنّها النّتيجة التي يريدُ نوح الوصول إليها ؛ توحيد الله تعالى أي توحيد الألوهية ثم يبدأ بعرض الحجج التي تؤكّد ربوبية الله تعالى من خلال دلائله التي تؤكِّد أن لا آله إلا الله « فتوحيد الإلهية متضمّن لتوحيد الرّبوبية دون العكس ، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا و العاجز لا يصلح أن يكون اله » [5] لذا يبـــدأ

---

[1] جاء في المفاتيح « أنّ قوم نوح لما كذّبوه زمانًا طويلاً حبس الله عنهم المطر و أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فرجعوا إلى نوح فقال نوح : استغفروا ربكم من الشّرك حتّى يفتح عليكم أبواب نعمه » ينظر : الرّازي: المفاتيح، مج1، ص 126.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشّهري: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 454.

[3] الحسين زرّوق: الحوار منهج حياة، تأملات في الحوار في القرآن الكريم ، ص 33.

[4] الطّاهر بن عاشور : التّحرير و التّنوير ، ج 29، ص 200.

[5] أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطّحاوي : أصول العقيدة الطّحاوية، ص 18.

بعرض الحجج و هي الحقائق الأقرب إلى القوم لأنهّم يستشعرونها في أنفسهم ﴿ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾ و التي تؤكّد قدرة الله تعالى وعظمته على خلق الإنسان يقول صاحب "نظم الدّرر" في تعليقه على هذه الحجّة« ومن قَدر على ذلك كان قادرًا على الجزاء بالثّواب و العقاب فهو أهْلٌ لأن يُخشى و يُرجى »[1].

﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾:

ينتقل نوح إلى الدّلائل الكونية التي تؤكّد عظمة الخالق و تتأكّد فاعليتها في انسجام خلقها "طِبَاقًا" بعضها فوق بعض و يتأكّد ذلك الانسجام بجعل القمر فيهن نورًا و الشّمس سِراجًا يقول صاحب "المفاتيح": « السِّرَاج ضوؤه عَرَضِي و ضَوء القمر عَرَضِي متبدّل فتشبيه القمر بالسّراج أولى من تشبيه الشّمس به...اللّيل عبارة عن ظلّ الأرض و الشّمس لَمَا كانت سببًا لزوال ظلّ الأرض كانت شبيهة بالسّراج، و أيضًا فالسّراج لَه ضَوء والضّوء أقوى من النّور فَجَعَل الأضعف للقمر و الأقوى للشّمس»[2].

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾:

و هي حجةٌ أُخْرى تؤكّد عظمة الخالق؛ تكشف حقيقة الخلق الأولى و حقيقة المَوت التي يُدركها – المتلقي– في نَفْسِه و يعيشها في وَاقِعِهِ ثم تأتي حقيقة البـعث مـــن جَديد

[1] البقّاعي: نظم الدّرر، ج20 ، ص 441.

[2] الرّازي: مفاتيح الغيب، مج1، ص 129.

وفي ذلك « تنبيه لهم على الإقرار بالميعاد و أنّ الذي أنشأهم من العَدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم »[1].

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ﴾:

و تلك حجّة أخرى: قدرة الله تعالى على بسط الأرض و ما لهذا البسط من حكمة تؤكّد عظمة باسطها و ما فيها من سُبُلٍ لتسهيل تحقيق مآرب النّاس.

لقد أقام نوح حجاجه على المنطق العقلي منطلقا من حقائق يلامِسُهَا المتلقي في نفسِهِ و في الكون الذي يحيط به و كُلُّهَا تؤكّد عظمة الخالق و وحدانيته لعظمتها ولانسجامها كَمَا بنى حجاجة بناءً منسجما من خلال توظيفه للرّوابط الحجاجية فكانت (الواو) لربط الحجج بعضها ببعض متتابعة متساندة و كانت "ثم" للتراخي لما يقتضيه فعل الخلق و البعث من مدّة زمنية تقتضي التّراخي.

إنّ هذا الاسّتدلال ينبني على جزئيات تُشَكِّل في مجموعِها وحدانية مُوجِدِها فهي تُعرِّفُ به من خلال مَوجُوداته المنسجِمة في جزئياتهَا؛ لقد اعتمد نوح على المنطق العقلي والدّليل المادي و لم يعتمد « المعاني المجرّدة لضعفِ تأثيرها في المتلقي، و إنمّا تعتمد على تجسيد المعاني في قوالب و صور محسوسة لإثارة عِناية المتلقي بصورةٍ أشد وترسيخ المعنى و تثبيته في النّفوس »[2] ؛ إنّ تعداد النّعم يدخل ضمن «الاستدلال بالتّعريف ، و هو أن يُؤخذ من ماهية موضوع القول دليلا للإقناع »[3] فذكرُ هذه النّعم و هذه المخلوقات إحصاء لقدرة الله تعالى القادر على الخلق ؛ فالله هو الذي خلق الإنسان أطوارا و هو الذي خلق السّموات السّبع طباقا و هو الذي خلق الإنسان من

[1] عبد الرحمان ناصر السّعيدي : تفسير الكريم الرّحمان في تفسير كلام المنّان، تحق: عبد الرحمان اللّويحق، دار المستقبل للطّباعة و النّشر و التّوزيع، دار الإمام مالك، ط1، الجزائر، 2007، ص 829.

[2] عبد الحليم حقي : أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط3، 1995، ص 44.

[3] نماذج من القرآن الكريم و الحديث ، منتدى ، عربيات آمنة بلعلى :الإقناع المنهج الأمثل للتواصل و الحوار ، www. Arabiat . com

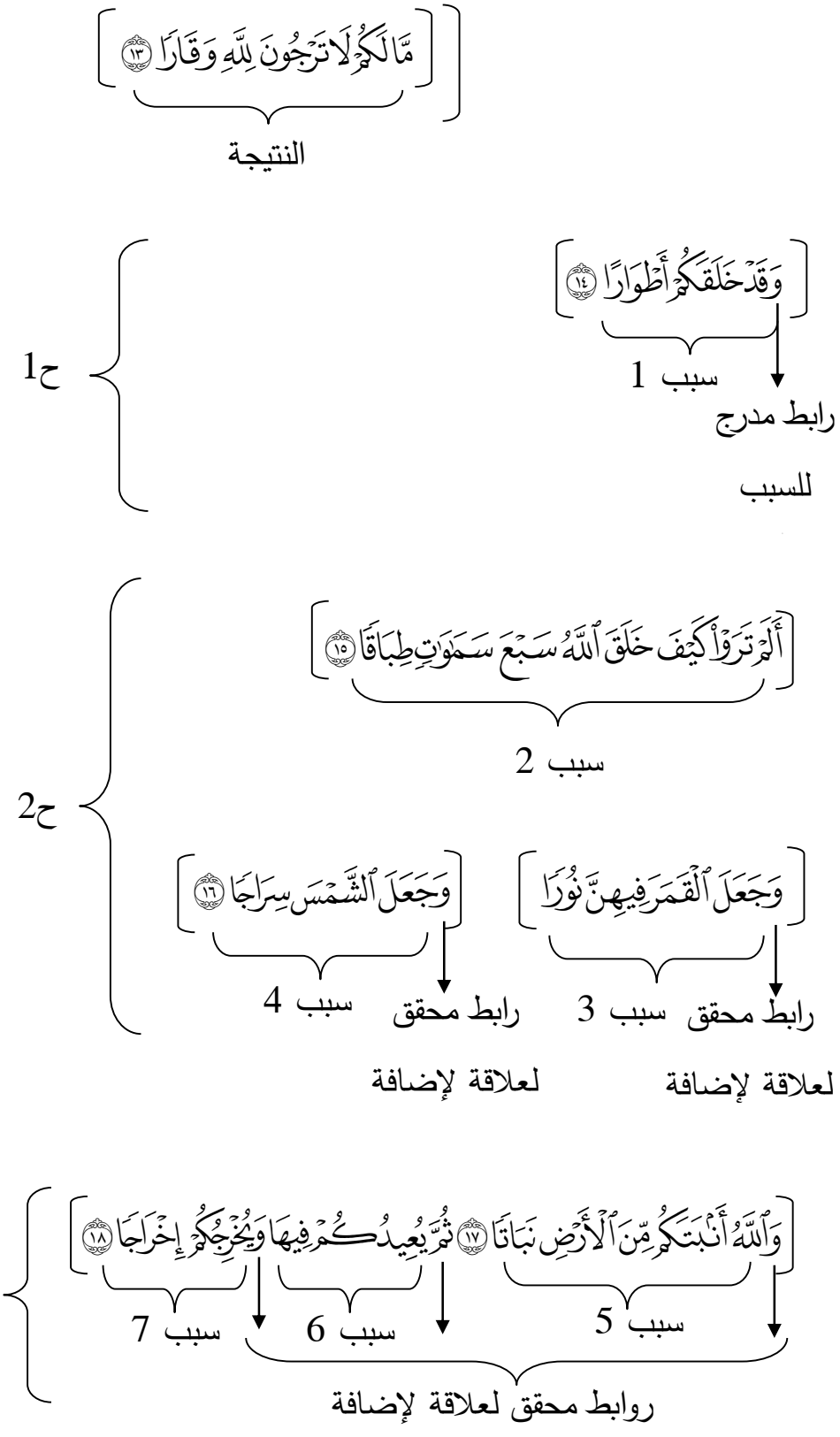
طين و هو الذي بعد هذا الخلق العجيب يُعيدُ الإنسان إلى الأرض حين يتوفاه ثمّ يُعيدُ بعثَه من جديد؛ و هو الذي بسط الأرض ليُسهّل قضاء حوائج خَلقِه ؛ إنّ « إبراز الحجّة و إظهار الدّليل ... إذ مدار البحث عن هذه القضية و التّفكير فيها على العقل وما ينتجه من أدلّة و براهين »[1] إنّها دعوات إلى إعمال العقل من أجل الوصول إلى الإقتناع بأنّ الله الذي يدعوهم إلى توحيده و عبادته هو الذي دبّر هذا الكون العجيب فهو إذن الأحقّ بأن نُوقّرَوه و هو الأحقُّ بالعبادة .

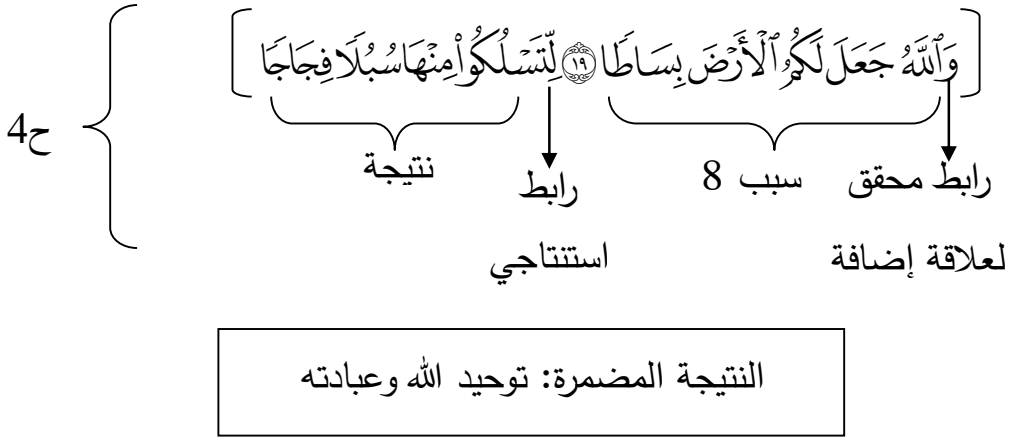
يمكن وضع الحجج وفق السّلم التّالي:

- ن: ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾.
- ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾.
- ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾.
- ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا. ﴾
- ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ﴾.
- ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾.
- ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾.
- ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾

لقد بني نوح تدخّله حجاجيا كما يلي:

[1] مجدي باسلوم : بنات الأفكار في أدب المناقشة و الحوار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط1 ، 2000، ص48.


مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣
النتيجة
ح1
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤
سبب 1
رابط مدرج
للسبب
ح2
أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥
سبب 2
وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا
وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦
رابط محقق
سبب 3
سبب 4
رابط محقق
لعلاقة لإضافة
لعلاقة لإضافة
ح3
وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨
سبب 5
سبب 6
سبب 7
روابط محقق لعلاقة لإضافة



النتيجة المضمرة: توحيد الله وعبادته

إنّ هذه المسيرة الدّعوية المضنية التي سلَكَها نوحٌ مع قومِهِ كفيلةٌ بإقناع المتلقي بوحدّانية الله تعالى وبالتّالي عبادته ؛ لقد دَعَاهُم ليلاً و نهارًا و حثّهم على الاستغفار الذي يجلب لهم المغفرة وإنزال الغيث مع ما لهذا الغيث من آثارٍ على عِمَارَةِ الأرض ونماء الزّرعِ ثُمَ عَمَدَ إلى ذكرِ الآيات التي يستشعرونهَا في أنفسهم من خلق الإنسان و كذا الآيات الكونية المحيطة بهم ؛إنّ هذا الحجاج يتطلّب« الاعتماد على الأدلّة التي تخاطب الحسّ السّليم و العقل القويم الذي يجد نفسه منقادا إلى التّسليم بها و القبول بمقتضياته»[1] ؛غير أنّ كلّ تلكّ الأدلّة لإثبات الألوهية لم تُغيّر معتقد قومه فكانت النّتيجة مناقضة لذلك إذ اعتمدوا وسائل غير لغوية لإقناع المتلقي – قومهم– و صدّه عن الدّعوة ممّا يعني أنّ التّأثير يمكن أن يكون بوسائل خارج لغوية؛ يقول نوح مناجيًا ربَّه مُقِرًا بضعفه و يَأسِهِ من إيمانهم ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ٢١ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤ ﴾ لقد اعتمد نوحٌ حجّة عدم الاتفاق بين مَا قَدَّمَهُ لقومِهِ و ما قوبل به، إنّ هذه النّتيجة – الحجّة– ﴿ رَّبِّ إِنَّهُمۡ عَصَوۡنِي ﴾ –تَصِفُ واقعًا مؤلمًا لنوح يُناقضُ دعاهم إليه طيلة مسيرته الدّعوية يُرْدِفُ ذلك بحجّة سببية حيث يجعل سبب عصيانهم له إتباعهم ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ إذ أقرّ لربّه إغْراء المستضعفين بالمال

[1] طه عبد الرحمن : الحوار أفقا للفكر ، الشبكة العربية للأبحاث و النّشر، ط1 ، بيروت ، لبنان ، ص52 .

وهو لا يملك المال الذي يتبعُونه لأَجْلِه و كان قد أقرّ ذلك في موضع سابق ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾

كما أقرّ لربّه ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ و يتمثّل مكرهم في تحريض القوم على التّمسك بآلهتهم ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾ يقول "الرّازي": «كأنّهم قالوا هذه الأصنام آلهَةٌ لكم و كانت آلهةٌ آبائكمٌ فلو قبلتم قول نوحٍ لاعترفتم على أنفسكم أنّكم كنتم جاهِلينَ ضَالِينَ كَافرِينَ و على آبائكم بأنهّم كانوا كذلك »[1] إنّ هذه البنية الصّريحة تتضمّن بنية مضمرة تتمثّل في:

التَمَسك بآلهتكم ←—— ح 1

التَمَسك بآلهة آبائكم ←—— ح 2

ن: رفض دعوة نوح

لقد اعتَمَدَ نوح على القول المنقول Discours rapporté المُحَمَّلِ بطاقة حجاجية كبيرة و هي حجّة أمام الله تعالى على القوم و من ناحية أخرى تحمل طاقة حجاجية كبيرة من خلال وظيفتها التّأثيرية في المتلقي إذ يأتي توظيف الرّمز الذي يُشكّل قيمة لدى المتلقي –القوم– و هو « مُنَاوَرة يَسْعَى من خِلَالِهَا إلى تجنُبِ الحِجَاج الحقيقي »[2] إنّ الحـــديث

[1] الرّازي: مفاتيح الغيب، مج15 ، ص 131 .

[2] حسان الباهي: الحوار و منهجية التّفكير النّقدي، ص 203.

عن وظيفة هذه الحجّة –الرّمز– يَدْفَعُنَا إلى البحث عن السّياق الذي قِيلَت فيه سواء بالنّسبة إلى نوح لربّه أو بالنّسبة إلى الملأ الذين كفروا لقومهم.

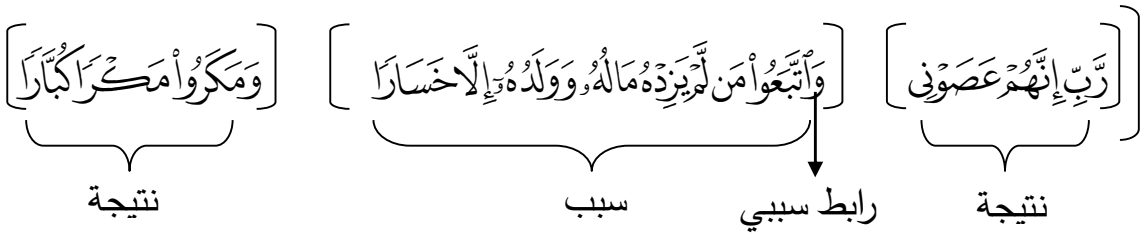
يكشفُ السّياق أنّ تحريض الملأ الذين كفروا قومَهُم من أجل التّمسك "بآلهتكم" كان بعد أن آمن بنوح من آمن ؛إضافة إلى عدم تَوَقُّفِ نوح عن دَعْوَتِهِ لذا يأتي توظيف هذا المشترك لصّدهم عن الدّعوة و يؤكّد نوح قدرة الملأ على التّأثير في القوم ﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ﴾.

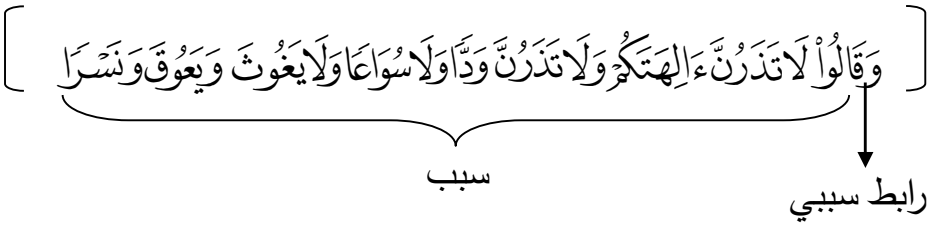
لقَد اعْتَمَدَ المرسِلُ – الملأ الذين كفروا– أسلوبَ الإغراءِ بالمَالِ « وَ هُوَ أُسْلُوب يتّجه نَحْوَ مخَاطَبَة العَاطفَة (ترهيبا و ترغيبا) حيث يلعب على الجَوانِب النّفسِية والمشَاعِر الحَّساسَة و هو تغييب شبه كُلِي للعقلانية »[1] كما اعتمدوا على تعبئة المرسل إليه بإثارة عصبيتِهِ لأنّ المُرسِلَ يُدرِك مَكَامن الضَّعْفِ لدَى مُتَلَقِيهِ؛ لِذَا فإنّ التّفْرِيطَ في التّمسك بالآلهة تفْرِيط في الانتماء و طَعن في الآباء و إضعاف للجماعة؛ لذا يأتي بناءُ هَذه الحجّة بناءً محكمًا من خلال توظِيف ضَمير الجمع المخاطب "آلهتكم" و كذا تخصيص الآلهة بأسمائها لإلهاب حَمَاس المخاطب حتّى يضمن الملأُ تحريضَ الكُلّ و من هنا تَتَضِح القيمة التّأثيرية لهذه الحجّة بقول "السّيد قطب":« و قالوا لا تَذرُنّ آلهتكم بهذه (آلهتكم) لإثارة النّخوة الكاذبة الآثمة في قلوبهم و خَصَّصُوا من هذه الأصنام أكثرها شأنا مخصُوصا بالذّكر ليُهَيّجَ ذِكرُها في قلوب العامّة المضلّلة و .....الاعتّزاز»[2] لقَد أَقَرّ نوح لربّه نجاعة هذه الحجّة و فاعليتها و بالتّالي تأثيرها ﴿وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ ﴾.

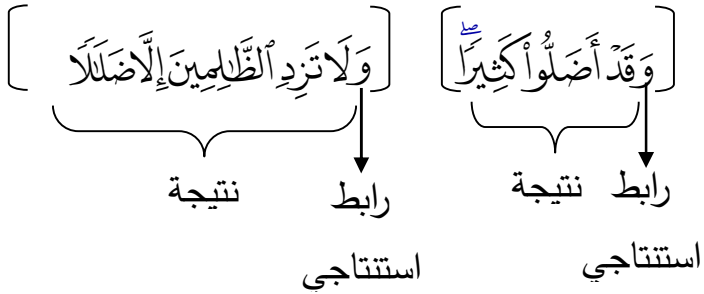
إذا يبني نوح تدخُّله كما يلي:

[1] عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نُغَيِر، ص 20.

[2] سيد قطب : الظّلال، ج 6، ص 3716.







إنّ أهمَّ ما يُمكِن استخْلَاصُه من تحليل سورة "نوح":

- أنَّ نوحَا لا يشكو أذى قَومِهِ له و هو بذلك لا ينتصر لِنَفْسِهِ.
- أن إستراتيجية نوح مع قومه أدّت إلى نتيجتين: ن1: رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى.

ن2: وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ.

لتَتَحَوَّل النَّتْيجَتان إلَى حجتين يقرهما نوح لربّه تؤكّدان يَأْسَهُ من إيمان قومِهِ وتتَمَثَّل القُوّة الحجاجية للحجّة الأولى كونها تتعدّى عصيان دَعوَته إلى التّأثير في الآخرين وصّدهم عن الدّعوة، لتطال المؤمنين بدعوته.

ح1: رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى.
ح2: وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ.

ن: وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا

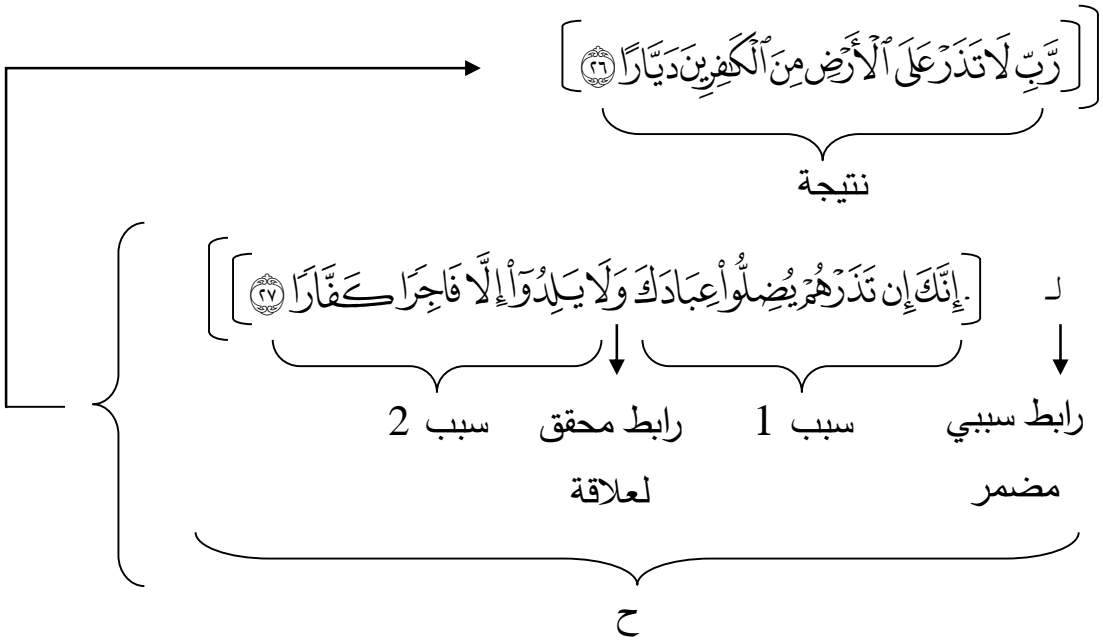
و تأتي حجّة الاستحقاق لتؤكّد استحقاقهم زيادة الضّلال نتيجة موقفهم من دعوته، إذْ أنّ الأمر لم يتوقّف عند عصيانهم لدعوته بل تضليلهم للمؤمنين به؛ و يأتي الدّعاء الختامي ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ۝٢٨ ﴾ يدعو نوح على قومه بالهلاك و هو يعلم أنّ الله يعلم؛ لقد اعتمد نوح حجّة الماهية أو الذّات من خلال « تفسير حدث أو موقف ما أو التّنبؤ به انطلاقًا من الذّات التي تعبّر عنها و تجليها و توضحها»[1] فنوح يقرُّ بالتّفاعل بين قومه وأفعالهم إذ تنبأ بما يمكن أن يفعله قوم﴿ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ﴾منطلقا في ذلك ممّا خبره عنهم و مَا عَهِدَهُ منهم، فالصّلة بين قومه و أفعالهم ثابتة لأنّ تصرفاتهم معلومة لديه و سيضلوّن كذلك متى ما أبقاهم الله و لم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر و قد أكّد ذلك ﴿ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ ﴾ إنّ هذه الحجّة تؤكّد على إقرار التّفاعل بين قومه و أفعالهم وبقـدر ما تؤكّد قدرة قومه على الفعل تؤكّد قدرة الله تعالى على أخذِهم و عَدَم إبقاء أَحَد منهم لتتأكَّد قدرة الله تعالى.؛ ثم يأتي الدّعاء الختامي ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ ﴾ وفق سلّم حجّاجي « بين المتعاطفين على أساس من فكرة الرتبة في الفضيلة »[2] كما كشف هذا الدّعاء « عن علاقة وجودية خاصّة في النّفس الإنسانية بين الإقرار بحقيقة التّوحيد و فضيلة البرّ بالوالدين عن طريق إنشاء سياق من التّعاطف المعبر عن نظرة كليّة للوجود إذ لا يكون هذا الوجود بغير فعل المنـــعم كما لا

[1] سامية الدّريدي: الحجاج في الشّعر العربي (بنيته وأساليبه) ، ص 228.

[2] عفت الشّرقاري: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النّهضة العربية للطّباعة ، النّشر، بيروت، 1981، ص 204.

يكون الإنسان بغير نعمة الوالدين»[1] ليكون هذا الدّعاء حجّة استحقاق المغفرة لهؤلاء المؤمنين مع الدّعاء على الظّالمين في الأخير﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ و الذي يمثّل أيضا حجّة استحقاق الأخذ بالعذاب لكلّ هؤلاء نتيجة ظلمهم وعدم إيمانهم.

ينبني تدخل نوح كما يلي:



يمكن أن نستخلص ما يلي:

- ما جاء به نوح في سورة "نوح" هو تأكيد على وحدانية الله الموجِب لعبادته راعى في ذلك مقام دعوته لقومه حتّى تؤدّي حُجَّتَه وظيفتها التّأثيرية.
- تتمثّل وظيفة الحوار في سورة "نوح" – و التي تُشكِّل في مجُملِها تقريرًا نهائيا أمام الله تعالى– في الوظيفة التّوضيحية إذْ تُوضّح بعض المواقف التي كانت في زمـــن الحكي

[1] عائشة عبد الّرحمن : الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ،مصر، 1971، ص،ص 142،143 .

وأغفلها السّرد القرآني فيما سبق من السّور لذا تأتي هذه الوظيفة لتوضّيح إستراتيجية نوح الدّعوية و كذا إستراتيجية قومه.

- اعتماد نوح حجّة التّعارض و عدم الاتفاق التّي تؤكّد حِرصَه على دعوة قومِهِ و اجتهاده في ذلك لتكون النّتيجة مُناقضة لذلك.

4.I. المرحلة الرّابعة: إنهاء الدّعوة و بداية مرحلة الجزاء:

يأتي الأمر الإلهي بإنهاء الدّعوة و كان نوح قد أقرّ لربّه عصيان قومه له وعدم قدرته على مجابهتهم ،إنّ أيّ مبادلة حوارية – حسب موشلر– تتوقّف حين يتحقّق الاتفاق بين المتحاورين أي توصّلهما إلى نوع من التّسوية[1] أو كما يرى – "طه عبد الرحمن"– بإلزام المانع أو إفحام المدّعي إذ يُلزَم المانع إذا عجز عن متابعة المعترض لدعوى المدّعي بإحدى وظائفه مع اعتبار عدم قوله أو فعله لأي شيء يؤدّي إلى الانقطاع و يفحم المدّعي إذا عجز عن إقامة الدّليل على دعوى من دعاوي المعترض عليها مع اعتبار عدم قوله لأيّ شيء يؤدّي إلى الانقطاع[2].

لقد دعا نوح قومه لكنّهم حاولوا تعجيزه بطلبهم إنزال العذاب كشرط لصدق نبوّته؛ و لأنّه لم يعد هناك هدفا مشتركا بينه و بين قومه – إيمان آخرين بدعوته– أمره الله تعالى بالتّوقّف عن دعوة قومه لتبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة الجزاء بإغراق المكذّبين و نجاة المؤمنين بدعوته.

[1] Jaque moshler : argumentation et conversation. p 153.

[2] يُنظر : طه عبد الرحمن : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 78.

المقطع الحواري رقم :10. سورة: هود : الآيتان : 37/36.

المقطع الحواري رقم: 10. (الله تعالى/ نوح) .	
01(الله تعالى) : أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ	

التّدخّل 01 (الله تعالى):

يعرض هذا المقطع بداية مرحلة جديدة ؛حيث يأتي الأمر الالهي بإنهاء الدّعوة وبداية صناعة الفلك ليكون وسيلة نجاة الفئة المؤمنة و يكون الإغراق جزاء الذين ظلموا.

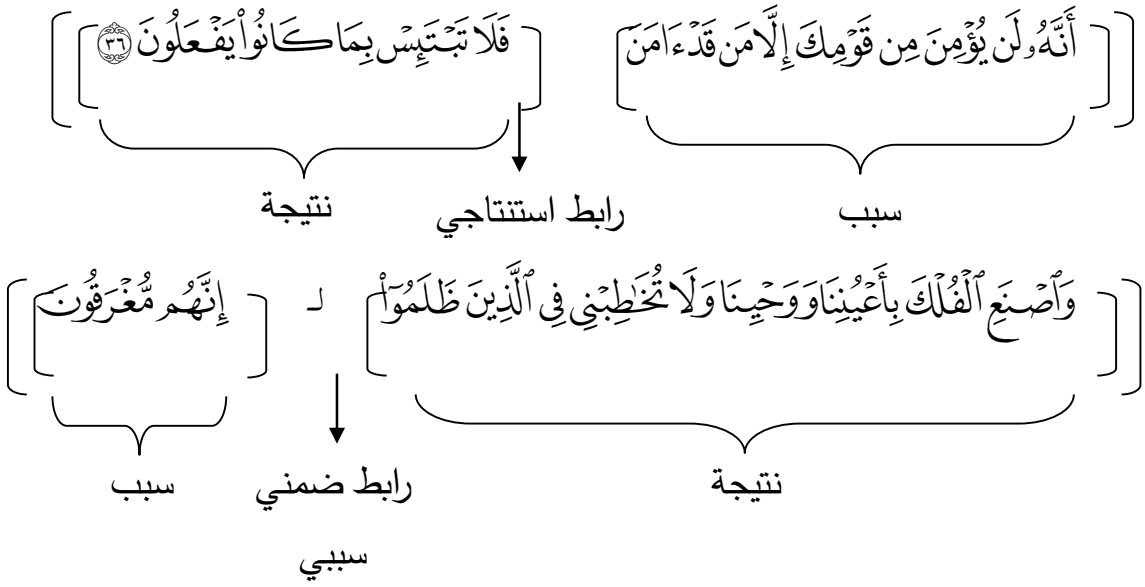
يبدأ الخطاب الإلهي بإقرار عدم إيمان آخرين﴿ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾ هذه الحجّة – و هي حجّة الماهية[1] و التي تربط الشّخص بأفعاله من خلال تفسير حدث أو موقف أو التّنبؤ به انطلاقا من الذّات التي تُعبّر عنه أو تحلّله أو توضّحُه – تأخذ هذه الحجّة طاقتها الإقناعية – إضافة إلى السّلطة الإلهية التي أقرّتها– من العناصر المكوّنة للواقع ذلك أنّ الواقع يحيلُ إلى عدم إيمان قوم نوح بل ارتدادهم عن دعوته ؛حيث أقرّ نوح ذلك إذ دعا ربّه أن ينُجّيه هو و من معه من القوم الكافرين ؛ لذا تتأسّس هذه الحجّة على الرّبط بين الشّخص و أعماله – قومه/ و إصرارهم على عدم الإيمان– من خلال ثبات الشّخصية – بناءً على ما عُرِفت به– أي ثبات قومه و إصرارهم على كفرهم؛ إنّ حجّة من هذا القبيل يمكن في سياقات أخرى أن تُردّ كون ثبات الشّخصـــية لا يمــكن أن

[1] ينظر: سامية الدّريدي :الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه ، ص228 .

يكون قاعدة عامّة إذ قد تغيّر الظّروف سلوكيات الّشخصية ؛ غير أنّها تستمدُّ مصداقيتها من قائلها – الله تعالى– العليم بما كان و يكون ؛ إنّ عدم إيمان آخرين يمكن أن يحُدِث تأثيرا سلبيا على– نوح لذا يُسلّي الله تعالى نبيّه باعتمـــاد حجة التّجاوز﴿ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ؛ فعدم إيمان آخرين لا يجب أن يدفع نوحا إلى الحزن على قومه جرّاء ما كانوا يفعلونه ؛بل يجب أن يتجاوز ذلك إلى مرحلة تالية هي مرحلة الجزاء ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧﴾ والتي تمثّلُ حجّة الاستحقاق ؛ استحقاق النّجاة للفئة المؤمنة التي تحملّت أعباء إيمانها بدعوة نوح و لاقت من التّكذيب و التّعذيب ما لاقت في سبيل إيمانها ؛ إضافة استحقاق الذين ظلموا جزاءهم و هو جزاء أعدّه الله بعد أن أقام الحجّة عليهم بإرسال نوح ليدعوهم إلى التّوحيد و أنذرهم عذاب يوم أليم و لم يدّخر نوح سبيلا لإيمانهم إلاّ سلكه ؛غير أنّهم كذّبوه فآذوه و صدّوا المؤمنين عن دعوته فكان جزاؤهم جرّاء ما كانوا يفعلونُ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ ؛لقد حمل الاعتراض على الحكم بالاحتجاج بالنّتيجة ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ إذ عدل عن اسم الشّخص إلى التّعميم لتتحقّق ثلاثة شروط من شروط المحاجّة – كما قال عبد الله صولة– [1] ارتباط الحجاج بالعام فيصبح له وظيفة المثال الحجاجي ؛كما جعل الطّرف المتلقي متعيّنا مباشرة بالقضيّة المعروضة من خلال مخاطبته بالاسم الموصول "الذين"الذي تُحدّده صفة العقاب "مغرقون" كما جعل هذا الطّرف منقطعا متجدّدا بواسطة العنصر الإشاري﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾

[1] عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم ، ص 205.

بنبني تدجل الله تعالى حجاجيا كما يلي:



المقطع الحواري رقم :11. سورة : المؤمنون: من الآية 27 إلى الآية 29.

المقطع الحواري رقم:11.	**(الله تعالى/نوح).**
01(لله تعالى): أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾	

التّدخّل 01 (الله تعالى):

يأتي الأمر الإلهي بإنهاء الدّعوة و بداية صناعة الفلك ؛لتكون النّجاة من الطّوفان للفئة المؤمنة جزاء إيمانهم و تأتي حجّة تقسيم " الكلّ" أي الفئة المؤمنة إلى الأجزاء المكوّنة له ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ إنّ الغاية من هذا التّقسيم– حسب برلمان –« البرهنة على وجود المجموع و من ثمّ تقوية الحضور بمعنى إشعار الغير بوجود الشّيء موضوع التّقسيم من خلال التّصريح بوجود أجزائه »[1]

تلي ذلك حجّة استحقاق العذاب للذين ظلموا ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ نتيجة تكذيبهم دعوة نوح و يأتي استحقاق النّجاة من الطّوفان و كذا الاستقرار بمباركة إلهية للفئة المؤمنة جزاء إيمانهمٌ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

المقطع الحواري رقم : 12. سورة : هود: الآيتان : 39/38.

المقطع الحواري رقم :12 (نوح / قومه).	
01(نوح): إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾	

[1]عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته ، ضمن كتاب : أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية ، ص 331.

التّدخّل 01 (نوح):

يشير الخطاب القرآني إلى بداية صناعة الفلك بوحي الهي و رعاية ربانية ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾مع توقّف نوح عن دعوة قومه لأنّه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾ الأمر الذي دفع القوم إلى السّخرية من نوح و من آمن بدعوته ﴿إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا﴾

و السّخرية « تدلُّ على فعل سبق من المسخور منه ، سخرت منه فيقتضي ذلك وقع السّخرية منه»[1] و هي « الاستهزاء ، وهو تعجّب باحتقار و استحماق » [2] لذا لعب السّياق دورا مهمّا في إنشاء هذا الردّ السّاخر للقوم و الذي نشأ عن المفارقة كون نوح كان يدعو النّاس إلى طاعته كونه مرسلا من الإله الذي يدعوهم إلى توحيده و عبادته و ها هو الآن نجّارا يصنع فلكا في صحراء قاحلة ؛ إنّ « السّخرية موصولة بخرق العادة ، كما يمكنها أن تصبح إجراء استفزازيا » [3]؛ لقد وعى نوح المفارقة التي يعيشها قومه ؛ بأنّ صناعة الفلك في صحراء قاحلة يبعث على السّخرية ليكون ردّه – هو و من آمن بدعوته- ﴿فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ لقد اعتمد نوح الحجّة القائمة على « العلاقة التّبادلية أو العكسية و التي يمكن أن تنشأ عن قلب وجهات النّظر»[4] أي اختلاف وجهات النّظر حول طبيعة – السّخرية – فسخريتهم « منه حمل فعله على العبث بناءً على

[1] أبو هلال العسكري : الفروق اللّغوية ، ص 254.

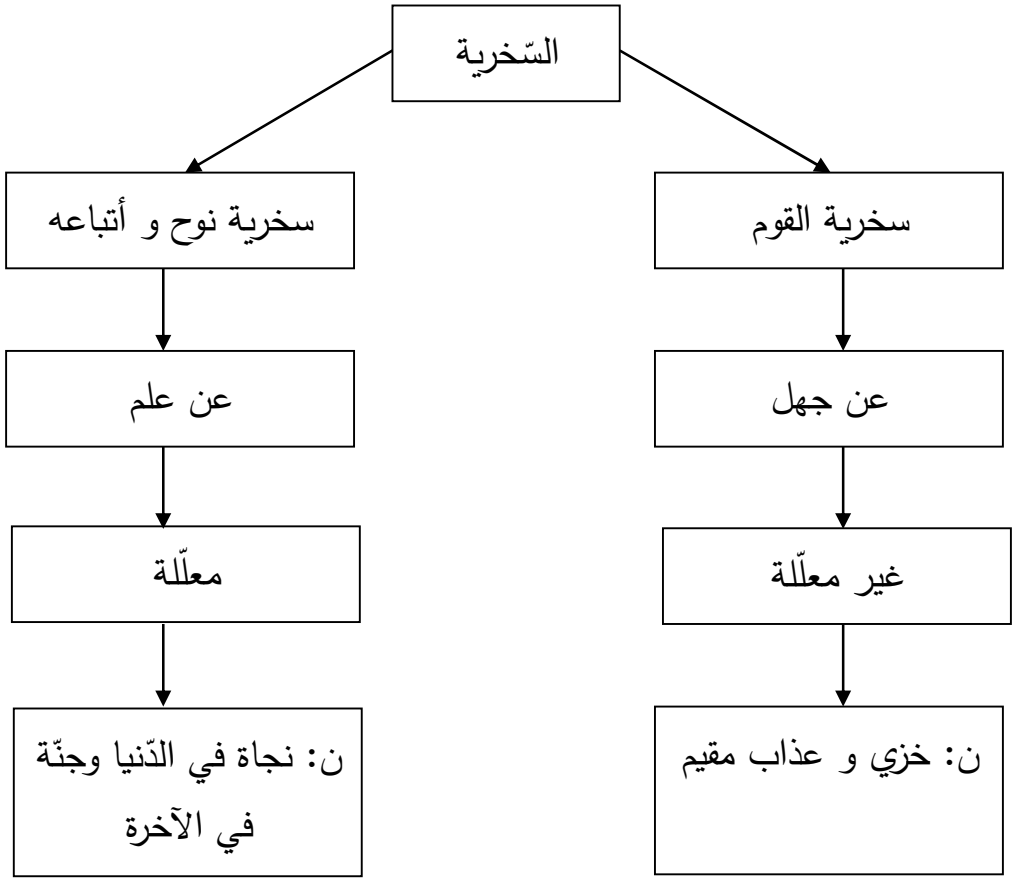
[2] الطّاهر بن عاشور : التّحرير و التّنوير ،ج12 ،ص68.

[3] أمينة الدّهري : الحجاج و بناء الخطاب ،المدارس للنّشر و التّوزيع ، ط1 ،الدّار البيضاء،المغرب ،2011، ص34.

[4] عبد الله صولة : الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتكاه ، ضمن كتاب :أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص 329.

اعتقادهم أنّ ما يصنعه لا يأتي بتصديق مدعاه »[1] ؛ يقول " عبد الوهّاب النّجار " «ولعل أشدّ ما أثار سخريتهم منه أن علموا أنّه يعمل تلك السّفينة لينجو بها و من معه من العذاب النّازل بهم استبعادا منهم لوقوعه »[2] أمّا سخرية نوح و الذين آمنوا بدعوته« من الكافرين من سفه عقولهم و جهلهم بالله و صفاته » [3] ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

ينتج لدينا ما يلي :

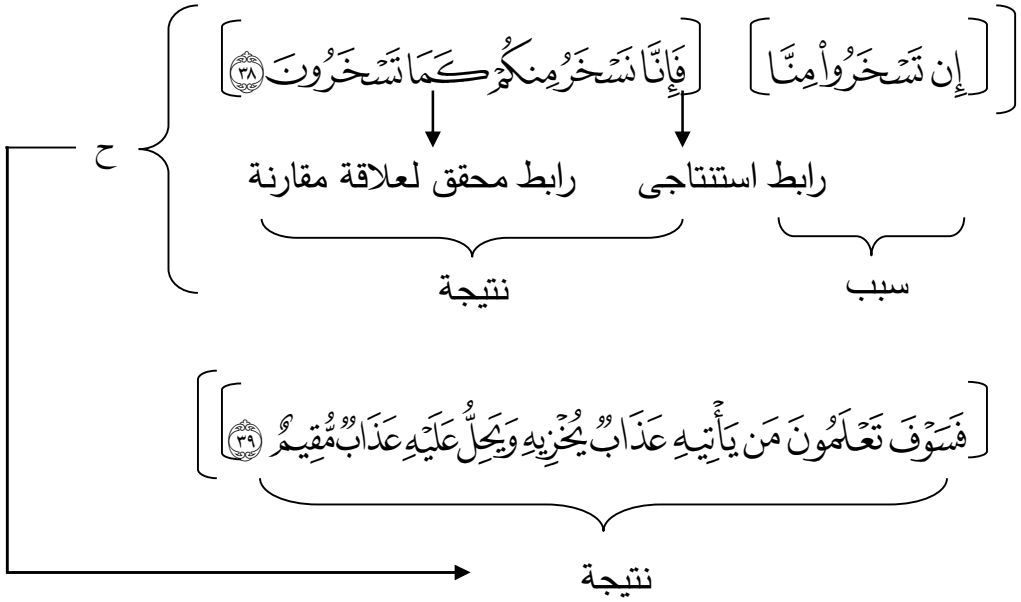


[1] الطّاهر بن عاشور : التّحرير و التّنوير ، ج 12 ، ص 68.

[2] عبد الوهّاب النّجار : قصص الأنبياء ، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، ط2 ، 1987 ، ص 34.

[3] المرجع نفسه : ص 68.

ينبني تدخل نوح حجاجيا كما يلي:



المقطع الحواري رقم :13. سورة : هود : الآية: 40.

المقطع الحواري رقم 13. (الله تعالى /نوح) .	
01(الله تعالى) : ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ	

التّدخّل 01 : (الله تعالى):

يأتي الأمر الإلهي متمثّلا في حجّة التّقسيم ؛ تقسيم الكلّ إلى أجزائه المكوّنة له:

الكلّ: النّاجين.

الأجزاء: * من كلّ زوجين اثنين

* و أهلك إلاّ من سبق عليه القول منهم

* و من آمن.

إنّ الغاية الحجاجية من هذا التّعداد هو إبراز حضور الأشياء كما قال – بيرلمان–.

المقطع الحواري رقم : 14. سورة : هود : الآية 41.

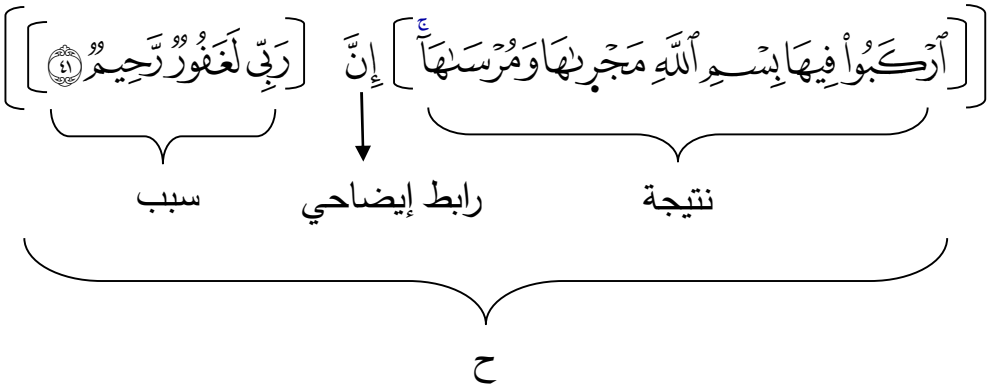
المقطع الحواري رقم:14. (نوح /المؤمنون) .	
01(نوح): ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾	

التّدخّل 01 (نوح):

لقد انطلق نوح في توجُّهه بخطابه إلى جمهور مخصوص – الفئة المؤمنة – إذ يشكّل هذا الأمر – دعاء ركوب الفلك– أحد أسس عقيدة التّوحيد ؛ الأمر الذي دفع الفئة المؤمنة إلى التّعامل بإيجابية مع دعوة نوح – نوح عليه السّلام– يؤكّد ذلك غياب ردّ الفئة المؤمنة و الذي تجسّد عمليا من خلال الامتثال لأمره.

لقد اعتمد نوح الحجّة البراغماتية من خلال ربط ركوب الفلك المقترن بذكر اسم الله بمغفرة الذّنوب ﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ و تأتي﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١﴾« تعليل للأمر بالرّكوب المقيّد بالملابسة لذكر الله تعالى ففي التّعليل بالمغفرة رمز إلى أنّ الله وعده بنجاتهم و ذلك من غفرانه و رحمته »[1].

ينبني تدخّل نوح حجاجيا كما يلي:



المقطع الحواري رقم :15 . سورة : هود : الآيتان 43/42 .

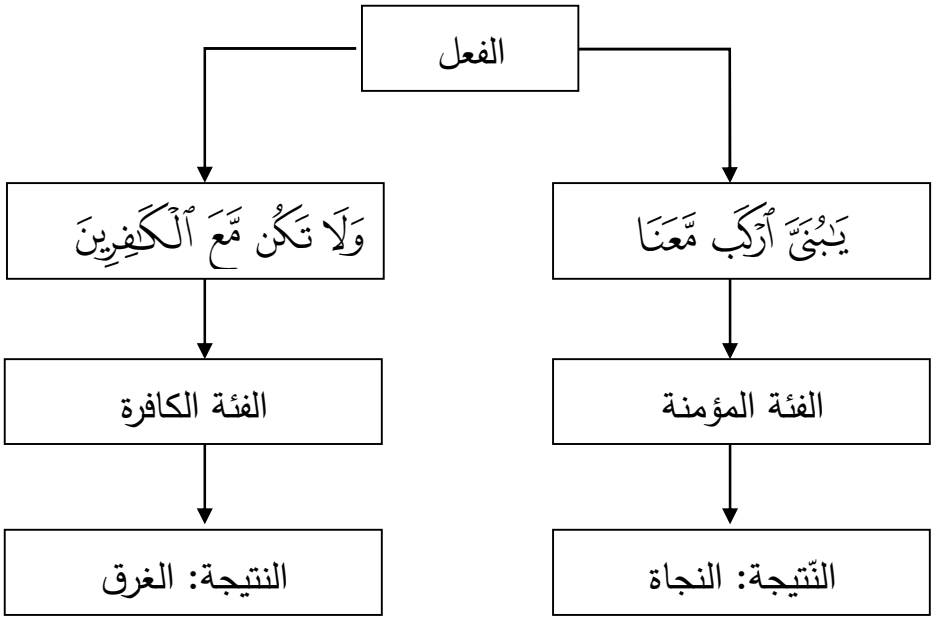
المقطع الحواري رقم:15. (نوح /ابنه).	
01 (نوح): يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢ **02 : (نوح):** لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ	**01: (ابنه) :** سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ

[1] الطّاهر بن عاشور : التّحرير و التّنوير ، ج 12 ، ص 74.

التّدخّل 01 (نوح):

يشكّل هذا المقطع اختبارا حقيقيا لنوح حيث تطفو إلى السّطح عاطفة نوح الأب الذي يدعو ابنه إلى ركوب الفلك مع الفئة النّاجية.

لقد توجّه نوح بخطابه إلى متلقي متعيّن – ابنه– لحمله على الرّكوب معتمدا في ذلك على الحجّة البراغماتية من خلال ربط الفعل بنتائجه الإيجابية؛ غير أنّنا نلاحظ إضمار النّتائج في الفعلين:

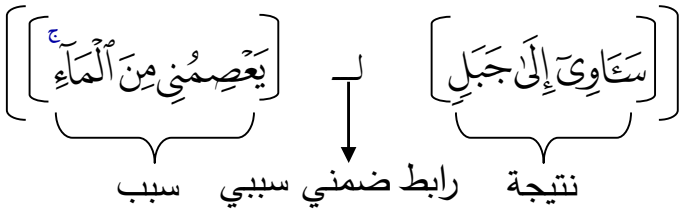


التّدخّل 01 (ابن نوح) :

يأتي ردّ الابن اعتراضا على دعوى نوح معتمدا حجة الاحتمال ؛ إذ احتج الابن عن عدم ركوبه في الفلك ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾و بالتّالي نجاته من الطّوفان بما خبره واقعا فيما مضى ،حيث ربط الواقع بالمحتمل ؛ فالواقع أنّه اتخذ احتياطاته فيما سبق و قد نجا و المحتمل أنّه سيلجأ هذه المرّة أيضا إلى جبل يَعصِمه من المـــاء لذا فإنّ هذه

الحجّة تضطلع بمهمّة تأكيد عناده و كذا عدم إيمانه بالعذاب الذي أنزله الله تعالى على المكذّبين.

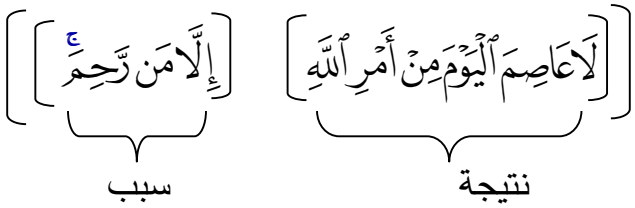
ينبني تدخل ابن نوح حجاجيا كما يلي:



التّدخّل 02 (نوح) :

يأتي ردّ نوح معتمدا حجّة قلب البرهان على صاحبه ،أي إثبات أنّ حقيقة الأمر تناقض ما ذهب إليه الابن أي تقف ضدّه فإذا كانت حجّة الابن مبنية على الاحتمال انطلاقا من الواقع الذي عايشه فإنّ حجّة نوح تنبني على اليقين من إنزال العقاب بالمكذّبين و كذا نجاة المؤمنين بدعوته.

ينبني تدخل نوح حجاجيا كما يلي:



المقطع الحواري رقم: 16 .سورة :هود : من الآية: 45 إلى الآية 48.

المقطع الحواري رقم :16(نوح/ الله تعالى).	
01(نوح) : رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ **02 (نوح):** رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾	**01(الله تعالى):** يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ **02: (الله تعالى):** يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ

التّدخّل 01 (نوح) :

يصوّر هذا المقطع حوار نوح مع ربّه حول عدم نجاة ابنه و كان الله تعالى قد حدّد لنوح النّاجين معه في الفلك ﴿ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ﴾ غير أنّ ابنه هلك فكان من المغرقين، لذا اعتمد نوح حجة إدماج الجزء في الكلّ أو ما يسمى بحجة الاشتمال أي ما ينسحب على الكلّ ينسحب على الجزء ؛فأمر الله نبيّه حمل أهله ضمن من حمل يمثّل (الكلّ) يبرّر حمل ابنه الذي يمثّل (الجزء) .

مقدمة كبرى : وعدتني بنجاة أهلي .

مقدمة صغرى : ابني من أهلي.

النّتيجة : نجاة ابني.

غير أنّ "الطّاهر بن عاشور" يعلّل مناجاة نوح ربه ليغفر له كونه ابنه فهو« لا يجهل أنّ ابنه كافر و لذلك فسؤال المغفرة له عن علم بأنّه كافر و لكنّه يطمع لعلّ الله أن يعفو عنه لأجل قرابته به فسؤاله له المغفرة بمنزلة الشّفاعة له عند الله تعالى و ذلك أخذ بأقصى دواعي الشّفقة و الرّحمة بابنه »[1]لذا تأتي هذه المغالطة عن جهل في تعريف حقيقة الأشياء و طبيعتها إذ أنّ حقيقة الأهل بالنّسبة إلى نوح هي قرابة الدّم التي تقتضي العفو عن ابنه فهو نبي و في « هذا الأسلوب إشارة إلى أنّ نوحا كان متردّدا في الدّعاء لطلب المغفرة لولده لمعرفته أنّه كافر بأمارة كونه في عداد المغرقين »[2].

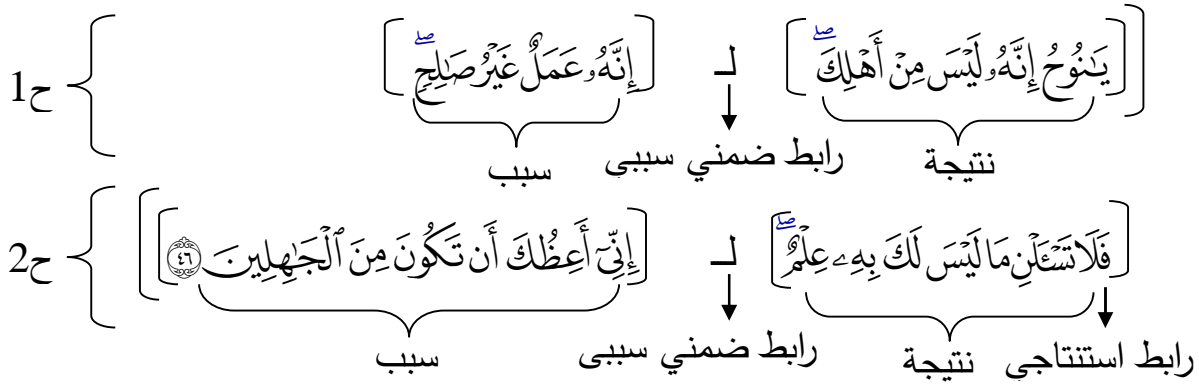
التّدخّل 01 (الله تعالى):

يأتي الردّ الالهي ليحدّد ماهية الأشياء وفق الواقع الجديد ؛فهو ابنه لكنّه ليس من أهله و يبرّر ذلك كونه ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ لذا يعتمد الردّ الحجّة السّببية و التي من خلالها حدّد المفهوم الجديد للأهل الذي يرتبط بالعمل الصّالح أي رابط العقيدة لا بقرابة الدّم؛ ثم تأتي الحجّة البراغماتية و التي تربط الفعل ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ بنتائجه السّلبية ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ .

[1] الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير ج12 ص 85.

[2] عبد الصّمد عبد الله محمّد : خطاب الأنبياء في القرآن الكريم ، خصائصه التّركيبية و صوره البيانية ، ص107.

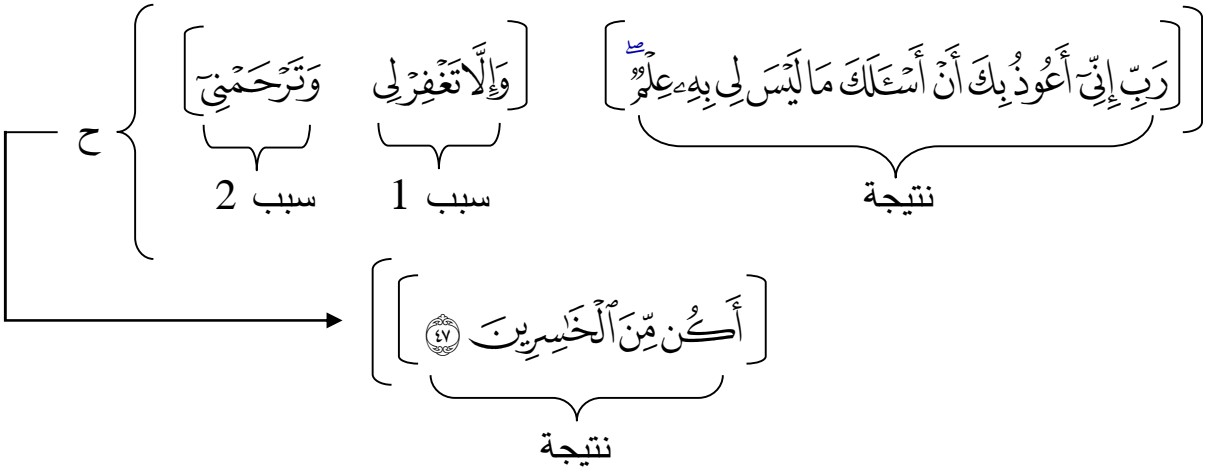
ينبني تدخل الله تعالى حجاجيا كما يلي:



التّدخّل 02 (نوح):

يأتي ردّ نوح بناء على النتائج السّلبية المترتبّة عن سؤاله ما ليس له به علم لذا بنى تدخُّله بناء استدلاليا ينطلق من هذه النّتائج ؛إذ اعتمد الحجة السّببية في دفع عدم مغفرة الله تعالى له لعدم علمه و معرفته بالنّهي عن هذا السّؤال؛ فالسّياق سياق تضرع لله تعالى لذا يرتقي – نوح – بحجاجه إلى طلب المغفرة و اشتماله برحمته معتمدا مرّة أخرى ربط الأسباب ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ ﴾ بالنّتائج السّلبية ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

ينبني تدخل نوح حجاجيا كما يلي:



التّدخّل 02 (الله تعالى):

يأتي الردّ الالهي معتمدا حجّة الاستحقاق ؛ استحقاق التّمكين لنوح و الذين معه ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ نتيجة إيمانهم ثم تأتي حجّة الاستحقاق أيضا للأمم التي تأتي بعد ذلك ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ نتيجة انحرافهم عن الدّين القويم.

خلاصة الفصل :

نخلص بعد هذا التّحليل للبنية الاستدلالية للحوار الحجاجي في قصّة نوح إلى ما يلي:

لاحظنا كثرة القصر بالنّفي و الاستثناء (ما....إلاّ) –و الذي يكون للأمر الذي ينكره المتلقي و يشكُّ فيه – في خطاب نوح مع قومه و هذا من أجل تصحيح ما كانوا يعتقدون أو ما كانوا يُنكرون .

كما لعب القصر وظيفة تصحيح ما كانوا يعتقدون و في الوقت نفسه محاولة تقييد الاحتمالات و توجيه اعتقاد المتلقي و حصره ؛ ثم يرتقي هذا الحصر إلى القصر ب (إن أنا ...إلاّ) من أجل زيادة التّوكيد و قد تعدّدت أشكاله في حوار نوح مع قومه ؛ كما جاء القصر ب (إنّما) – و التي تكون للأمر الذي لا يشكّ فيه المتلقي – لذا ترتبط هذه العوامل الحجاجية بالمقام .

لقد تعدّدت أشكال القصر في حوار نوح مع قومه ؛ منها القصر بالنّفي و الاستثناء و القصر للتّقوية و التّخصيص و قصر العطف و القصر ب (إنمّا) و القصر بضمير الفصل و كلُّها جاءت لتصحيح ما أثُير حول نبوّته و حول بشريته و كذا تقاضيه أجرا مقابل دعوته إضافة إلى دعوتهم له طرد المؤمنين بدعوته لرذالتهم و إمكانية إيمانهم المشروط بطرد المؤمنين بدعوته ليأتي الردّ لتصحيح كلّ ذلك و محاولة إقناعهم بالمعتقد الجديد:

لقد اعتقدوا الألوهية لغير الله فجاء ردّه معتمدا القصر بضمير الفصل﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾

ظنّوا أنه سيتقاضى أجرا مقابل دعوته فجاء رده﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ ﴾

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

و اتهموه بالضّلال المبين فجاء ردّه بالقصر عن طريق العطف في مقام دفع الاتهام ورده ﴿ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾

و طلبوا منه طرد المؤمنين بدعوته فجاء الردّ بالقصر للتّقوية و التّخصيص ﴿ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ١١٣ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٤ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ١١٥ ﴾

فقد قصر ذاته في كونه رسولا حتّى يُقيد وظيفته و قد أعطت أداة التوّكيد شدّة في توكيد وظيفته الرّسالية ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾

كما اعتمد نوح القصر بالنّفي و الاستثناء في حواره مع ابنه لقصر النّجاة من الطّوفان برحمة الله ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ ﴾

كما اعتمد الملأ الذين كفروا من قومه على القصر للتّشكيك في شخص نوح و في دعوته ، كما شكّكوا في المؤمنين بدعوته الذين آمنوا دون روية و تدبّر﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا

مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

أما بالنّسبة للرّوابط الحجاجية فقد لعبت دورا هامّا من خلال الرّبط بين الحجج للتّدليل على الدّعوى أو الرّبط بين الحجج لدحضها و الاعتراض عليها في سلّم حجاجي تدرُجي موجّه إلى المتلقي للوصول إلى النّتيجة المراد الوصول إليها إذ كثُر توظيف (الواو) للرّبط و التّتابع و(ثم) للتّرتيب الذي يقتضي المهلة و التّراخي إضافة إلى لام التّعليل لتّعليل و ربط الأسباب بالنّتائج .

و قد اعتمد المتحاورون بناءَ استدلاليا في عرضهم للحجج حيث لاحظنا كثرة استعمال حجة التّعريف بالنّسبة إلى نوح كأرضية للتّحاور من أجل التّعريف بوظيفته الرّسالية إضافة إلى اعتماد الحجّة البراغماتية و التي تربط الحجّة بنتائجها السّلبية أو الإيجابية كما اعتمد على الحجج التي تنطلق من الواقع و هذا ما يمنحها الصّدق و التّأثير في المتلقي ؛بالإضافة إلى اعتماد وسائل خارج لغوية من خلال الآيات الكونية التي تؤُكِّد الانسجام الكوني المحيط بالمتلقي و الذي لا يمكن أن يُبدِعَه إلاّ خالق واحد.

أمّا الملأ الذين كفروا من قومه فقد اعتمدوا على الحجاج المغالط للتّشكيك في دعوة نوح و المؤمنين بدعوته و ذلك بالطّعن في نوح و في سلامة عقله إضافة إلى اعتماد حجّة القوّة بدل قوّة الحجّة ،كما توجُّهوا بالخطاب إلى المؤمنين بدعـــوة نـوح من

أجل كسب ثقتهم و صدّهم عن الدّعوة بإثارة مشاعرهم و إلهاب حميتهم كما اعتمدوا إلى وسائل غير لغوية كالإغراء بالمال و اللّجوء إلى المشترك و كلّها سبل إقناعية مغالِطة و هي بذلك ليست حجاجا «مغالطا في حدِّ ذاته و لكن استخدامه بطرق غير مشروعة وتضليلية هو الذي يمكن أن يفضي إلى الغلط و التّغليط »[1] ؛إنّ الملأ الذين كفروا من قومه يمتلكون كفاءة حوارية عالية نتيجة طرقهم للعناصر المحقِّقة للإقناع لدى القوم من خلال التّشكيك في العلاقة بين نوح و المؤمنين بدعوته لصدِّهم عن دعوته؛ إضافة إلى اعتمادهم المرجعية الجمعية﴿ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤﴾ ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾ أي اعتماد « الحجاج القائم على الاستعانة بالحماس و العواطف و القول الشائع »[2] إنّ كفاءة المرسل الإقناعية تتحدّد بالطّرف الذي يريد إقناعه و بما يرُكّز عليه من عناصر تُحقّق الإقناع لدى هذا المتلقي.

لقد اعتمد نوح إستراتيجية تروم الإقناع بصياغة خطاب لا إكراه و لا إلزام فيه حتّى يتسنى للآخر الاستيعاب الإيجابي لدعوته ؛ بل للآخر حريّة القول و الاعتراض والدّحض و التّدليل على دعواه و هنا يتجلّى رقي الخطاب القرآني الذي لا ينفي أحد و لا يلغيه و إن كان هذا الآخر قد لجأ إلى القوّة فإنّ الحوار القرآني يقتضي « إتباع أسلوب اللاّعنف و طريقة اللّين لأنّ القصّة القرآنية مرتبطة بالخطّ القرآني الكبير و هو الدّعوة إلى الله و إرشاد النّاس إلى الحقّ »[3]و على ذلك الخطّ سارت جميع الرّسالات.

---

[1] حسان الباهي: منهجية التفكير النقدي، ص 204.

[2] المرجع نفسه : ص 204.

[3] سعيد عطيّة علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، ص 112.

خـــــاتمـــة

خاتمة:

ما يمكن أن نخلص إليه من خلال رحلة بحثنا :

- حاولنا استقراء و تطبيق المفاهيم النّظرية الحديثة في حقل التّداولية على خطاب قرآني له قداسته و مميزاته خاصّة و أنّنا بحثنا في الجانب التّأثيري للّغة إذ توصلنا إلى أنّ ما جاء به النّقاد الغربيون لا يتعارض مع ما جاء به مفسِّرونا ؛بل إنّنا و جدنا تلك المفاهيم مبثوثة في كتب التّفاسير خاصّة "مفاتيح الغيب ""للرّازي" و "نظم الدّرر ""للبقاعي" و "التّحرير و التّنوير" " للطّاهر بن عاشور".
- ارتكزت دعوة نوح على قضيّة التّوحيد وهي القضية الأساس في دعوة كلّ الرّسل ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ الأنبياء:25.
- أنّ القصص أحد مرتكزات الخطاب القرآني و الذي جاء لغاية دعوية و أنّ الحوار أحد مرتكزات هذا القصص و هو الحقل الخصب لممارسة الحجاج.
- أنّ الحوار الحجاجي في قصّة نوح قد تموضع في السّور المكيّة و جاء متساوقا والدّعوة المحمدية و هنا تتجلّى وظيفته التّأثيرية كونه جاء لضرب المثل تسلية للرّسول صلى الله عليه و سلّم و من آمن بدعوته و وعيدا للمكذّبين ؛كما أنّ طول الحوار وقصره يكون حسب وظيفته داخل السّورة ؛فقد يكون مجملا مثلما هو الحال في سورة "يونس" و قد يكون مفصّلا مثلما هو الحال في سورة "هود"أي أنّه يرد حسب السّياق .
- يمثّل الحوار الحجاجي في قصّة نوح حلقة نموذجية من حلقات دعوة الأنبياء كما يمثّل ردّ قومه حلقة نموذجية لردّ الأقوام عن دعوة الرّسل .
- لقد انطلقت دراستنا من اعتبار الحوار خطابا يمكن تحليله على اعتبار أنّه تواصل بين متكلّم –مدّعي– يهدف إلى طرح الدّعوى من أجل التّأثير في المستمع – المعترض–

و الذي يمثِّل الطّرف الثّاني في العملية التّواصلية خاصّة و أنّنا انطلقنا من نقطة وهي أن الحوار في قصّة نوح حجاجي بامتياز لذا كان هدفنا رصد مواضع الحوار في قصّة نوح – عليه السّلام – فوجدناه في السّور المكيّة مع ما لهذا القرآن المكّي من دور في هدم أفكار و معتقدات سائدة و استبدالها بعقيدة التّوحيد الأمر الذي يتطلّب كفاءة حوارية عالية لدى المدّعي للإقناع بالدّعوى ؛كفاءة تراعي كلّ عناصر السّياق حتّى يُـؤدّي الخطاب وظيفته التّأثيرية سواء بالنّسبة إلى نوح أو الرّسول صلى الله عليه و سلّم ؛لذا تتبّعنا الحوار منذ لحظة تكليف الله تعالى نبيّه بإنذار قومه قبل إنزال العذاب بالمكذبين مرورا بدعوة القوم إلى عقيدة التّوحيد و التي أخذت أكبر المقاطع الحوارية حيث تتبعنا إستراتجية دعوته إذ راعى طبيعة المتلقّي و زمن الاستجابة كما اعتمد التّرغيب و التّرهيب و لامس العاطفة من خلال تأكيده في كلّ مرّة على انتمائه إلى قومه و حرصه على نصحهم و تأكيده خوفه عليهم كما لامس العقل من خلال التّذكير بآيات الله المحيطة بهم و التي تؤكِّد وحدانية الله تعالى الذي يدعوهم لتوحيده ؛ في المقابل نجد الإستراتيجية المضادّة للقوم الذين اعترضوا على الدّعوى معتمدين كلّ السّبل لصدّ المؤمنين بدعوة نوح من خلال الطّعن في شخصه و اتهامه بالضّلال المبين و كذا الجِنّة و الجنون و تهديده بالرّجم إن لم ينته عن دعوته.

- إنّ هذا التّواصل بين الأطراف المتحاورة في قصّة نوح – إنمّا كان يتحرّك ضمن مقام معيّن الأمر الذي دفعنا إلى رصد تلك العلاقات التّخاطبية في مستوييها الأفقي والعمودي مع ما لتلك العلاقات من دور في تحديد طبيعة الخطاب و اختيار إستراتجية التّحاور.
- كما شكّلت الأفعال الكلامية عماد الحوار إذ يتحكّم المقام في انتقائها من طرف المتحاورين و كذا توجيهها ؛ إذ مازج نوح بين الخبر و الإنشاء لأنّه ينطلـق مـــن واقع

المخاطب الذي تتعدّد معتقداته لأنّ الغاية من الدّعوى توحيد الله تعالى الذي يدعوهم لعبادته و هذا يقتضي تعداد النّعم التي أنعم بها الله تعالى على قومه من خلق للسّموات و الأرض و الشّمس و القمر...و هذا يقتضي الأفعال الخبرية و هي تشكِّل في مجملها حُججا على المنكرين ؛ كما تؤكِّد وحدانية الله تعالى لذا ارتبطت الأفعال الكلامية بنوعيها الإنشائي و الخبري بالإقناع إذ يحاول المدّعي إثبات الدّعوى و في المقابل يأخذ المخاطب دور المعترض ؛ غير أنّ الأفعال الكلامية خرجت إلى معاني أخرى قصد التّأثير في المتلقي لإقناعه بالمعتقد الجديد بالنّسبة إلى نوح و تكذيب نوح و من آمن بدعوته بالنّسبة إلى الملأ الذين كفروا من قومه.

- إنّ ما يمكن ملاحظته كثرة الأفعال الإلزامية في حوار نوح مع قومه لأنّه يتعهّد هو نفسه بالقيام بالفعل لأنّه رسول من ربّ العالمين ؛ كما كثرت الأفعال التّعبيرية التي ترصدُ الحالة النّفسية للمتكلّم نوح في حواره مع الله تعالى لأنّه في مقام السّلوى ممّا فعله قومه و كذا من خلال توجّهه بالدّعاء لله تعالى.
- لقد حضي الاستفهام بدور هام لأنّه محرّك العملية الاستدلالية و هو إضافة إلى ذلك لا يحتاج إلى جواب إنمّا يعطي للمتلقي الفرصة للإجابة عن نفسه دون إلزام أو إكراه لذا لم يرتبط الاستفهام بأصل الاستفهام بل تعدّدت أغراضه و ارتبط خاصّة بالتّعجب و الإنكار لذا كثُر الاستفهام بالهمزة التي تتلاءم و هذين الغرضين؛ لقد اعتمد نوح على الاستفهام لتحريك آراء المتلقي من أجل تقبُّل أحسن للدّعوة فهو يستفهم ليحرِّك حتّى يُؤثِّر و بالتّالي يُوجِّه لذا فهو يعطي الفرصة للمتلقي للإجابة عن الاستفهامات التّي يطرحها دون إكراه أو إلزام و هو بذلك يأخذ بيد المتلقي إلى نتائج معيّنة تتعاضد كلّها لإثبات مضمون الدّعوى.

- كما لاحظنا النّفي الذي عادة ما يأتي فعلا كلاميا ارتجاعيا يتعقّب قولا سبق ادعاؤه أو إثباته خاصّة في خطاب نوح لذا فهو يأتي لتفنيد الدّعوى و دحضها و الصّرف عنها من أجل تغيير المعتقد و إثبات المعتقد الجديد.
- كما لاحظنا كثرة الأفعال التّوجيهية – الأمر– و ذلك لحمل المتلقي على ما أمر به و لضمان القوّة التّأثيرية لهذا الأمر يربطه بنتائجه الايجابية أو السّلبية و قد خرج الأمر إلى أغراض أخرى فهو التماس في خطاب نوح الموجّه لقومه في مقام الدّعوة إلى التّوحيد و كذا طاعة الرّسول و عبادة الله لأنّها كلّها تقتضي اللّين و التّلطف و النّصح ؛كما ارتبط بالدّعاء في مناجاة نوح ربه استنصارا له عندما بلغ تكذيب القوم لدعوته مبلغه و عندما تجاوز أذاهم له حدّه و إن لم يكن الدّعاء نصرة لنفسه بل للرّسالة التّي كلّفه الله بها و للمؤمنين بدعوته ؛بينما ارتبط الأمر بالنّسبة إلى الملأ الذين كفروا من قومه بالتّحدي و التّعجيز ؛ غير أنّه في خطاب الله تعالى لا يخرج عن غرضه الحقيقي من خلال أمر الله تعالى –أي السّلطة الإلهية العليا –نبيه؛ الأمر الذي يعني التّنفيذ الفوري لما أُمِر به و قد توزّع عبر مفاصل القصّة بدءا بالتّكليف مرورا بالأمر بصناعة الفلك و الأمر بحمل من أمره بحملهم في الفلك و كذا الأمر بدعاء الاستواء على الفلك.
- غير أنّنا لاحظنا قلّة النّهي لما يرتبط به من شدّة لذ ا فهو و إن وُجِد يرتبط بغرض النّصح من خلال حوار نوح مع قومه و بغرض التّسلية و التّنزيه في حوار الله تعالى مع نوح و بغرض التّحريض في حوار الملأ مع المؤمنين بدعوة نوح ؛ غير أنّه يكثُر في حوار نوح –عليه السّلام– مع ربّه حيث خرج إلى غرض الدّعاء.

- كما لاحظنا لجوء الملأ الذين كفروا من قومه إلى التّلميح مع ما له من تأثير في المتلقي و قد لجأوا إلى ذلك لتّحريك طاقة التّأويل من جهة و نأيًا بالنّفس من جهة ثانية حتّى لا يقعوا في مواجهة مع المؤمنين بدعوة نوح .
- قد كثر التّكرار في حوار نوح –عليه السّلام– مع قومه (ياقومي) من أجل احتوائهم و استدراجهم قصد إقناعهم لذا يلعب المحتوى الذي يأتي بعد هذا التّكرار دورا أساسيا لتوضيح معالم دعوة نوح و كذا تمثُّلِها دون إلزام أو إكراه.
- أما بالنّسبة إلى الرّوابط الحجاجية فقد لعبت دورا هامّا من خلال الرّبط بين الحجج للتّدليل على الدّعوى أو الرّبط بين الحجج دحضها و الاعتراض عليها في سلّم حجاجي تدرُجي موجّه المتلقي النّتيجة المراد الوصول إليها إذ كثر توظيف (الواو) للرّبط و التتابع و(ثمّ) للتّرتيب الرّتبي الذي يقتضي المُهلة و التّراخي إضافة إلى لام التّعليل ؛ لتّعليل و ربط الأسباب بالنّتائج ؛لذا تلعب هذه الرّوابط دورا هامّا في تحديد مقصد المتكلّم و كذا حصر و توجيه المستمع نحو مقصد هذ الأخير مع ربط تلك العوامل بالمقام .
- لقد جاءت دعوة نوح لتغيير المعتقدات السّائدة وإحلال عقيدة التّوحيد محلّها لذا يجب تفنيد تلك المعتقدات و هدمها و إعطاء البديل مكانها و لا يتأتّى ذلك إلاّ بتوظيف العوامل الحجاجية من أجل إقناع المتلقي بهذا البديل لذا يتواتر القصر بالنّفي و الاستثناء (ما...إلاّ) لأنّها عوامل تُقيِّد الاحتمالات بل إنّها تحصر المضمون و كذا المتلقي في احتمال واحد إذ نجده يتواتر في خطاب نوح نتيجة ما أُثير حول دعوته من إنكار و تشكيك في نبوّته و في كونه ليس ملَكا حتّى يكون رسولا و في تقاضيه أجرا ماديا مقابل دعوته فيأتي العامل لتّصحيح ما كانوا يعتقدون و محاولة توجيه

القول و حصره نحو نتيجة أو مضمون يريده المتكلّم و يرتقي هذا الحصر إلى الحصر (إن ..إلاّ) حين يزداد إنكار القوم .

- لقد تعدّدت أشكال القصر في خطاب نوح من قصر بالنّفي و الاستثناء و إنّما والقصر للتّقوية و التّخصيص و قصر العطف و القصر بضمير الفصل و كلّها جاءت لحصر القول و توجيهه.
- كما اعتمد الملأ الذين كفروا من قومه نفس العامل الحجاجي (ما...إلاّ) لتوجيه القول و حصره و قد ارتبط بالطّعن في نوح و في دعوته و كذا في المؤمنين بدعوته.
- إنّ ما يمكن الإشارة إليه هو اعتماد أطراف الحوار في قصّة نوح–على نوعين من الحجاج إذ عمد نوح إلى ردّ الشبهات و أسّس خطابه على الإقناع الذي ارتكز في كلّ مرّة على حجة التّعريف لإزالة الغموض و كذا للتّعريف بوظيفته الرسالية و كذا التّعريف بالإله الذي يدعوهم لتوحيده و عبادته ؛ كما بنى خطابه على الحجج التي تنطلق من الواقع إذ ربط الجزاء الدّنيوي بالجزاء الأخروي كما اعتمد الحجج المادية التي تلامس واقع المتلقي من أجل إقناع قومه بدعوته مع التزامه بعدم إلزامهم بذلك بل إنّه ترك لهم مسافة حتّى يقتنعوا بما يدعوهم إليه إضافة إلى تجسيده العملي لدعوته حتّى يُصدِّق الفعلُ القولَ ؛ فهو لم يترك منفذا إلاّ سلكه سواء بمخاطبة العاطفة أو العقل ترغيبا و ترهيبا أو بتحريك العقل للتّفكير للوصول إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى لفعل بنتائجه الإيجابية و السّلبية ؛ لذا كثُر توظيف الحجج البراغماتية التي تربط إضافة إلى الوسائل غير اللّغوية من آيات الكون و آيات النّفس التي تؤكّد انسجام الكون الذي يقتضي الإيمان بوحدانية الله الذي يدعوهم إلى عبادته؛ في المقابل نجد الملأ الذين كفروا من قومه يمتلك كفاءة حوارية عالية نتيجة

طرقه للعناصر المحقّقة للإقناع لدى المرسل إليه – المؤمنون بدعوة نوح من خلال التّشكيك في العلاقة بين سيّد و مسود لا بين نبي مصطفى من ربّ العالمين و بين قوم يتخذون من الشّرك منهج حياة ؛و كذا التّشكيك في نبوّته من خلال بشريته كونهم لا يعترضون على الرّسول؛ إضافة إلى اعتمادهم المرجعية الجمعية من خلال الآباء الأولين لصدّ المؤمنين عن الدّعوة إنّنا في الوقت الذي لاحظنا فيه طعنا في نوح نجدهم يستعطفون المؤمنين بدعوته و هم الأراذل لأنّ الهدف من الطّعن في الأوّل من أجل أن يُسلِّم و ينسحب و يتوقّف عن الدّعوة بينما الهدف من استعطاف قومه فمن أجل إثارة عواطفهم و تعبئتهم و كسب ثقتهم من خلال إثارة مشاعرهم و إلهاب حماسهم و حميتهم و إغرائهم بالمال و كلّها مغالطات لصدّهم عن الدّعوة و بالتّالي إيقاف زحفها.

- لقد تجلى لنا من خلال الحوار في قصّة نوح رقي الخطاب القرآني من خلال إعطاء الآخر حقّ القول و الاعتراض و الدّحض و التّدليل حتّى و لو كان يشكّل النّقض لنا.
- لقد اعتمدنا على دراسة الحجاج الذي يشكّل الحوار حقلا خصبا له في خطاب قرآني يعتمد بالأساس على الإقناع بالمعتقد الجديد لتكون عملية التّفاعل بين أطراف الحوار عملية تبادلية غير أنّنا لاحظنا خروج دائرة التأّثير بين أطراف الحوار إلى متلفين آخرين خارج النّص إذ يتساوق القصص القرآني مع الدّعوة المحمدية و بالتّالي يتجاوز التّأثير إلى متلقي الخطاب الأوّل محمد صلى الله عليه وسلم و إلى متلقي القرآن العام.

1. لقد كشفت لنا دراستنا للمقاطع الحوارية الحجاجية في قصة نوح عن بنية معقّدة لأنّ التفاعل الكلامي مبني على قواعد و أسس على كلّ المستويات .


مصطلحات الدّراسة

مصطلحات الدراسة:

الإساءة.....Abuse

الاتفاق و التّفاوض و الإضراب.....Accord, négation et concession

الفعل الحملي.....acte de prédication

الفعل الإحالي.....acte de réference

فعل القول.....acte dénonciation

الفعل الإنجازي.....acte illocutionnaire

فعل الكلام الغرضي.....acte illocutoire

فعل الكلام التّلفظي.....acte locutoire

الفعل التّأثيري.....acte perlocutionnaire

فعل الكلام التّأثيري.....acte perlocutoire

الفعل التّعبيري.....acte phatique

الفعل الصّوتي.....acte phonétique

الفعل القضوي.....acte propositionnel

الحجج المعاندة.....Anti orientation

حجة السّلطة.....argument d'autorité

حجّة الرّمز.....argument du symbol

تقسيم الكلّ إلى أجزائه المكوِّنة له.....Argumentation de division

حجّة التّعدية.....arguments de transitivité

الإخباريات.....Assertives

القسم الحجاجي.....Classe argumentative

الختم من خلال الاكتمال التركيبي.....clôture par complétude compositionnelle

الختم من خلال الختم الاستدلالي.....clôture par complétude inférentielle

الإلزاميات.....commissives

السّلوكيات.....comportatifs

شرط التّوجيه الحجاجي.....condition d'orientation argumentative

الشّرط الإنجازي.....condition illocuctoire

الشّرط الموضوعاتي.....condition thématique

الرّابط الحجاجي.....Connecteur argumentatif

عنصر رئيس.....constituant directeur

المكوّن البدئي.....Constituant initiatif

المكوّن إرجاعي.....constituant réactif

التّناقض.....contradiction

ضابط تأويلي.....contrainte interprétative

ضابط مقطعي.....contrainte séquentièl

المواضعة.....convention

الإعلانيات.....déclaratifs

التّوجيهات.....Directives

ملفوظات خبرية.....énonces constatifs

ملفوظات إنجازية.....énonces performatifes

التّوسع بالبعث.....éscpansion par relance

التّوسع الموضوعاتي.....éscpansion par thematique

ظاهرة التّوسع.....éscpansion

التّعبيريات.....Escpréssifs

التّملق.....Flattrie

وظيف.....foncteur

الوظائف الإنجازية البدئية.....fonctions illocutoires initiatives

وظائف إرجاعية.....fonctions reactives

الضّامـن.....garant

التّماثل (الحدّ أو التّعريف).....identité et définition

متضمّنات القول.....Implicites

التّعارض.....incompatibilité

الاستدلالي.....Inferentiel

التّفاعل.....interaction

سوق الحجج.....introducteurs d'arguments

الرّوابط الحجاجية.....introducteurs d'arguments

سوق النّتيجة.....introducteurs de conclusion

الاتفاق التّواصلي..... l' accord communicatif

الاتفاق..... l' accord

الفعل الإنجازي ..... l' acte performative

الحجاج بوصفه عاملا مولّدا للتّوسع....L'argumentation comme foncteur d'escpansion

الحجاج بوصفه عاملا مولّدا للختم.....L'argumentation comme foncteur de clôture

التّبادل.....l'échange

التّوسع بالتّناقض.....L'escpansion par contradiction

الاستلزام الحواري.....L'implication conversationnelle

التّدخل.....l'interraction

العامل الحجاجي.....L'opérateur argumentatatif

التّوجيه الحجاجي.....L'orientation argumentative

شرط المحتوى القضوي.....La condition de la contenu propositionnel

المحادثة.....La conversation

الطّرائق الانفصالية.....la dissociation des notions

القوّة الحجاجية.....la force argumentative

التّفاوض.....la négotiation

الشّخص و أعماله.....la personne et ses actes

الحضور.....la présence

المماثلة.....l'analogie

الحجّة البراغماتية.....l'argument pragmatique

حجّة الاحتمال.....L'argumentation par le propable

التّمثيل (النّموذج.....le modèle

التّمثيل.....le phore

أفعال الكلام.....Les actes de parole

الحجج المؤسسة على بنية الواقع.....les arguments Bases sur structue du réel

الحجج شبه المنطقية.....les arguments qu'asilogiques

الحجج المؤسسة لبنية الواقع.....Les arguments qui fondent la structure du réèl

أُطُر الحجاج.....les cadres de l'argumentation

المسالك التّأوي.....Les chemins interprétatifs

ضوابط التّتابع.....Les contraintes d'enchaînement

الضّوابط التّفاعلية.....les contraintes interactionnelles

الضّوابط البنوية.....Les contraintes structutralles

الضوابط الحجاجية.....les contraites argumentatifes

السّلالم الحجاجية.....Les échelles argumentatives

القرارات.....Les éscercitifs

الوقائع.....les faits

الوظائف الإنجازية .....Les fonctions illocutoires

الوظائف التّفاعلية الاسترجاعية.....Les fonctions Interactives rétroactives

الوظائف التّفاعلية.....Les fonctions Interactives

الهرميات.....les hiérarchies

المواضع.....les lieux

منطلقات الحجاج.....les points de départs de l'argumentation

المقدمات الحجاجية.....les prémises de l'argumentation

القول المضمر.....Les sous-entendus

التّقنيات الحجاجية.....les téchniques argumentatives

القيم.....les valeures

الحكميات.....Les verdictifs

الحقائق.....les vérités

المثل.....l'exemple

الاتصال التّواجدي.....Liaison de Coexistence

الاتصال التّتابعي.....liason de succéssion

مواضع الكيف.....lieux de qualité

مواضع الموجود.....lieux de l'existance

مواضع التّرتيب.....lieux de l'ordre

مواضع الكمّ.....lieux de quantité

الاستشهاد.....l'illustration

قانون الخفض.....Loi d’abaissement

قانون القلب.....loi d’inverse

قانون النّفي.....loi de négation

الإخفاق.....Misfires

الجهة.....Modalité

التّفاوض المسبق.....négotiation anticipeé

التّفاوض العقدي.....négotiation factuelle

التّفاعل الميتا خطابي.....négotiation méta- discursive

التّفاوض التّفاعلي.....négotiation interactionnelle

تضاد.....oppositive

ترادف.....Paraphrastique

المقتضي.....présuposition

الطّرائق الاتصالية .....procédés de liaisons

الوعديات.....promissifs

الكيف.....Qualité

الكمّ.....quantité

الطّرائق الصّورية.....raisonnements formels

الشّرط التّمهيدي.....règle d'introduction

حجّة العدل.....règle de justice

شرط الإخلاص.....règle de s'incérité

شرط المحتوى القضوي.....règle du contence propositionnel

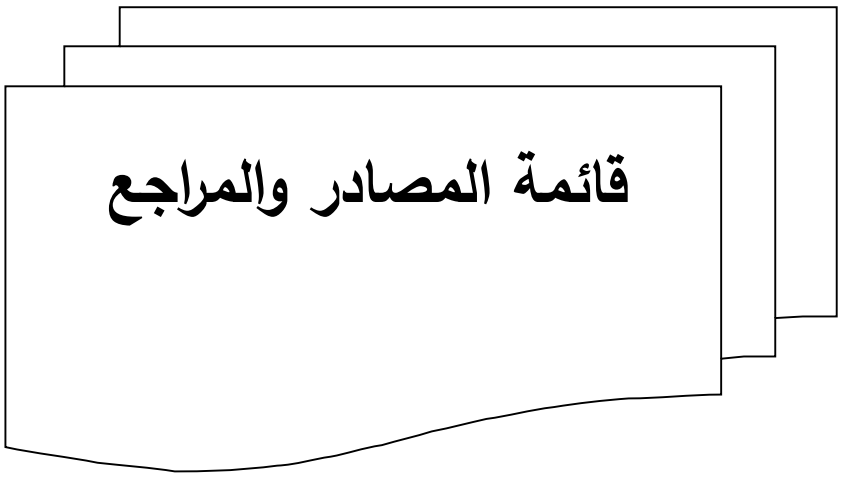
الشّرط الجوهري (الأساسي).....règle issentielle

العلاقات الوظيفية .....relations fonctionnelles

علاقات تراتبية.....relations hierarchiques

المقطع.....Séquence

دعامة.....Support



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أوّلا :القرآن الكريم برواية ورش عن عاصم.

ثانيا: المراجع باللّغة العربية:

1. **ابن القيم الجوزية:** الرّوح في الكلام على أرواح الأموات و الأحياء ، دراسة و تحقيق : بسام علي سلامة الغموش ،ج1، منشورات دار ابن رشد للنّشر و التّوزيع و الإعلام ، ط1، (1986).
2. **أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا:** معجم مقاييس اللّغة : تحق : عبد السّلام محمد بن هارون ، ج2 دار صادر للطّباعة و النّشر و التوّزيع ،(1989) .
3. **أبو السّعود بن محمد العمّادي الحنفي :** تفسير أبي السّعود ،ج 5 ، تحق : عبد القادر أحمد عطا ، ،مكتبة الرّياض الحديثة ، الرّياض ، العربية السّعودية .
4. **أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي:** لسان العرب ، مج 2 ،دار المعارف ، القاهرة .
5. **أبو الفضل عبد الله محمد الصّديق الغماري الحسني :** جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة .
6. **أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري:** الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأّويل، تحق: أحمد عبد الموجود، ومحمد عوض، مكتبة العبيكان، الرياض ، ط1.
7. ـــــــــــــــــــــــــ: أساس البلاغة، تحق: محمد باسل عيون السّود، ج1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ،(1998).

8. **أبو بكر العزّاوي** : اللّغة و الحجاج ، العمدة في الطّبع ، الدّار البيضاء ، المغرب،ط1.

9. ـــــــــــــــــــــــــــ: الحجاج و المعنى، صمن كتاب: التّحاجج- طبيعته، مجالاته وظائفه و ضوابطه، تنسيق: حمو التفازي،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرّباط،مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1، (2006).

10. ـــــــــــــــــــــــــــ: الخطاب و الحجاج ، مؤسّسة الرّحاب الحديثة للطّباعة و النّشر، بيروت، ط1، (2010).

11. **أبو بكر جابر الجزائري:** أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ،المملكة العربية السّعودية، ط1، (2002).

12. **أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن بن مجمد الجرجاني** : دلائل الإعجاز ،مكتبة الخانجي ،القاهرة.

13. **أبو جعفر أحمد بن سلامة الأزدي الطّحاوي** : أصول العقيدة الطّحاوية ، دار النّشر للثقافة و العلوم ، طنطا، ط1 ، (1999).

14. **أبو عبد الله بدر الدّين محمد بن عبد الله بن بهادر لزّركشي** : البرهان في علوم القرآن ،مج 2، تحق:محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1، (1957) .

15. **أبو عبد الله ابن أبي زمنين المالكي** : رياض الجنة بتخريج أصول أهل السّنة ، تحق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسن البخاري ، مكتبة الغرباء، المملكة العربية السّعودية ، ط1 ، (1415هـ) .

16. *أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي* : الجامع لأحكام القرآن ، و المبيّن لما تضمّنه من السّنة و آي القرآن ، ج1 ،تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي و محمد رضوان عرقسوسي ، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان ط1 ، (2006).
17. **أبو هلال العسكري:** الفروق اللّغوية، تحق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة للنّشر و التّوزيع، القاهرة.
18. **أحمد المتوكل** : الخطاب و خصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة و البنية و النّمط ؛ الدّار العربية للعلوم ، ناشرون ، منشورات الاختلاف ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، (2010).
19. ـــــــــــــ : اللّسانيات الوظيفية : مدخل نظري ، منشورات عكاظ .
20. ـــــــــــــ: الخطاب و خصائص اللّغة العربية دراسة في الوظيفة و البنية و النّمط منشورات الاختلاف ،الدّار العربية للعلوم ناشرون ، دار الأمان ، ط 1 ، (2010).
21. ـــــــــــــ: دراسات في نحو اللّغة الوظيفي ، مطبعة النّجاح الجديدة ،الدّار البيضاء ، المغرب ، (1986).
22. **أحمد حسن يوسف العمري** ، صالح أحمد العمري : الحوار و دوره في الدّعوة و التّربية و الثّقافة ، دار الكتاب الثّقافي الأردن ، عمان.
23. **أحمد طايعي:** التّواصل البلاغي من المصرح به إلى المسكوت عنه، منشورات زاوية الفن و الثّقافة، ، أكدال، الرباط، المغرب ، ط1 ، (2008).
24. **أحمد مطلوب:** أساليب بلاغية–الفصاحة–البلاغة– المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، (1980).

25. **أحمد نصري**:الأسس المنهجية للحوار في القرآن الكريم ، دار القلم، الرّباط ،المغرب ،ط ،(2012).
26. **آمال المغامسي**: الحجاج في الحديث النّبوي الشّريف دراسة تداولية، الدّار المتوسطة للنّشر،الجمهورية التونسية ، ط1، (2016).
27. **آمنة بلعلى**: الحركة التّواصلية في الخطاب الصّوفي (من القرن الثّالث إلى القرن السّابع الهجريين) دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، (2001).
28. **إميل بديع يعقوب** : معجم الإعراب و الإملاء ، دار شريفة ، الجزائر.
29. **أمينة الدّهر** :الحجاج و بناء الخطاب ،المدارس للنّشر و التّوزيع ، ط1 ،الدّار البيضاء،المغرب ،(2011).
30. **الباهي حسان** : الحوار و نهجية التفكير النّقدي ، إفريقيا الشرق ، (2004).
31. **برهان الدّين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي** : نظم الدّرر في تناسب الآيات و السّور ،دار الكتاب الإسلامي ،القاهرة.
32. **بهاء الدّين محمد مريد**: من أفعال اللّغة إلى بلاغة الخطاب السّياسي. تبسيط التّداولية، شمس للنّشر و التّوزيع، القاهرة ، ط1، (2010).
33. **جلال الدّين محمد بن عبد أحمد بن محمد**: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني و البيان و البديع، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2003).
34. **جمعان بن عبد الكريم**: إشكالات النّص، دراسة لسانية نصية، النّادي الأدبي، ط1، الرّياض،(2009).
35. **جواد ختام**: التّداولية أصولها و اتجاهاتها، كنوز المعرفة، عمان ، ط1 ، (2016).
36. **الحاج محمد وصفي** : الارتباط الزّمني و العقائدي بين الأنبياء و الرّسل ،دار ابن حزم للطّباعة و النّشر و التّوزيع ،ط1 ، بيروت ،لبنان، ط1، (1997) .

37. **الحاج محمد وصفي** : الارتباط الزّمني و العقائدي بين الأنبياء و الرّسل ،دار ابن حزم للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1،(1997) .
38. **الحافظ جلال الدّين عبد الرحمن السّيوطي:** الإتقان في علوم القرآن، ج2 دار بن كثير للطّباعة و النّشر و التوّزيع ، دمشق–بيروت ، ط5.
39. **حبيب منسي** : المشهد السّردي في القرآن الكريم ،قراءة في قصّة سيدنا يوسف ،مخبر الدّراسات الأدبية و النّقدية و اللّسانية ، مكتبة الرّشاد للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، الجزائر ،ط1، (2009).
40. **حسن إسماعيل الأوسي** :أساليب الطّلب عند النّحويين ،وزارة التّعليم العالي ،جامعة بغداد ، (1988).
41. **حسن المودن** : بلاغة الخطاب الاقناعي نحو تصوّر نسقي لبلاغة الخطاب ،كنوز المعرفة للنّشر و التّوزيع ،عمّان ، الأردن ، ط1 ، (2014) .
42. **حسن بدوح** : المحاورة :مقاربة تداولية ،عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن .
43. **الحسين زروق:** الحوار منهج حياة. تأملات في الحوار في القرآن الكريم، دار السلام،القاهرة، ط1، (2008).
44. **حميد حمداني:**من الحجاج إلى البلاغة الجديدة مكتبة الأدب المغربي–سامراء، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
45. **حميد لحميداني** : بنية النّص السّردي من منظور النّقد الأدبي ، المركز الثّقافي العربي للنّشر و التّوزيع ، الدّار البيضاء ، المغرب ،(2000) .
46. **خالد ميلاد:** الإنشاء في اللّغة العربية بين التّركيب والدّلالة. دراسة تداولية، ط1، جامعة منوبة، كلية الآداب، المؤسّسة العربية للتّوزيع، تونس، (2001).

47. **ذهبية الحاج حمو:** لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، الأمل للطّباعة و النّشر،تيزي وزو ، الجزائر، ط2.
48. **الرّاغب الأصفهاني** : المفردات في غريب القرآن ،تحق: محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، بيروت، لبنان
49. **رشيد الرّاضي** : الحجاج و المغالطة . من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ،ط1، (2010).
50. **زاهر عواض الألمعي:** مناهج الجدل في القرآن الكريم، مكتبة نور ،ط 3،(140هـ).
51. **سامية الدّريدي:** الحجاج في الشّعر العربي بنيته و أساليبه، عالم الكتب الحديث، أربد،الأردن ، ط2، (2011).
52. **سعد بن علي بن وهب القحطاني** : شرح أسماء الله الحسنى على ضوء الكتاب و السّنة بتوضيح و بيان ، دار الإيمان للطّبع و النّشر و التّوزيع،الإسكندرية ، (1997).
53. **سعيد عطية علي مطاوع** ، الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ،دار الآفاق العربية، القاهرة ، القاهرة ، ط1 ،(2006) .
54. **السّيّد أحمد عبد الغفّار:** النّص القرآني و ضرورة التّفسير ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، (2003).
55. **سيد قطب** : في ظلال القرآن دار الشّروق ،بيروت ،لبنان ، ط1 ،(1972).
56. ـــــــــــ: التّصوير الفني في القرآن، دار الشّروق، الطّبعة الشّرعية 17، 2004 .
57. **شكري المبخوت** : الحجاج في اللّغة .ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

58. **صابر الحباشة:** لسانيات الخطاب الأسلوبية و التّلفظ و التّداولية ، دار الحوار،سوريا ،ط1 ، (2010).

59. **صادق قسومة :** طرائق تحليل القصّة ، دار الجنوب للنّشر ، تونس ..

60. ـــــــــــــ: الحوار : خلفياته و آلياته و قضاياه، مسكيلياني للنّشر و التّوزيع،تونس ،ط1 ،(2009).

61. **صباح درّاز:** أساليب القصر في القرآن الكريم و أسرارها البلاغية ، مطبعة الأمانة،مصر،ط 1،(1986).

62. **صبحي إبراهيم الفقي :** علم اللغة النّصي بين النّظرية و التّطبيق دراسة تطبيقية على السّور المكية ،ج1 ، دار قباء للطباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ،ط1 ، (2000).

63. **صلاح إسماعيل عبد الحقّ :** التّحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التّنوير للطّباعة و النّشر ، بيروت ،لبنان،ط1، (1993).

64. ـــــــــــــــــــــــ: نظرية المعنى في فلسفة بول غرابس، الدّار المصرية السّعودية، القاهرة ،القاهرة ، (2005).

65. **صلاح فضل:** بلاغة الخطاب وعلم النّص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (1992).

66. **الطّلبة محمد سالم محمد الأمين:** الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النّقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتّحدة، لبنان ،ط1، (2008).

67. **طه عبد الرحمن :** اللّسان و الميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،الدار البيضاء ، المغرب ، 1998.

68. ـــــــــــــ : الحقّ العربي في الاختلاف الفلسفي ، المركز الثقافي العربي ، ط2 ، الدّار البيضاء ، المغرب ،ط2 ،(2006) .

69. ـــــــــــــ : الحوار أفقا للفكر الشّبكة العربية للأبحاث و النّشر ، بيروت ، لبنان، ط1 ، (2013).

70. ـــــــــــــ : في أصول الحوار و تجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي ، الدّار البيضاء، المغرب ،ط2 ، (2000).

71. ـــــــــــــ : التّواصل و الحجاج ،سلسلة الدّروس الافتتاحية ، الدّرس العاشر ، جامعة ابن زهر ، كليّة الآداب و العلوم الإنسانية ، مطبعة المعارف الجديدة ، أكادير ، المغرب (1994/1993).

72. ـــــــــــــ : تجديد المنهج في تقويم التّراث، المركز الثّقافي العربي، ،الدّار البيضاء، المغرب ط2.

73. **عالية محمود صالح** : البناء السّردي في روايات إلياس خوري ، أزمنة للنّشر و التوّزيع ،الأردن،ط1 ، (2005).

74. **عائشة عبد الّرحمن** : الإعجاز البياني للقرآن و مسائل ابن الأزرق ، دار المعارف بمصر ، (1971).

75. **عبد الحليم حقي** : أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط3،(1995).

76. **عبد الرحمان ناصر السّعيدي** : تفسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، تحق: عبد الرحمان اللّويحق، دار المستقبل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دار الإمام مالك، ط1، الجزائر، (2007).

77. **عبد الرّحمن الدّوري** : العقيدة الإسلامية و مذاهبها ، كتاب ناشرون، بيروت ، لبنان ، ط2 ، (2012)

78. **عبد السّلام عشير**: عندما نتواصل نعيّر (مقاربة تداولية معرفية لآليات التّواصل و الحجاج.) ، إفريقيا الشّرق ، المغرب ،ط2 ، (2012.)

79. عبد السّلام هارون الأساليب الإنشائية في النحو العربي ط5 ، مكتبة الجانجي ، القاهرة (2001) .

80. **عبد العزيز عتيق** : علم المعاني ، دار النّهضة العربية ،بيروت ، لبنان،ط1 ، (2009)

81. **عبد الكريم محمود يوسف:** الاستفهام في القرآن الكريم غرضه وإعرابه، مطبعة الشّام، دمشق ،ط1، (2000).

82. **عبد اللّطيف عادل** : بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات الاختلاف،الجزائر، منشورات ،ضفاف ،ط1، بيروت ، لبنان ، (2013).

83. **عبد الله البهلول** : الحجاج الجدلي خصائصه الفنية و تشكلاته الأجناسية في نماذج من التّراث اليوناني و العربي ، ط1، (2013) .

84. **عبد الله صولة** : عبد الله صولة: الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج. الخطابة الجديدة لبرلمان و تيتكاه. ضمن كتاب: أهمّ نظريات الحجاج في التقاليد الغربية. إشراف: حمادي صمود.منشورات جامعة منوبة. تونس.

85. ـــــــــــــ : في نظرية الحجاج . دراسات و تطبيقات ، مسكيلياني للنّشر و التّوزيع ،تونس ،ط1، ، (2011) .

86. ـــــــــــــ : الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية ، منشورات كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات، جامعة منوبة ، تونس ،ط1، (2001).

87. **عبد المنعم النمر:** علوم القرآن، مكتبة المدرسة ،دار الكتاب اللبناني ،ط 2 ، (1983).

88. **عبد الهادي بن ظافر الشهري:** استراتجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)،دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ،(2004).

89. **عبد الوهاب النّجار** : قصص الأنبياء ، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، ط2 ، (1987) .

90. **عثمان بدري** :وظيفة اللّغة في الخطاب الرّوائي الواقعي عند نجيب محفوظ ،دراسة تطبيقية ، ط 1 ، بيروت، (2012).

91. **عزّ الدّين السّيد** : التّكرير بين المثير و التأثير ،عالم الكتب ، ط2 ، (1986).

92. **عزّ الدّين النّاجح:** العوامل الحجاجية في اللّغة العربية، مكتبة علاء الدّين ، صفاقس، تونس، (2011).

93. **عفت الشّرقاري:** بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النّهضة العربية للطّباعة و النّشر، بيروت، (1981).

94. **علي بن عبد العزيز الشّبعان:** الحجاج و الحقيقة و آفاق التّأويل ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 1 ، بيروت ، لبنان، (2010) .

95. **علي محمود حجي الصّراف:** في البراجماتية. الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية و معجم سياقي، كلية الآداب، جامعة الكويت، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط1، (2010).

96. **عمارة ناصر** : مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ، الدّار العربية للعلوم ، ناشرون ، بيروت ، لبنان ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، (2009) .

97. **عمر بلخير** : تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النّظرية التداولية ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ،الجزائر ، (2008).

98. **عمر خالد** : خواطر قرآنية ،نظرات في أهداف سور القرآن ،الدّار العربية للعلوم ، ط1 ،بيروت ، لبنان،2004.

99. **العياشي أدراوي** : الاستلزام الحواري في التّداول اللّساني ، من الوعي بالخصوصيات النّوعية للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها ،منشورات الاختلاف، الجزائر ،ط1.

100. **عيد بلبع** : دلائل الإحكام مقدمة في نظرية الإعجاز و البلاغة القرآنية دار النّابغة للنّشر و التّوزيع ،طنطا، ط 1، (2019).

101. ـــــــــــــ : سيميائية الكتابة وحتمية الضّابط السّياقي للسّيرورة التّأويلية قراءة في الكتابة القرآنية، ضمن كتاب: التداوليات وتحليل الخطاب. إشراف د/ حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، كنوز المعرفة، ط1، عمان، المملكة الهاشمية الأردنية، (2113).

102. **فاضل السامرائي**: معاني النحو ج 2، شركة العاتك للطّباعة و النّشر و التّوزيع، ط 2، القاهرة (،2003).

103. **فخر الدّين الرّازي**: تفسير الفخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، (2003).

104. **كلود يونان** : التّضليل الكلامي و آليات السّيطرة على الرّأي .الحركة السّفسطائية نموذجا . بحث في فلسفة التّضليل الكلامي الدّعائي الإعلامي السّياسي ، دار النّهضة العربية ، منتدى سور الأزبكية .

105. **مثنى كاظم صادق** : أسلوبية الحجاج التّداولي و البلاغي ، تنظير و تطبيق على السّور المكّية ، منشورات ضفاف ، بغداد ،منشورات الاختلاف،الجزائر، ط1 ، (2015).

106. **مجدي باسلوم** : بنات الأفكار في أدب المناقشة و الحوار ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط1 ، (2000).

107. **محمد التّومي:** الجدل في القرآن الكريم فعاليته في بناء العقلية الإسلامية ، شركة الشّهاب للنّشر و التّوزيع ،باب الواد ، الجزائر.

108. **محمد الطّاهر بن عاشور** : تفسير التّحرير و التّنوير ، الدار التونسية للنّشر ، تونس ، (1984).

109. **محمد العبد:** العبارة و الإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، مكتبة الآداب،القاهرة، ط، 01، (2007).

110. **محمد العمري:** في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشّرق، المغرب، (2002).

111. **محمد النّويري** :الأساليب المغالطية مدخلا لنقد الحجاج ،ضمن كتاب: أهمّ نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية.

112. **محمد بن إيّاس الحنفي القاهري** : قصص الأنبياء ، الدّار العالمية للكتب و النّشر ،الجيزة ، جمهورية مصر العربية.

113. **محمد حسين فضل الله** :الحوار في القرآن الكريم ، قواعده ، أساليبه ، معطياته ، دار المنصوري للنشر ، الجزائر.

114. **محمد عابد الجابري** : في التّعريف بالقرآن الكريم ،ج1 ، دار النّشر المغربية ،المغرب ،ط2 ،(2007).

115. **محمد عابد الجابري** : مدخل إلى القران الكريم ، في التّعريف بالقرآن الكريم ،ج1 ، مركز الدّراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، (2006) .

116. **محمد متولي الشّعراوي** : معجزة القرآن ، ج1 ،مكتبة رحاب ، الجزائر .

117. **محمد نظيف** : الحوار و خصائص التّفاعل التّواصلي ،دراسة تطبيقية في اللّسانيات التّداولية ، إفريقيا الشّرق ، الدّار البيضاء : المغرب ، (2010).

118. **محمود أحمد نحلة:** آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، (2002).

119. **محمود السّيد حسن مصطفى** : الإعجاز اللّغوي في القصة القرآنية ، تقديم :حسن عون، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،ط1، (1981) .

120. **محمود شلتوت** : الإسلام عقيدة و شريعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط18 ،(2001)

121. **محمود عكاشة:** النّظرية البراجماتية اللّسانية (التّداولية)، دراسة المفاهيم و النّشأة و المبادئ، مكتبة الأدب، القاهرة ،(2013).

122. **محمود علي عكاشة** : تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللّغة . دراسة تطبيقية لأساليب التّأثير و الإقناع الحجاجي في الخطاب النّسوي في القرآن الكريم . دار النّشر للجامعات ، ط1، (2013).

123. **محمود يونس:** مقدمة في علمي الدّلالة و التّخاطب، دار الكتاب الحديثة المتّحدة ط1، (2004) .

124. **محي الدّين الدّرويش** : إعراب القرآن الكريم و بيانه ، مج3 ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ،حمص ، سوريا.دار بن كثير للطّباعة و النشر و التوزيع ،دمشق ، سوريا ، دار اليمامة للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، دمشق سوريا ، ط3 ، (1995).

125. **مسعود صحراوي:** التّداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، دار الطّليعة للطّباعة و النّشر،بيروت ، لبنان ، ط1، (2005).

126. **مصطفى عليان:** معجم الخطاب القرآني في الدّعاء ،وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، الكويت ، ط1،(2013).

127. **نجم الدّين الطّوفي الحنبلي:** علم الجذل في علم الجدل، تحق: قولفهارت هاينرشيس دار فرانز شتاينر بقيسبادن، (1987)

128. **نذير حمدان:** الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة،السعودية، ط،1، (1991).

129. **هشام الرّيفي:** الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب:أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم .

130. **هشام عبد الله الخليفة** : نظرية الفعل الكلامي بين علم اللّغة الحديث و المباحث اللّغوية في التّراث العربي و الإسلامي ، مكتبة لبنان ، ناشرون الشّركة المصرية العالمية للنّشر ، لونجمان ،ط1، (2007).

ثالثا : المراجع المترجمة :

133. **أرسطو طاليس:** الخطابة: تر: عبد الرحمان بدوي: التّرجمة العربية القديمة وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم ، بيروت ، (1979).

134. **آن روبول، جاك موشلر:** التّداولية اليوم، علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدّين دغموس ومحمد شيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطّليعة للطّباعة و النّشر، ط1 ،بيروت، لبنان

135. **أوزوالد ديكرو** : قوانين الخطاب ، تر: محمد الشّيباني و سيف الدّين دغفوس ، ضمن كتاب ، إطلالات على النّظريات اللسانية و الدّلالية في النّصف الثّاني من القرن العشرين ، مختارات معربة ، ج2 ، إشراف : عزّ الدّين مجدوب ، بيت الحكمة ، المجمع التّونسي للعلوم و الآداب و الفنون ، (2012) .

136. **أوستين** : نظرية أفعال الكلام العامّة ، كيف ننجز الأشياء بالكلمات ، تر: عبد القادر قينيني ، إفريقيا الشّرق ،المغرب ،1991

137. **باتريك شارودو** : الحجاج بين النّظرية و الأسلوب، تر: أحمد الوردني ،دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، (2009) .

138. **باتريك شارودو ، دومينيك منغينو** : معجم تحليل الخطاب ، تر:عبد القادر المهيري ، حمادي صمود ، دار النّشر سيناترا ، المركز الوطني للتّرجمة ، تونس ، (2008).

139. **بول ريكور**: نظرية التّأويل الخطاب و فائض المعنى، تر: سعيد الغانمي، المركز الثّقافي العربي، ط2، الدّار البيضاء، المغرب.

140. **تون فان دايك**: النّص والسّياق ،استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي التّداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشّرق، المغرب (2000).

141. ـــــــــــــ: علم النّص، مدخل متداخل اختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1 ،القاهرة، جمهورية مصر العربية.

142. **جاك موشلر ، آن ريبول** : القاموس الموسوعي للتّداولية ،تر: مجموعة من الأساتذة ، إشراف : عزّ الدّين المجدوب، المركز الوطني للتّرجمة ، ط2، تونس ، (2010) .

143. **جان سيرفوني** : الملفوظية .دراسة .تر: قام المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (1998).

144. **دومينيك مانغونو:** المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدّار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1 ،الجزائر، (2008).

145. **روبير بلانشي:** الاستلالال، تر: محمود اليعقوبي، سلسلة فلسفة العلم ،دار الكتاب الحديث، (2003)..

146. **فرانسواز أرمينكو:** المقاربة التّداولية. تر: سعيد علّوش، مركز الإنماء القومي، الرّباط، (1986).

147. **فيليب بروتون، جيل جوتييه** : تاريخ نظريات الحجاج تر: محمد صالح ناجي الغامدي ، مركز النشر العلمي ،جامعة الملك عبد العزيز ،ط01 ، المملكة العربية السّعودية ، (2011) .

148. **فيليب بلاشيه:** التداولية من أوستن إلى غوفمان. تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، اللاذقية، سوريا، (2007).

149. **كريستيان بلانتان:** الحجاج، تر:عبد القادر المهيري، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، (2008).

رابعا : المقالات:

150. **سعد عبد الله عاشور** : ضوابط الحوار مع الآخر ، مجلة الجامعة الإسلامية ،سلسلة الدراسات الإسلامية نمج 16 ،ع الأوّل ، (2008).

151. **صلاح رمضان عبد الله** : أساليب النّفي في القرآن الكريم ، تركيبها ودلالتها ، مجلة البحر الأحمر ،ع5 ، يونيو(2014).

152. **عبد الرحمن بودرع:** منهج السّياق في فهم النّص، كتاب الأمّة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ع111 ، (2006) .

153. **عبد الرّحمن رجا الله السّلمي** ،البعد الحجاجي في محاورات الخوارج مجلة الذّاكرة ،مخبر التّراث اللّغوي و الأدبي في الجنوب الشّرق الجزائري كلية الآداب و قسم اللغة العربية جامعة الملك عبد العزيز، ع 10 ، يناير، (2018).

154. **عبد الرّحيم وهابي** : البناء الحجاجي في رسائل الجاحظ ، رسالة (مناقب الترك) نموذجا ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، ع1 ، (2012)،

155. **محمد العبد** : تعديل القوّة الإنجازية دراسة في التّحليل التّداولي للخطاب ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامّة للكتاب ،ع 65 ، (2005).

156. **محمد الولي:** حول الاستعارة عند أرسطو ، مجلّة البلاغة و تحليل الخطاب ، ،الدّار البيضاء ، المغرب،ع 01، (2012).

157. **محمد الولي:** مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو و شايم برلمان، عالم الفكر، مج 40 المجلس الوطني للثّقافة و الفنون و الآداب–الكويت. أكتوبر، ديسمبر، (2011).

158. **مريم آيت أحمد** : جدلية الحوار ، قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر ، تقديم : عبد المجيد النّجار ،منشورات مجلة علوم التّربية،الدّار البيضاء ،ط 1،ع24، (2011).

159. **مهابة محفوظ ميّارة** : مفهوم الحجاج في القرآن الكريم ، مجلة مجمع اللّغة العربية ؛ دمشق ، مج 81 ،ج 03 ، دمشق.

160. **نصيرة الغماري** : نظرية أفعال الكلام عند أوستين .مجلة اللّغة و الآداب ، قسم اللّغة العربية و آدابها ،كلية الآداب و اللغات جامعة الجزائر، ع 17 ، (2006).

خامسا: الرّسائل الجامعية:

161. **أسماء عبد العزيز** : الحوار في دعوة موسى عليه السّلام في ضوء الكتاب و السّنة ،إشراف : عبد الله بن محمد الرّشيد ، قسم الدّعوة و الاحتساب ، كليّة الدّعوة و الإعلام ، جامعة محمد بن سعود السّلامية ، الريّاض ، المملكة السّعودية ، العام الجامعي ، (1418/ 1419) .

162. **سليمة مدلفاف:** دراسة تداولية سيميائية لتصريف قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تحليل الخطاب، إشراف: جمع الأخضر، جامعة بن يوسف بن خدة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، (2010/2009).

163. **عبد الصّمد عبد الله محمّد** : خطاب الأنبياء في القرآن الكريم ، خصائصه التّركيبية و صوره البيانية ، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه في البلاغة و النّقد ، تحت إشراف : عبد اللّطيف خليف ، قسم الدّراسات العليا العربية فرع الأدب كليّة اللغة العربية ، المملكة العربية السّعودية ، (1995).

164. **قدور عمران** : البعد التداولي في الخطاب الموجّه إلى بني اسرائيل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تحليل الخطاب، إشراف: مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات والآداب، (2009/2008).

165. **محمود أحمد ناصر** : منهج القرآن الكريم في إقامة الدّليل و الحجّة ، إشراف : محسن سميح الخالدي، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في أصول الدّين بكلية الدّراسات العليا ،جامعة النّجاح الوطنية ،نابلس ، فلسطين ، (2003).

166. **محمود عثمان ضمرة** : الحوار في القرآن الكريم ، إشراف : محمد حاقظ الشّريدة ، رسالة مقدمة لاستكمال درجة الماجستير في أصول الدّين بكلية الدّراسات العليا ، جامعة النّجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين ، (2005).

سادسا: مواقع الأنترنت :

167. آمنة بلعلى : نماذج من القرآن الكريم و الحديث ، منتدى ، عربيات :الإقناع المنهج الأمثل للتواصل و الحوار ، www. Arabiat . com

168. ملتقى أهل التفسير: أسمر الأرناؤوطي h.ee.ps tafsir.net

سابعا : المراجع باللّغة الأجنبية :

169. Alain Boissinot : Les textes argumentatifs, collection Didactiques , Bertrand - Lacoste 1992 .

170. Catherine Kerbrat - Orecchioni : L'implicite, Armand Colin, Paris . 1986

171. ——————————:.Les interactions verbales, Armand Colin Editeur, Paris, tome 1, 1990.

172. ——————————:La conversation, Edition du seuil, Paris, 1996.

173. Chaim Perelman et **Lucie Olbrechts-Tyteca**: Traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique, Edition de l'université de Bruxelles, 6ème édition, 2008.

174. Denis Baril Techniques de l expression ecrite et orale , 10 edition, campus dalloz, paris, 2002.

175. Dominique Maingueneau : Pragmatique pour le discours litteraire,Bordas , paris, 1997.

176. Gerard genette, discours de récit in figur 3, 1972.

177. J.C. Anscombre et Ducrot : L'argumentation dans la langue. Pierre Mardaga, 1983.

178. J.L.Austin :Quand dire c'est faire. introduction, traduction et commentaire par Giles lane, Edition du seuil, Paris ، 1970.

179. J. Moeschler : Argumentation et conversation, pour une analyse pragmatique du discours, Hatier, paris, 1985.

180. J.R .Searle: Les actes de langage, Essai de Philosophie du Langage, Herman, Paris, 1972.

181. Jean Dubois / Mathee Giacomo / Louis Guespin/ Christiane Marcellesi / Jean Baptiste Marcellesi /Jean – Pierre Mevel /Dictionnaire De Linguistique Et Des Science s premiere edition Larouse Bordas Canada, 1999.

182. Ducrot : dire et ne pas dire ,collection Savoir , Hermann ,Paris ,1972.

183. ——— : Les échelles argumentatives, les éditions de minuit, Paris, 1980.

184. ——— : le dire et le dit, les éditions de minuit , Paris , 1984.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان.

الإهداء.

مقدمة

الفصل الأوّل: الجهاز المفاهيمي للتداولية

I. التّداولية: 12

1.I. تحديدها: 12

1.1.I. التّداولية لغة: 12

2.1.I. التّداولية اصطلاحا: 13

3.1.I. التّداولية في النّقد العربي المعاصر: 15

2.I. إجراءات التّداولية: 16

1.2.I. أفعال الكلام : 16

1.1.2.I. "أوستين" و نظرية أفعال الكلام:..... 17

2.1.1.2.I. التّقسيم الثّلاثي لأفعال الكلام عند " أوستن" :..... 21

3.1.1.2.I. أقسام الأفعال الكلام عند "أوستين":..... 23

2.1.2.I. "جون سيرل" و نظرية أفعال الكلام:..... 24

1.2.1.2.I. أقسام أفعال الكلام عند "سيرل":..... 27

2.2.I. الاستلزام الحواري: : 28

I.1.2.2.1."غرايس" و الاستلزام الحواري : 28
I.2.2.2.1.قواعد مبدأ التّعاون: 30
I.1.2.2.2.1.الكمّ 30
I.2.2.2.2.1. الكيف 30
I.3.2.2.2.1.العلاقة:..... 31
I.4.2.2.2.1. الجهة..... 31
I.3.2.2.1.الحمولة الدّلالية للعبارة :..... 31
I.1.3.2.2.1. المعاني الصّريحة:..... 32
I.2.3.2.2.1.المعاني الضّمنية:..... 32
I.4.2.2.1.خصائص الاستلزام الحواري: 33
I.3.2.1.متضمّنات القول: 33
I.1.3.2.1. أقسام متضمّنات القول:..... 34
I.1.1.3.2.1.المقتضي:..... 35
I.2.1.3.2.1.القول المضمر..... 36
II. الحوار : الآليات و الإجراءات: 37
II .1. الحوار: لغة :..... 37
II.2. الحوار اصطلاحا : 37
II .3. الحوار مكوّن سردي :..... 38
II .4. الحوار من منظور تداولي :..... 38

II.5. أطوار الحوار: 39
II .6. أهميّة الحوار :..... 39
II .7. بين الحوار و المحاورة و الجدل : 40
II .1.7. بين الحوار والمحاورة :..... 40
II .2.7. بين الحوار و الجدل:..... 41
III. الحجاج الآليات و الإجراءات :..... 43
III .1. الحجاج لغة:..... 43
III .2. الحجاج اصطلاحا:..... 44
III.3. التّداولية و الحجاج: 45
III .4. بين الحجاج و الجدل و البرهان و الاستدلال و الحوار: 45
III .1.4. الحجاج و الجدل: 45
III .2.4. بين الحجاج و البرهان:..... 47
III .3.4. بين الحجاج و الاستدلال:..... 48
III 4.4. بين الحجاج و الحوار :..... 48
III .5. أهمّ الدّراسات المتعلّقة بالحجاج :..... 49
III .1.5. الحجاج في الفكر اليوناني: 49
III .2.5. الحجاج عند السّفسطائين:..... 50
III .3.5. الحجاج عند أفلاطون:..... 51
III .4.5. الحجاج عند أرسطو:..... 52

III.5.5. الحجاج بعد أرسطو و انحسار دور الخطابة: 53
III.6.5. الحجاج الخطابي : 54
III .1.6.5. تعريف الحجاج:..... 55
III .2.6.5. بنية الخطاب الحجاجي: 55
III .1.2.6.5. منطلقات الحجاج: 55
III.1.1.2.6.5المقدمات الحجاجية: 55
III .2.1.2.6.5. التّقنيات الحجاجية: 58
III .1.2.1.2.6.5. الطّرائق الاتصالية 59
III .2.2.1.2.6.5. الطّرائق الانفصالية:..... 66
III.7.5. الحجاج اللّساني: 69
III.1.7.5 ."ديكرو" و التّداولية المدمجة:..... 69
III.2.7.5. الحجاج اللّساني: 69
III.3.7.5. الحجاج عند "ديكرو" و "انسكومبر": 71
III.4.7.5. المفاهيم الإجرائية للحجاجيات اللّسانية:..... 72
III.1.4.7.5. السّلالم الحجاجية: 73
III.2.4.7.5. القسم الحجاجي..... 73
III.3.4.7.5. القوّة الحجاجية:..... 74
III.4.4.7.5. التّوجيه الحجاجي: 75
III.5.4.7.5.السّلالم الحجاجية : 76
III.6.4.7.5. الرّابط الحجاجي::..... 79

III.5.7.4.6.1. تصنيف الرّوابط الحجاجية: 79

III.5.7.4.6.2. أنماط الرّوابط الحجاجية: 81

III.5.7.4.6.3. وظائف الرّابط الحجاجي: 81

III .5.7.4.7. العامل الحجاجي : 82

III.5.7.4.7.1. أنواع العوامل الحجاجية: 82

III.5.7.4.7.2. وظائف العوامل الحجاجية: 83

IV . التّحليل التّداولي للمحادثة حسب مدرسة جنيف: 85

IV.1. مفهوم المحادثة 85

IV.2. مكوّنات المحادثة: 85

IV. 3. في بنية التّدخل : 87

IV.6. الحجاج في بنية التّدخل: 91

IV.6.2. الرّوابط الحجاجية مؤشِّرات تفاعلية: 91

IV.7. الحجاج في بنية التّبادل : 93

IV.8. الاتفاق والتّفاوض و الإضراب: 95

IV.8.2. التّفاوض: : 96

IV.8.2.1. أنواع التّفاوض: 96

V. خصائص الخطاب الحجاجي: 97

الفصل الثّاني: أفعال الكلام ومتضمنات القول في الحوار الحجاجي في قصة نوح -عليه السّلام-

I. القصص في الخطاب القرآني: 103

I.1. الوظيفة الحجاجية للقصص القرآني:..... 103

I.2. أغراض القصّة القرآنية:..... 104

I.3. الحوار و القصص القرآني: 105

I.4. قصّة نوح في القرآن الكريم:..... 110

I.5. مواضع الحوار الحجاجي في قصّة نوح :..... 117

I.1.5. سورة الأعراف 117

I .2.5. سورة يونس 118

I .3.5. سورة هود 119

I .4.5. سورة المؤمنون 122

I .5.5. سورة الشّعراء 124

I .6.5. سورة القمر 125

I .7.5. سورة نوح..... 126

I .6. داخل النّص:..... 127

I .7. الحوار الحجاجي في قصة نوح – عليه السّلام–:..... 128

I .1.7. المرحلة الأولى: مرحلة التّكليف:..... 129

I .2.7. المرحلة الثّانية: مرحلة الدّعوة :..... 129

I .3.7. المرحلة الثّالثة: مرحلة يأس نوح من إيمان قومه:..... 133

I .4.7. المرحلة الرّابعة: إنهاء الدّعوة و بداية الجزاء :..... 134

II. التّحليل التّداولي للحوار الحجاجي في قصة نوح :..... 137

II.1. العلاقات التّخاطبية: 137
II. 1.1. العلاقة التّخاطبية بين الله تعالى و نوحٍ :..... 138
II.1.1.1. المستوى الأفقي:..... 138
II. 2.1.1. المستوى العمودي:..... 143
II. 2.1. العلاقة التّخاطبية بين نوح و قومه: 145
II. 1.2.1. العلاقة التّخاطبية بين نوح و الملأ الذين كفروا من قومه: 147
II. 1.1.2.1. على المستوى الأفقي: 147
II. 2.1.2.1. على المستوى العمودي:..... 148
II. 2.1.2. العلاقة التّخاطبية بين نوح و المؤمنين:..... 149
II. 1.2.2.1. على المستوى الأفقي: 149
II. 2.2.2.1. على المستوى العمودي: 149
II. 3.1. العلاقة التخّاطبية بين الملأ الذين كفروا والمؤمنين (الأراذل):..... 150
II. 1.3.1. المستوى الأفقي:..... 150
II. 2.3.1. المستوى العمودي:..... 151
II.4.1.1. العلاقة التّخاطبية بين نوح و ابنه:..... 152
II. 1.4.1. المستوى الأفقي: 152
II. 2.4.1. المستوى العمودي:..... 153
II. 2. أفعال الخطاب في الحوار الحجاجي في قصّة نوح :..... 155
II. 1.2. المرحلة الأولى: إرسال نوح إلى قومه و تكليفه بالرّسالة: 155

II. 2.2. المرحلة الثّانية: مرحلة الدّعوة: 158

II. 3.2. المرحلة الثّالثة: مرحلة يأس من إيمان قومه: 194

II.4.2. المرحلة الرابعة: إنهاء الدّعوة و بداية مرحلة الجزاء: 204

الفصل الثالث: البنية الاستدلالية في الحوار الحجاجي في قصة سيدنا نوح عليه السلام

I. البنية الاستدلالية للحوار الحجاجي في قصّة نوح : 229

I. 1. المرحلة الأولى: مرحلة التّكليف: 229

I. 2. المرحلة الثّانية : مرحلة الدّعوة: 231

I. 3. المرحلة الثّالثة : مرحلة يأس نوح من إيمان قومه: 290

I.4. المرحلة الرّابعة: إنهاء الدّعوة و بداية مرحلة الجزاء: 308

خاتمة: 329

مصطلحات الدراسة: 337

.قائمة المصادر و المراجع 344

فهرس المحتويات 365

ملخص الرّسالة: 374


ملخص الرّسالة

ملخص الرّسالة:

عنوان الرّسالة: الحوار الحجاجي في قصّة نوح –عليه السّلام– مقاربة تداولية .

القرآن الكريم كلمة الله المعجزة المُنزَّلة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، جاء لإرساء قواعد العقيدة الإسلامية والتّمكين للدّين الإسلامي الّذي أقرّتهُ كُلُّ الرِّسالات ؛ وقد شكَّل هذا القرآن –بكُلِّ مُكوّناته –مادة للبحث عن مكامن الإعجاز فيه منها الحوار بكُلِّ أشكاله ومستوياته إذ يُشكِّلُ أحد ركائز القصص القرآني الّذي يُعتبرُ بدوره إحدى الأليات التي إعتمدها الخطاب القرآني لإرساء تلك العقيدة؛من هذا المنطلق تأتي مقاربتنا للحوار الحجاجي في القصص القرأني لنبحث في خصائص هذا الحوار من منظور تداولي.

تنقسم هذه المقاربة إلى قسمين: قسم نظري يعرض مفاهيم التداولية و إجراءاتها و قسم تطبيقي يتمثّلُ تلك الإجراءات النّظرية و يحاولُ استقراءها في المُدونة و قد ركّزنا على الحجاج الّذي يُتعتبر المجال الأوسع للحجاج من خلال تركيزه على الإقناع الّذي يُعتبر هدف الحجاج وغايتهُ.

إنّ الخطاب القرآني الّذي يعتمد القصص كإستراتيجية للتّأثير في المتلقي الأوّل الرّسول صلى الله عليه وسلم يتجاوزُ هذا المتلقي إلى متلقي لانهائي الأمر الذي يُعطي للقرآن الكريم –وبالتّالي لهذا القصص بما في ذلك الحوار –خُصوصيتُهُ.

تسعى مُقاربتُنا إلى الإجابة على مجموعة من الأسئلة أهمُّها: ما هي الأبعاد التّداولية لهذا الخطاب الحجاجي أين تكمنُ حجاجيتُهُ وبالتّالى وظيفتُهُ التأثيرية و هل يُمكنُ اعتمادُ التّداولية –باعتبارها منهجا حديثا –لدراسة خطاب قرآني له خصوصيتُه.

للإجابة عن هذه الأسئلة أخذنا نموذجا من القصص القرآني من خلال الحوار الحجاجي في قصّة نوح عليه السّلام حيث حاولنا دراسة هذا الحوار من خلال مادة القول فقط التي تأتي بعد (قال–دعا– نادى) إذ تناولنا بالدّراسة و التّحليل كلّ الحوار و إن تعددت أطرافُه بدءً من مرحلة التّكليف إلى مرحلة الجزاء أي إغراق الّذين ظلموا و التّمكين لنوح و من آمن بدعوته.

وقد قسّمنا بحثنا إلى مقدّمة تناولت الخطوط المفصلية للبحث وثلاثة فصول؛ حيثُ خصّصنا الفصل الأوّل لتحديد المفاهيم الإجرائية للتداولية حيثُ ركّزنا على ما يمكنُ استثمارُهُ في الجانب التّطبيقي كأفعال الكلام ومتضمّنات القول و الاستلزام الحواري وقواعد التّخاطب.

أمّا الفصلين الثاني والثالث فقد خصّصناهُما للجانب التّطبيقي، حيثُ تناول الفصلُ الثّالث أفعال الكلام و متضمّنات القول من خلال استقرائنا للأفعال الكلامية من مرحلة التّكليف بالدّعوة إلى مرحلة الجزاء أي إغراق الّذين ظلموا والتّمكين لنوح ومن آمن بدعوته .

أمّا الفصل الرّابع فقد ركّزنا على البنية الاستدلالية للحوار الحجاجي في قصّة نوح –عليه السّلام– و كذا القضايا المتضمِّنة فيه؛ وأنهينا البحث بخاتمة تعرضُ أهمّ النّتائج الّتي توصّل إليها البحث .

الكلمات المفتاحية: الحوار، الحجاج، التداولية، قصة نوح، القرآن الكريم .

Title of the theses: Argumentative Dialogue in Noah's tale, peace be upon him. A Pragmatic approach.

Abstract *:*

The Noble Qur'an, the miraculous word of God revealed to our Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, came to lay the foundations of the Islamic faith and the empowerment of the Islamic religion, which was approved by all the messages; This Qur'an - with all its components - formed a material to search for the miracles in it, including dialogue in all its forms and levels, as it constitutes one of the pillars of the Qur'anic stories, which in turn is considered one of the mechanisms adopted by the Qur'anic discourse to establish that belief. Characteristics of this dialogue from a pragmatic perspective.

This approach is divided into two parts: a theoretical section that presents pragmatic concepts and procedures, and an applied section that represents these theoretical procedures and tries to extrapolate them in the corpus.

The Qur'anic discourse that adopts stories as a strategy to influence the first recipient, the prophet, may God bless him and grant him peace, transcends this recipient into an infinite recipient, which gives the Holy Qur'an - and consequently to these stories, including the dialogue - its specificity.

Our approach seeks to answer a set of questions, the most important of which are: What are the pragmatic dimensions of this argumentative discourse? Where is its argumentation and, accordingly, its influential function? Is it possible to adopt pragmatism - as a modern approach - to study a Quranic discourse that has its own peculiarity.

To answer these questions, we took a model from the Qur'anic stories through the argumentative dialogue in the story of Noah, peace be upon him, where we tried to study this dialogue through the only saying material that comes after (he-called-prayed) as we studied and analyzed all the dialogue, even if its parties multiplied to begin with From the stage of commissioning to the stage of punishment, meaning dumping those who have wronged and empowering Noah, peace be upon him, and those who believe in his calling.

We divided our research into an introduction that dealt with the articulated lines of the research and three chapters. The first chapter was devoted to defining the procedural concepts of pragmatic action, where we focused on what could be invested in the practical side, such as speech acts, the implications of speech, dialogue entailment, and the rules of communication.

As for the second and third chapters, we have devoted them to the practical aspect, where the second chapter deals with the verbs of speech and the implications of saying through our extrapolation of verbal actions from the commissioning stage to the penalty phase, i.e. drowning those who wronged and empowering Noah and those who believed in his calling.

As for the third chapter, we focused on the evidential structure of the argumentative dialogue in the story of Noah, peace be upon him, as well as the issues involved in it. We conclude the research with a conclusion that presents the most important findings of the research.

Key words: Dialogue, Argumentation, Pragmatic, story of Noah, Holly Qur'an.